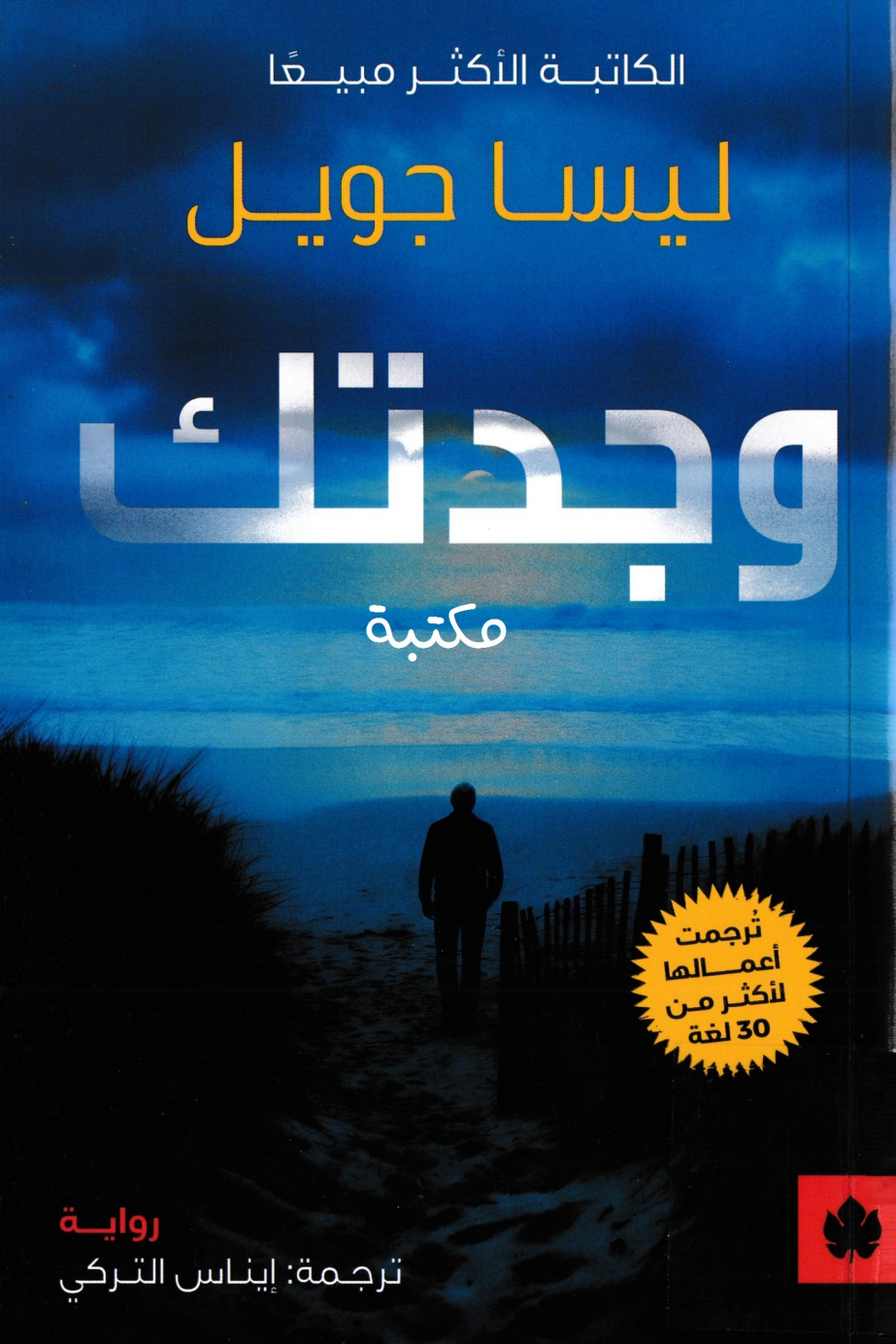
الكاتبة الأكثر مبيعًا

ليسا جويل

وجدتك

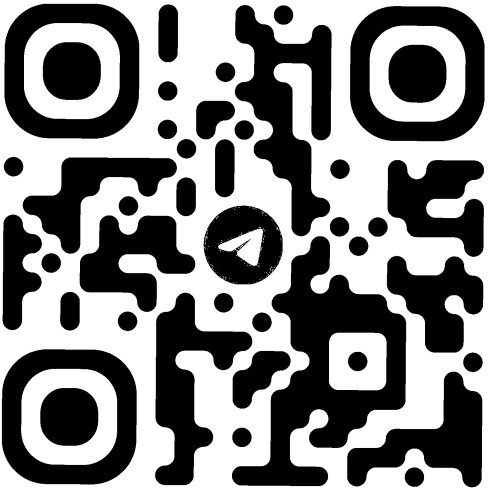
مكتبة



ترجمت أعمالها لأكثر من 30 لغة

رواية

ترجمة: إيناس التركي



سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

وجدتك



alkarmabooks.com
facebook.com/alkarmabooks
x.com/alkarmabooks
instagram.com/alkarmabooks

الطبعة الأولى ٢٠٢٦
حقوق النشر © دار الكرمة ٢٠٢٦
العنوان الأصلي: *I Found You*
Copyright © 2016 by Lisa Jewell

الحقوق الفكرية للمؤلفة محفوظة
حقوق الترجمة © إيناس التركي



t.me/soramnqraa

جويل، ليسا.
وجدتك: رواية/ ليسا جويل؛ ترجمتها عن الإنجليزية إيناس التركي - القاهرة: الكرمة للنشر، ٢٠٢٦.

تدمك: 9789779603568
١- القصص الإنجليزية.
أ- التركي، إيناس (مترجمة).
ب- العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٣٢٤٤٧ / ٢٠٢٥

١٠٩٧٥٣١٢٤٦٨

تصميم الغلاف: أحمد فرج

ليسا جويل

وجدتك

رواية

مكتبة
t.me/soramnqraa

ترجمتها عن الإنجليزية
إيناس التركي

الكرمة

أُهدي هذا الكتاب إلى جاشا
(أرأيت، هأنذا أحبك أكثر من حبي للكلب)


خليج رايدنجهاوس
الشاطئ
منزل كيتي
كوخ البس
كوخ رايت
المدرسة
شارع لندن
الطريق
الملاهي
ساحة البلدة
حافة الشاطئ
مقهى شوجر بول

الجزء الأول

١

مكتبة
t.me/soramnqraa

تعيش أليس ليك في منزل على البحر، وهو منزل صغير، مجرد كوخ لخفر السواحل، بُني منذ أكثر من ثلاثمائة عام لأشخاص أصغر منها بكثير، حيث إن أسقفه منحدرة وبارزة بحيث يتعين على ابنها البالغ من العمر أربعة عشر عامًا أن يحني رأسه ليعبر من الباب الأمامي. كانوا جميعًا صغارًا للغاية عندما انتقلت معهم إلى هنا من لندن قبل ست سنوات. كانت جازمين في العاشرة من عمرها، وكاي في الثامنة، أما رومين الرضيعة فكانت تبلغ أربعة أشهر فقط. لم تتخيل يومًا أنه سيكون لديها ولد فارع يكاد طوله يصل إلى ست أقدام تقريبًا، كما لم تتخيل قَطُّ أن هذا المكان سيصير ضيقًا بالنسبة إليهم.

جلست أليس في غرفتها الصغيرة في أعلى منزلها الصغير، ومن هنا تدير أعمالها: تصنع أعمالًا فنية من خرائط قديمة، وتبيعها على الإنترنت مقابل مبالغ باهظة. قد تكون مبالغ طائلة مقابل قطعة فنية مصنوعة من خرائط قديمة، لكنها ليست طائلة بالنسبة إلى أُمٍّ عزباء لثلاثة أولاد. فهي تبيع قطعتين في الأسبوع، ويكفيها هذا بالكاد تقريبًا.

خلف نافذتها، وسط أعمدة الإضاءة بالشارع المصممة على الطراز الفيكتوري، تتأرجح سلسلة من الرايات الباهتة بفعل الشمس ذهابًا وإيابًا في رياح أبريل

الهوجاء. وإلى اليسار يوجد طريق منحدر باتجاه البحر حيث تشكِّل قوارب الصيد الصغيرة ما يشبه عمودًا فقريًّا ملونًا يمتد نزولًا إلى رصيف الميناء الخرساني، حيث يضرب زبد بحر الشمال العظيم المخيف الشاطئ الصخري. وفيما وراء ذلك، يمتد البحر، أسود ولانهائيًّا. لا تزال أليس تشعر بالرهبة من البحر، ومن قربه الشاسع. في بريكستون، حيث كانت تعيش من قبل، كانت نافذتها تطل على منظر الجدران، وحدائق الآخرين، والأبراج البعيدة والسماء المليئة بالدخان. وفجأة، بين عشية وضحاها، صار هناك كل هذا البحر. عندما تجلس على الأريكة في الجانب الآخر من الغرفة لا ترى سواه، كما لو كان جزءًا من الغرفة، كأنه على وشك التسرب من إطارات النوافذ وإغراقهم جميعًا.

عادت أليس بنظرها إلى شاشة جهاز الآيباد الخاص بها، حيث ترى غرفة صغيرة مربعة الشكل، وقطة تجلس على أريكة خضراء تلعق أردافها، وإبريق شاي على طاولة القهوة. تبلغها أصوات من مكان آخر: والدتها تتحدث إلى مقدم الرعاية، ووالدها يتحدث إلى والدتها. لا تسمع ما يقولانه بوضوح، لأن الميكروفون الموجود على كاميرا الويب التي وضعتها في غرفة معيشتهما في آخر مرة زارتهما فيها لا يلتقط الصوت في الغرف الأخرى كما يجب. لكن أليس اطمأنت لوجود مقدم الرعاية، وأن والديها سيتناولان طعامهما ودواءهما، وسيغتسلان ويبدلان ملابسهما، بحيث لن تحتاج إلى القلق بشأنهما لمدة ساعة أو ساعتين.

وهذا شيء آخر لم تتخيله عندما انتقلت إلى الشمال قبل ست سنوات: أن والديها النشيطين والذكيين اللذين بلغا السبعين من العمر سيصابان بألزهايمر في غضون أسابيع بين إصابتيهما، ويحتاجان إلى إشراف ورعاية مستمرين.

على شاشة الكمبيوتر المحمول الخاص بأليس ظهرت استمارة طلب من رجل يُدعى «ماكس فيتزجيبون»، يريد وردة مصنوعة من خرائط كمبريا وتشيلسي وسان تروبيه لعيد ميلاد زوجته الخمسين. تستطيع أليس أن تتخيل الرجل: ذو صحة جيدة، له شعر فضي، يرتدي سترة صوفية ذات سحَّاب بلون الخلنج من ماركة جولز، ولا يزال مغرمًا بزوجته بشدة بعد خمسة وعشرين عامًا من الزواج. يمكنها

تخمين كل هذا من اسمه وعنوانه واختياره للهدية. (كتب في الخانة المخصصة لـ«أي تعليقات أخرى»: «لطالما كانت الوردات الإنجليزية الكبيرة المنتفخة هي زهرتها المفضلة»).

رفعت أليس عينيها عن شاشتها، ونظرت من خلال نافذتها نحو الأسفل. كان لا يزال هناك، ذلك الرجل على الشاطئ.

كان هناك طوال النهار، منذ أن فتحت ستائرها في الساعة السابعة من صباح اليوم: جالسًا على الرمال الرطبة، وذراعاه حول ركبتيه، يواصل التحديق إلى البحر. ظلت تراقبه وهي قلقة من أن يكون على وشك الانتحار. حدث ذلك مرة واحدة من قبل. حيث كان هناك شاب شاحب كالموت تحت ضوء القمر الأبيض المائل إلى الزرقة، ترك معطفه على الشاطئ قبل أن يختفي فحسب. ولا يزال التفكير فيه يؤرق أليس بعد مرور ثلاث سنوات.

لكن هذا الرجل لم يتحرك، بل جلس هناك محدقًا فحسب. كان الهواء اليوم باردًا، ويهب بشدة حاملًا معه رذاذًا من القطرات الباردة من سطح البحر، لكن الرجل لم يكن يرتدي إلا قميصًا وبنطالًا من الجينز فقط. لم تكن معه سترة ولا حقيبة، ولا قبعة أو وشاح. بدا أن هناك شيئًا مثيرًا للقلق بشأنه: فلم يبدُ رث الهيئة بما يكفي كي يكون مشردًا، كما لم يكن غريبًا بما يكفي ليكون مريضًا نفسيًّا من مركز الرعاية النهارية في المدينة. كما أنه بدا بصحة جيدة أكثر من أن يكون مدمنًا، ولم يتناول قطرة من الكحول. بدا... بحثت أليس في ذهنها عن الكلمة المناسبة حتى طرأت لها. بدا تائهًا.

بعد ساعة، هطل المطر فأطلت أليس من خلال زجاج النوافذ الذي تناثر عليه الرذاذ إلى الشاطئ بالأسفل. كان لا يزال هناك، وشعره البني ملتصق بجمجمته، وكتفاه وكُمَّاه داكنة بسبب الماء. سيتعين عليها إحضار رومين من المدرسة في غضون نصف ساعة، لذا اتخذت قرارها في جزء من الثانية.

نادت الكلبة المرقطة من فصيلة ستافوردشير:

- هيرو!

ثم نادت الكلبة البودل العجوز:

- سادي!

ونادت الكلب السلوقي:

- جريف!

قبل أن تتابع قائلة:

- لنذهب للتنزه!

لدى أليس ثلاثة كلاب، لكن جريف الكلب السلوقي هو الوحيد الذي اختارته بنفسها. كانت الكلبة البودل ملكًا لوالديها، وتبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا، ومن المفترض أن تكون قد ماتت بالفعل. فقدت نصف فرائها، وأصبحت سيقانها صلعاء ونحيفة كساقَي عصفور، لكنها لا تزال تصر على الانضمام إلى الكلبين الآخرين للتنزه. أما هيرو، الكلبة الستافوردشير، فكانت ملكًا للمستأجر السابق، باري، الذي اختفى ذات يوم وترك كل شيء وراءه، بما في ذلك كلبته المجنونة. كان لا بد أن ترتدي هيرو كمامة في الشارع، وإلا فإنها تهاجم عربات الأطفال والدراجات البخارية.

شبكت أليس مقود كل كلب في طوقه بينما كانت تدور حول كاحليها، ووقع نظرها على شيء آخر تركه باري خلفه عقب اختفائه في منتصف الليل، متدليًا من خطافات تعليق المعاطف بجوار مقاود الكلاب: سترة قديمة رثة. تغضن أنفها تلقائيًّا عند رؤية السترة. نامت ذات مرة مع باري في لحظة من الغباء المحض - والوحدة الشديدة - لكنها ندمت على ذلك في اللحظة التي استلقى فيها فوقها وأدركت أنه تفوح منه رائحة الجبن. انبعثت الرائحة من كل مسام جسده الممتلئ إلى حد ما، فكتمت أنفاسها ومضت في الأمر، لكنها ظلت تربطه بتلك الرائحة منذ ذلك الحين.

التقطت السترة من فوق الخطاف بتأنٍّ وألقتها فوق ذراعها، ثم أخذت الكلاب ومظلة وتوجهت إلى الشاطئ.

قالت وهي تناول الرجل السترة:

- هاك، رائحتها كريهة بعض الشيء لكنها مقاومة للماء. انظر، لها قلنسوة.

استدار الرجل ببطء، ونظر إليها.

لم يبدُ أنه أدرك نيتها، فواصلت الثرثرة.

- كانت ملكًا لباري، وهو مستأجر سابق. كان بنفس حجمك تقريبًا، لكن رائحتك أفضل منه. حسنًا، لا يمكنني معرفة ذلك من مكاني هنا، لكنك تبدو كأن رائحتك طيبة.

نظر الرجل إلى أليس ثم إلى السترة.

قالت:

- حسنًا، هل تريدها؟

بقي من دون أن يعطيها جوابًا.

- انظر، سأتركها هنا معك فحسب. لا أحتاج إليها ولا أريدها، ويمكنك الاحتفاظ بها، حتى لو استخدمتها فقط للجلوس عليها، أو يمكنك وضعها في سلة المهملات إذا شئت.

وضعتها بالقرب من قدميه، ثم فردت قامتها، فتبعها بعينيه.

- شكرًا لك.

- آه، أنت تستطيع الكلام إذن؟

بدت عليه الدهشة.

- بالطبع أستطيع الكلام.

تحدث بلكنة جنوبية، وكانت عيناه بنفس درجة اللون البني الزنجبيلي مثل شعره واللحية الخفيفة النابتة على ذقنه. بدا وسيمًا، إذا كان المرء يميل إلى ذلك النوع من الرجال.

وضعت يدها الحرة في جيبها، بينما الأخرى تمسك مقبض مظلتها، وقالت:

- حسنًا، يسعدني سماع ذلك.

ابتسم وأمسك السترة الرطبة في قبضته.

- هل أنتِ متأكدة؟

نظرت إلى السترة وقالت:

- بشأن هذه؟ ستكون قد أسديت إليَّ معروفًا في الواقع.

ارتدى السترة فوق ملابسه المبللة، وعبثت أصابعه بالسحَّاب لبعض الوقت قبل أن يغلقه، ثم كرر قائلًا:

- شكرًا لك، حقًّا.

التفتت أليس لتتفقد أماكن الكلاب. جلست سادي عند قدميها، نحيلة ورطبة، بينما انطلق الاثنان الآخران عند حافة الماء. ثم التفتت إلى الرجل مرة أخرى وسألته:

- لماذا لا تدخل، بعيدًا عن هذا المطر؟ تقول الأرصاد الجوية إنها ستمطر حتى صباح الغد. ستصاب بالمرض هكذا.

سألها وقد ضاقت عيناه كأنها قدمت نفسها بالفعل ونسي اسمها للحظات:

- من أنتِ؟

- اسمي أليس. أنت لا تعرفني.

قال:

مكتبة
t.me/soramnqraa

- لا، لا أعرفك.

وبدا مطمئنًّا لذلك.

قالت أليس:

- على أي حال، من الأفضل أن أمضي في طريقي.

- بالتأكيد.

جذبت أليس مقود سادي المرتخي، فوقفت الكلبة البودل على قدميها من دون اتزان، مثل الزرافة حديثة الولادة.

نادت أليس الكلبين الآخرين، لكنهما تجاهلاها، فطقطقت بلسانها ونادتهما مجددًا.

تمتمت بصوت خافت:

- يا للأحمقين اللعينين!

ثم صاحت وهي تتقدم نحوهما:

- هيَّا! تعاليا إلى هنا الآن!

أخذا يدخلان البحر ويخرجان منه، وتغطت هيرو بطبقة من الطحالب الخضراء. ستصبح رائحتهما كريهة، وقد حان الوقت تقريبًا لإحضار رومين من المدرسة. لا يمكنها أن تتأخر مرة أخرى. كانت قد تأخرت بالأمس لأنها استغرقت في عمل ما ونسيت الوقت، فاضطرت إلى اصطحاب رومين من مكتب إدارة المدرسة في الساعة الرابعة إلا عشر دقائق، حيث نظرت إليها السكرتيرة من فوق شاشة الكمبيوتر الكائن على المكتب كما لو كانت بقعة على السجادة.

- تعاليا، أيها الوغدان!

تقدمت عبر الشاطئ بخطوات واسعة، وحاولت الإمساك بجريف، الذي اعتقد أنها تقترح اللعب، فاندفع مبتعدًا بمرح، فذهبت في أعقاب هيرو، التي هربت منها، بينما سادي المسكينة مسحوبة من عنقها النحيل في أثناء ذلك، وهي بالكاد تستطيع الوقوف منتصبة، والمطر يهطل وبنطال الجينز الذي ترتديه أليس مبلل ويداها باردتان كالجليد والوقت يمر بسرعة. أطلقت صيحة غضب، واتبعت أسلوبًا استخدمته مع جميع الأولاد حينما كانوا صغارًا.

قالت:

- حسنًا، حسنًا، فلتبقيا هنا، وانظرا كيف ستتدبران أمركما من دوني. فلتذهبا لاستجداء الفتات خارج متجر الجزارة اللعين، واستمتعا بحياتكما.

توقف الكلبان ونظرا إليها، فاستدارت وسارت مبتعدة.

نادت قائلة للرجل الذي كان لا يزال جالسًا تحت المطر:

- هل تريد بعض الكلاب؟ حقًّا، هل تريدهما؟ يمكنك الاحتفاظ بهما.

فوجئ الرجل، ورفع إليها عينيه اللتين بلون الزنجبيل، وقال:

- أنا... أنا...

أدارت عينيها في محجريهما.

- أنا لست جادة في الحديث.

قال:

- لا، لا، أدرك هذا.

خطت نحو المنحدر، باتجاه الدرجات المنحوتة في حاجز الأمواج. صارت الساعة الثالثة والنصف. توقف الكلبان عند الشاطئ وتبادلا النظر إلى بعضهما، ثم نظرا إلى أليس مرة أخرى، وركضا نحوها حتى وصلا عند قدميها بعد ثوانٍ وهما مالحان وكريها الرائحة.

شرعت أليس تصعد الدرج، ثم التفتت عندما ناداها الرجل.

قال:

- معذرة! عفوًا، أين أنا؟

- ماذا؟

- أين أنا؟ ما اسم هذا المكان؟

ضحكت قائلة:

- حقًّا؟

قال:

- نعم، حقًّا.

- هذا خليج رايدنجهاوس.

أومأ برأسه وقال:

- حسنًا، شكرًا لك.

قالت للرجل برفق:

- فلتتوجه إلى الداخل، هلَّا فعلت؟ أرجوك ابتعد عن هذا المطر.

ابتسم معتذرًا، ولوحت له أليس ثم توجهت إلى المدرسة على أمل أن يكون قد رحل بحلول وقت عودتها.

كانت أليس تدرك أنها تُعَد غريبة الأطوار نوعًا ما في منطقة خليج رايدنجهاوس

التي كانت، إحقاقًا للحق، مليئة بالفعل بغريبي الأطوار قبل وصولها. لكن حتى في بلدة بمثل هذه الدرجة من الغرابة، برزت أليس بلكنتها التي من بريكستون، وأسرتها متعددة الأعراق، وأسلوبها الفظ بعض الشيء، ناهيك بالكلاب التي تجعلها عرضة لأنظار الناس أينما ذهبت، حيث ترفض السير في أعقابها، وتنبح وتعض، وتعوي خارج المتاجر. شاهدت الناس يعبرون إلى الجانب الآخر من الشارع لتجنُّب كلابها، ولا سيما هيرو بكمامتها وكتفيها الضخمتين مفتولتَي العضلات.

منذ وصولها إلى هنا، لعبت أليس دور الشخص الوحيد الغامض والمخيف بعض الشيء، على الرغم من أن هذه ليست طبيعتها على الإطلاق. كان لديها أصدقاء كثيرون في لندن، أكثر مما تحتاج. كانت فتاة محبة للمرح، من ذلك النوع من الفتيات اللاتي يذهبن للزيارة في وقت متأخر وبحوزتهن زجاجة من الفودكا للمساعدة في حل كل المشكلات. كما كانت من ذلك النوع من الأمهات اللاتي يقفن عند بوابات المدرسة بعد توصيل الأولاد ويقلن:

- هيَّا إذن، من يرغب في تناول القهوة؟

كانت هناك بينهن، أعلاهن ضحكًا وأكثرهن حديثًا. حتى تمادت في الأمر، وانهارت حياتها.

لكن صارت لديها صديقة هنا الآن، شخص يفهمها، ديري داينز. التقتا منذ ثمانية عشر شهرًا، في اليوم الأول لدخول رومين إلى الحضانة، والتقت أعينهما وكان هناك وميض من الألفة المتبادلة، والبهجة المشتركة. قالت ديري داينز بعد أن رأت غشاوة من الدموع في عينَي أليس وهي تشاهد طفلتها الصغيرة تختفي في الفصل:

- هل تريدين تناول القهوة؟ أو شيء أقوى؟

تكبر ديري أليس في العمر بخمس سنوات تقريبًا، لكنها أقصر قامة منها بمقدار قدم. ولديها ابن في نفس عمر رومين، وابنة بالغة تعيش في إدنبرة. وهي تحب الكلاب (حيث إنها من ذلك النوع من الأشخاص الذين يسمحون

للكلاب بتقبيلهم على فمهم)، وتحب أليس. وقد أدركت في وقت مبكر أن أليس لديها نزعة لاتخاذ قرارات مريعة، ولترك الحياة تقودها كيفما تشاء، لذا صارت الآن تعمل مشرفة على أليس. تجلس مع أليس لساعات طويلة وتقدم لها النصح بخصوص المشكلات التي تواجهها مع المدرسة حول كيفية تعاملهم مع صعوبات التعلم التي تعانيها رومين، لكنها تمنعها من اقتحام مكتب الإدارة والصراخ في وجه السكرتيرة. كما أنها يمكن أن تشاركها في تناول زجاجتين من النبيذ ليلة يوم دراسي، لكنها ستشجعها على إعادة السدادة لغلق الزجاجة الثالثة. إلى جانب هذا، تنصحها بخصوص اختيار مصفف الشعر الذي تذهب لزيارته، وما عليها أن تقوله:

- اطلبي قصه على شكل طبقات، وليس بشكل متدرج، واطلبي تفتيح نصف خصلات الشعر باستخدام رقائق ورق الألومنيوم.

كانت تعمل مصففة شعر في السابق، لكنها صارت الآن معالجة بالريكي، ولديها فكرة عن شؤون أليس المالية أكثر من أليس نفسها.

وقفت خارج المدرسة الآن أسفل مظلة حمراء ضخمة، وابنها داني ورومين مختبئان معًا تحتها.

- يا إلهي، شكرًا لك، لقد فقدت الكلاب صوابها على الشاطئ ولم أتمكن من استعادتها.

انحنت لتقبل قمة رأس رومين، وتناولت منها صندوق الغداء خاصتها.

- ماذا كنت تفعلين على الشاطئ في هذا الطقس، بحق السماء؟

طقطقت أليس بلسانها وقالت:

- لن ترغبي في معرفة ذلك.

قالت ديري:

- لا، بل أريد أن أعرف.

- هل أنتِ مشغولة؟ هل لديك وقت لتناول كوب من الشاي؟

نظرت ديري إلى ابنها وقالت:

- كان من المفترض أن آخذه إلى البلدة لشراء حذاء...
- حسنًا، فلتأتي من الطريق المؤدي إلى منزلي إذن، وسأريك.

وقفت بجوار حاجز الأمواج، وأطلت نحو الأسفل من خلال شلال المطر المتساقط فوق مظلتها، وقالت:

- انظري.

كان لا يزال هناك.

قالت ديري:

- ذلك الرجل؟

- نعم، هو، لقد أعطيته سترة، كانت تخص باري.

ارتجفت ديري لاإراديًّا، حيث كانت هي أيضًا تتذكر باري، إذ أعطتها أليس وصفًا دقيقًا ومثيرًا للأحداث في ذلك الوقت.

- ألم تكن لديه سترة إذن؟ قبلها؟

- نعم، جلس هناك مرتديًا قميصًا فقط، غارقًا بالماء، وسألني أين يكون.

أمسك الطفلان حافة الحاجز بأصابعهما ورفعا نفسيهما إلى الأعلى وأطلا من فوقه.

- أين يكون؟

- أجل، بدا مشوشًا بعض الشيء.

قالت ديري:

- لا تتورطي في الأمر.

- من قال إنني سأتورط؟

- لقد أعطيتِه سترة، أي أنك تورطت بالفعل.

- كان ذلك مجرد عمل خيري إنساني بسيط.

قالت ديري:

- نعم، بالضبط.

طقطقت أليس بلسانها لصديقتها وابتعدت عن حاجز الأمواج، وسألتها:
- هل ستذهبين للتسوق حقًّا؟ في هذا الطقس؟
نظرت ديري إلى السماء المظلمة بالأعلى، وقالت:
- لا، ليس على الأرجح.
قالت أليس:
- تعالي إذن، تعالي إلى منزلي. سأشعل النار في المدفأة.

بقيت ديري وداني بضع ساعات، ولعب الصغيران في غرفة المعيشة، بينما جلست ديري وأليس في المطبخ تشربان الشاي. عادت جازمين في الساعة الرابعة، غارقة بالمطر تمامًا، ومعها حقيبة ظهر مبللة ممتلئة بواجبات مدرستها الثانوية، من دون معطف ولا مظلة. ثم عاد كاي في الرابعة والنصف مع اثنين من أصدقائه من المدرسة. أعدت أليس السباجيتي لوجبة المساء، ومنعتها ديري من فتح زجاجة نبيذ لأنه يتعين عليها العودة إلى المنزل. رحلت هي وداني في الساعة السادسة، وكانت السماء لا تزال تمطر. تدفقت أنهار صغيرة من مياه الأمطار الموحلة على المنحدر المؤدي إلى الشاطئ، كما تدفقت من أسطح المنازل. وبدأت الريح العاتية تعوي، ودفعت المطر المنهمر على نحو عمودي ليغرق كل شيء.

من الطابق العلوي من المنزل، رأت أليس أن الرجل لا يزال هناك. لكنه لم يَعُد في منتصف الشاطئ، بل تراجع باتجاه حاجز الأمواج، وجلس على كومة من الحبال. رفع وجهه نحو السماء وعيناه مغمضتان، وتألم شيء ما داخل أليس وهي تنظر إليه. ربما يكون مجنونًا بالطبع، وقد يكون خطيرًا. لكنها فكرت في عينيه البنيتين الكهرمانيتين الحزينتين، ورقة صوته عندما سألها أين يكون. وها هي ذي في منزلها الممتلئ بالناس، ولديها كومة من الأخشاب المشتعلة في المدفأة، دافئة وجافة وآمنة. لا يمكنها أن تظل هنا، بينما تعرف أنه موجود هناك.

صنعت له كوبًا من الشاي، وصبته في ترمس، وطلبت من ولديها الأكبر سنًّا الاعتناء برومين، وذهبت إليه.

ناولته الترمس وقالت:

- هاك.

أخذه منها وابتسم.

- ظننت أنني طلبت منك التوجه إلى الداخل.

قال:

- أذكر هذا.

أجابت:

- عظيم، لكنني أرى أنك لم تتبع نصيحتي.

- لا يمكنني الذهاب إلى الداخل.

- هل أنت مشرد؟

أومأ، ثم هز رأسه، بعد ذلك قال:

- لا أعتقد ذلك. لا أدري.

ضحكت أليس بهدوء وقالت:

- لا تدري؟ منذ متى وأنت جالس هنا؟

- وصلت إلى هنا الليلة الماضية.

- من أين أتيت؟

استدار ونظر إليها، وبدت عيناه واسعتين وخائفتين.

- ليست لديَّ أي فكرة.

تراجعت أليس قليلًا، وبدأت تندم على مجيئها إلى هنا. ها هي ذي تتورط في الأمر، كما قالت ديري. قالت:

- حقًّا؟

دفع شعره الرطب بعيدًا عن جبهته وتنهد.

- حقًّا.

ثم صبَّ لنفسه كوبًا من الشاي ورفعه عاليًا، وتابع:

- في نخبك. أنت لطيفة جدًّا.

حدقت أليس في اتجاه البحر. لم تكن متأكدة كيف ترد عليه. أراد جزء منها العودة إلى حيث الدفء بالداخل، لكن الجزء الآخر شعر بأنها تحتاج إلى أن تسترسل في هذا الأمر لفترة أطول قليلًا. طرحت عليه سؤالًا آخر:

- ما اسمك؟

قال وهو يتأمل كوب الشاي:

- أعتقد أنني فقدت ذاكرتي. أعني...

ثم التفت إليها فجأة وتابع:

- هذا منطقي، أليس كذلك؟ إنه الشيء الوحيد المنطقي. لأنني لا أعرف ما اسمي، ولا بد أن يكون لي اسم. كل شخص لديه اسم. أليس كذلك؟

أومأت أليس برأسها.

- كما أنني لا أعرف لماذا أنا هنا، أو كيف وصلت إلى هنا. كلما أمعنت في التفكير في الأمر، ازددت اقتناعًا أنني فقدت ذاكرتي.

قالت أليس:

- آه، نعم، هذا منطقي. هل... هل أنت مصاب؟

أشارت إلى رأسه.

مرر يده على جمجمته للحظة ثم نظر إليها وقال:

- لا، لا يبدو الأمر كذلك.

- هل سبق لك أن فقدت ذاكرتك من قبل؟

- لا أدري.

قالها بسذاجة شديدة، إلى درجة أنهما انفجرا في الضحك.

سألته:

- أنت تعرف أنك في الشمال، أليس كذلك؟

قال:

- نعم، لم أكن أعلم هذا.
- أنت تتحدث بلكنة جنوبية، هل أتيت من هناك؟
هز كتفيه وقال:
- أعتقد ذلك.
قالت أليس:
- يا إلهي، هذا جنون. أفترض أنك تفقدت كل جيوبك.
أجاب:
- نعم، وجدت بعض الأشياء، لكنني لم أعرف ماذا أستنتج من أيٍّ من ذلك.
- هل ما زالت بحوزتك؟
أمال رأسه جانبًا، وقال:
- نعم، إنها هنا.
سحب من جيبه الخلفي حفنة من الأوراق المبللة.
- أوه.
حدقت أليس إلى الأوراق المهترئة، ثم إلى السماء الحالكة. مررت يديها على وجهها وزفرت، ثم قالت:
- حسنًا، لا بد أنني مجنونة. في الواقع، أنا مجنونة بالفعل، لكن لديَّ غرفة استوديو في فناء منزلي الخلفي. عادة ما أقوم بتأجيرها، لكنها شاغرة الآن. لماذا لا تأتي وتقضي ليلة هناك؟ سنجفف قطع الأوراق هذه، وربما يمكننا أن نبدأ في تجميع اللغز معًا غدًا، اتفقنا؟
التفت وحدق إليها غير مصدق، وقال:
- نعم، نعم، من فضلك.
قالت وهي تنهض واقفة على قدميها:
- لا بد أن أنبهك، أنا أعيش في فوضى، فلديَّ ثلاثة أولاد صاخبون ووقحون للغاية، وثلاثة كلاب غير مدربة، ومنزلي في حالة مزرية. لذا لا تأتي معي متوقعًا أن تجد ملاذًا، فهو أبعد ما يكون عن ذلك.

أومأ برأسه وقال:

- بصراحة مهما يكن، فلا مانع لديَّ حقًّا. أنا ممتن للغاية فحسب، ولا أصدق مدى كرمك.

قالت أليس وهي تقود الغريب المبلل أعلى الدرجات الحجرية باتجاه كوخها:

- لا، أنا أيضًا لا أصدق.

٢

تقلصت معدة ليلي بقوة حتى باتت جامدة كالصخر، وتسارعت دقات قلبها بشدة لفترة طويلة، حتى شعرت كما لو أنها قد تفقد الوعي. نهضت وتوجهت إلى النافذة، كما فعلت كل دقيقتين على مدى الثلاث والعشرين ساعة والنصف الماضية. وبعد ثلاثين دقيقة، ستتصل بالشرطة مرة أخرى. هذه هي المدة التي قيل لها إن عليها الانتظار خلالها قبل أن تتمكن من الإبلاغ عن اختفائه رسميًّا. لكنها عرفت أنه مفقود في غضون ساعة من عدم عودته إلى المنزل من العمل الليلة الماضية. أحست كأن طبقة من الجليد تسري عبر عمودها الفقري. كانا قد عادا من شهر العسل قبل عشرة أيام فقط، واعتاد العودة من العمل مسرعًا، أحيانًا في وقت مبكر، وبالتأكيد لم يتأخر قَطُّ أكثر من دقيقة. كان يعود إلى المنزل حاملًا لها الهدايا، وبطاقات «ذكرى مرور أسبوعين»، والزهور. وكان يندفع من الباب قائلًا:

– رباه، يا حبيبتي، لقد اشتقت إليكِ كثيرًا.

ثم يستنشق رائحتها بشدة.

حتى الليلة الماضية. لم يصل إلى المنزل في الساعة السادسة. ولم يصل حتى السادسة والنصف. ولم يصل حتى السابعة. بدت كل دقيقة كأنها ساعة. ظل هاتفه يرن ويرن عند الاتصال به خلال الساعة الأولى، ثم توقف فجأة عن

الرنين، ولم يكن هناك بريد صوتي، بل مجرد نغمة حادة عالية، وامتلأت ليلي بالشعور بالعجز والغضب الأعمى.

الشرطة... حسنًا، لم يكن لدى ليلي أي رأي بشأن الشرطة البريطانية قبل الليلة الماضية، تمامًا كما لا يكون لدى المرء رأي بشأن مغسلة الملابس المحلية إذا لم يضطر إلى استخدامها قَطُّ. إلا أنها صار لديها رأي الآن، رأي قاسٍ جدًّا.

يمكنها الاتصال بهم مجددًا خلال عشرين دقيقة. لكن فيمَ سيفيدها ذلك؟ فهي تعرف ما يفكرون فيه. يعتقدون أنها شابة حمقاء، تتحدث بلكنة أجنبية، ومن المحتمل أن تكون عروسًا تعرَّف عليها زوجها من خلال المراسلة (لكنها لم تكن عروسًا بالمراسلة، بل التقت زوجها في موقف حقيقي، وجهًا لوجه). أدركت أن المرأة التي تحدثت إليها تعتقد أن زوجها يخونها، ومتورط في علاقة أو شيء ما من هذا القبيل. سمعت ذلك في نبرة صوتها المتراخية وهي تقول:

– هل من الممكن أن يكون قد تعطل فحسب بعد العمل؟ في الحانة؟

أدركت أن المرأة منشغلة بشيء آخر وهي تحادثها، ربما كانت تقلب صفحات مجلة، أو تبرد أظفارها.

قالت:

– لا! لا! إنه لا يذهب إلى الحانة. بل يأتي إلى المنزل فحسب، إليَّ.

عند التفكير في الأمر لاحقًا، أدركت أن هذا لم يكن الرد المناسب، وتخيلت الشرطية وهي ترفع حاجبها بسخرية.

لم تعرف ليلي من يمكنها الاتصال به أيضًا. تعلم أن كارل لديه أُمٌّ، وقد تحدثت معها عبر الهاتف مرة واحدة فقط يوم زفافهما، لكنها لم تقابلها بعد. اسمها ماريا أو ماري أو شيء من هذا القبيل وهي تعيش... حسنًا، يا إلهي، لا تعرف ليلي أين تعيش. في مكان يبدأ بحرف السين، على ما تعتقد، في الغرب؟ أو ربما جهة الشرق. أخبرها كارل ذات مرة، لكنها لا تستطيع أن تتذكر. ويحتفظ كارل بجميع الأرقام مخزنة في هاتفه المحمول. ما الذي يمكنها أن تفعله إذن؟

تعلم أيضًا أن كارل لديه أخت، اسمها سوزان. سوزان؟ وهي أكبر منه في

السن بكثير، وتعيش بالقرب من أمهما في ذلك المكان الذي يبدأ بحرف السين، لكن علاقتهما ببعضهما منقطعة، ولم يخبرها عن السبب. ولديه صديق يُدعى روس يتصل كل بضعة أيام ليتحدثا عن كرة القدم، والطقس، والمشروب الذي لا بد أن يتناولاه معًا قريبًا جدًّا، على الرغم من صعوبة ترتيب الأمر لأن روس كان قد رُزق رضيعة للتو.

كانت ليلي متأكدة من وجود أشخاص آخرين في حياة كارل، لكنها لم تعرفه إلا منذ شهر فبراير، ولم يمضِ على زواجهما إلا ثلاثة أسابيع، ولم تعش معه هنا إلا عشرة أيام فقط، لذا فهي لا تزال جديدة على عالم كارل، وجديدة على هذا البلد. فهي لا تعرف أحدًا هنا، ولا أحد يعرفها. ومن حسن الحظ، تتحدث ليلي الإنجليزية بطلاقة، لذا ليست لديها أي مشكلات في التواصل. لكن على الرغم من ذلك، فإن كل شيء يبدو مختلفًا جدًّا هنا، ومن الغريب أن تكون وحيدة تمامًا.

أخيرًا، أشارت عقارب الساعة إلى السادسة ودقيقة مساءً، فالتقطت ليلي هاتفها واتصلت بالشرطة.

قالت للرجل الذي أجاب على الهاتف:

- مرحبًا، اسمي السيدة ليلي مونروز. أود الإبلاغ عن شخص مفقود.

٣

قالت المرأة المدعوة «أليس» وهي تنحني فوق طاولة صغيرة لفتح ستارة زرقاء داكنة:

– معذرة، المكان كريه الرائحة بعض الشيء، فقد مرت أسابيع منذ أن دخل أحد إلى هنا.

تلفت حوله، ووجد نفسه في غرفة خشبية صغيرة بها نافذة في السقف، وباب زجاجي يؤدي إلى حديقة أليس الخلفية. كانت الغرفة مؤثثة على نحو بسيط، وعلى أحد الجوانب فراش قابل للطي، وحوض وثلاجة، وموقد صغير، ومدفأة كهربائية، وطاولة، وكرسيان بلاستيكيان، وحصيرة قذرة على الأرض. لكن الجدران الخشبية كانت مطلية بدرجة أنيقة من اللون الأخضر، ومُعلقة عليها مجموعة متنوعة من الأعمال الفنية الجذابة للغاية: الزهور والوجوه والمباني المصنوعة على ما يبدو من قطع من الخرائط القديمة، جرى تجميعها بمهارة. وبجانب الفراش القابل للطي كان هناك مصباح جميل مطرز بالخرز. كان الانطباع العام لطيفًا جدًّا، لكنها كانت محقة، حيث بدت رائحة المكان كريهة بالفعل. لا بد أنه مزيج بائس من العفونة والرطوبة.

– يوجد مرحاض خارجي بجوار المنزل، لا أحد آخر يستخدمه. وخلال

النهار يمكنك استخدام حمَّامنا الموجود في الطابق السفلي، إنه بجوار الشرفة الخلفية مباشرة. تعالَ معي، سأريك.

بدت نبرة صوتها حادة ومخيفة بعض الشيء.

تأمل هيئتها بينما كان يتبعها عبر الفناء الخلفي المكسو بالحصى. بدت امرأة طويلة القامة، ممشوقة بما يكفي، وإن كانت ممتلئة قليلًا حول منطقة البطن. كانت ترتدي بنطال جينز أسود ضيقًا وكنزة ضخمة، ربما لإخفاء خصرها العريض وإبراز ساقيها الطويلتين. وكانت ترتدي حذاءً أسود برقبة طويلة يشبه طراز الأحذية من ماركة دوك مارتينز إلى حد ما، لكن ليس تمامًا. وبدا شعرها عبارة عن كتلة خصلات نابضة بلون الكراميل والعسل والدبس والطين. فكر في أنها عملية صبغة رديئة لتفتيح الخصلات، ثم تساءل كيف يكون له رأي في مثل هذه الأشياء. هل هو مصفف شعر؟

علِق الباب الصغير الكائن بالجزء الخلفي من المنزل وهي تحاول فتحه، فسددت له ركلة خبيرة عند القاعدة. أمامه تحت ثلاث درجات كان هناك مطبخ صغير، وعلى اليسار باب من الخشب الرخيص يؤدي إلى حمَّام مُزرٍ إلى حد ما.

- جميعنا نستخدم حمَّام الطابق العلوي، لذا سيكون هذا الحمَّام لك وحدك. هل أعد لك حمَّامًا؟ كي تشعر بالدفء؟

قبل أن يجيب، أدارت صنابير المياه التي أصدرت صريرًا، ورفعت كُمَّي كنزتها الضخمة لتقلب المياه، فلاحظ مرفقيها بتجاعيدهما الغائرة الشائهة، وفكر في قرارة نفسه أنها ربما كانت في الأربعين أو الخامسة والأربعين من العمر. استدارت وابتسمت قائلة له:

- حسنًا، لنحضر لك شيئًا تأكله بينما يمتلئ حوض الاستحمام، ولنضع هذه الأشياء على المشعاع.

أخذت منه قطع الأوراق الرطبة التي عثرت عليها في جيوبه، وتبعها مرة أخرى إلى المطبخ الصغير الذي طُليت جدرانه باللون الأرجواني، وتدلت به الأواني من رفوف بالأعلى. كانت وحدات المطبخ مصنوعة يدويًّا من خشب البلوط

الناعم، والحوض ممتلئ بالأطباق المتسخة، كما كانت هناك لوحة من الفلين مثبت عليها بعض خربشات الأطفال. جلست فتاة مراهقة إلى طاولة صغيرة محشورة في الزاوية، رفعت نظرها إليه ثم نظرت بتساؤل إلى المرأة.

– هذه جازمين، ابنتي الكبرى. وهذا...

أشارت إليه ثم تابعت:

– رجل غريب أحضرته للتو من الشاطئ. سوف ينام في الاستوديو الليلة.

رفعت الفتاة المدعوة «جازمين» في وجه والدتها حاجبًا ترتدي به حلقًا، ثم رمته بنظرة لاذعة وهي تقول:

– رائع.

لم تحمل أي شبه بوالدتها على الإطلاق، وبدا شعرها الداكن مقصوصًا على نحو قصير غير متساوٍ، عن عمد كما افترض، وغرتها مرتفعة للغاية فوق جبهتها، لكن بطريقة ما أطَّرت بشكل جيد وجهها المربع وشفتيها القرمزيتين الممتلئتين وعينيها الناعستين. بدت أجنبية، مثل ممثلة مكسيكية لا يمكنه تذكر اسمها.

فتحت أليس ثلاجة حمراء، ووجهت إليه الحديث.

– شطيرة لحم الخنزير؟ خبز وباتيه؟ يمكنني تسخين بعض القرنبيط بالجبن. وهناك بعض بقايا الكاري من يوم السبت. في أي يوم نحن؟ الأربعاء. أنا متأكدة أنه سيكون على ما يرام. سيكون على ما يرام، أليس كذلك؟ لهذا السبب اخترع الكاري، أليس كذلك؟ لحفظ اللحوم.

وجد صعوبة في استيعاب المعلومات واتخاذ القرارات، واشتبه في أن هذا هو السبب الذي أدى إلى أن ينتهي به الأمر بالجلوس على الشاطئ لأكثر من اثنتَي عشرة ساعة. أدرك أن هناك خيارات أخرى، لكنه لم يستطع ترتيب الخيارات بأي شكل من الأشكال. بدلًا من ذلك جلس عاجزًا عن التفكير، خاملًا، حتى جاءت هذه المرأة الصارمة واتخذت القرار نيابة عنه.

قال:

– لا مانع لديَّ حقًّا، سيكون أي شيء مناسبًا.

أغلقت باب الثلاجة وقالت:

- سحقًا لذلك، سأطلب البيتزا.

شعر بموجة من الارتياح عقب اتخاذها قرارًا آخر نيابة عنه، لكنه انزعج بعد ذلك عندما تذكر أنه لا يملك أي نقود، باستثناء قطعة أو قطعتين من العملات المعدنية.

- أخشى أنني لا أملك أي أموال.

قالت أليس:

- أجل، أعلم، لقد فتشنا جيوبك، أتذكر؟ لا بأس، هذا على حسابي.

ثم أومأت برأسها في اتجاه ابنتها وتابعت:

- تتغذى هذه على الهواء النقي فحسب، ودائمًا ما ينتهي بي المطاف برمي طعامها على أي حال. سأطلب فقط ما أطلبه عادة، كأنك غير موجود.

أدارت الفتاة عينيها الناعستين في محجريهما، وتبع أليس إلى غرفة جلوس صغيرة وحنى رأسه ليتجنب عارضة منخفضة. كانت هناك فتاة صغيرة ذات شعر أشقر فاتح مجعد، تجلس بالقرب من مراهق آخر، طويل ونحيل، من أصول أفريقية كاريبية. كانا يشاهدان التلفزيون، واستدارا ونظرا إليه بقلق.

فتشت أليس في درج المكتب، وقالت من دون أن تلتفت:

- هذا رجل وجدته على الشاطئ.

ثم سحبت منشورًا من الدرج وأغلقته، وناولت المنشور للمراهق قائلة:

- سنتناول البيتزا. اختَر شيئًا ما.

أشرق وجه الصبي، واعتدل في جلسته وأبعد ذراع الفتاة الصغيرة عن خصره.

قالت أليس وهي تشير إلى الفتاة الصغيرة:

- هذه رومين.

ثم أشارت إلى المراهق طويل القامة وقالت:

- وهذا كاي. أجل، كلهم أولادي، لست أمهم بالتبني. فلتجلس، بحق السماء.

جلس على أريكة صغيرة منقوشة بالزهور. بدت الغرفة لطيفة. كانت هناك نار

مشتعلة في المدفأة، وكان الأثاث مريحًا، يميل إلى الرثاثة نوعًا ما على الرغم من أناقته، لكنه في المجمل مُختار بعناية، كما كانت هناك عوارض داكنة، والجدران مطلية بلون رمادي داكن، ومصابيح حائط من الزجاج الأصفر. تدلى خارج النافذة مباشرة مصباح إضاءة للشارع على الطراز الفيكتوري، ومن خلفه صفٌّ من الأضواء البيضاء الهائلة، ووراء ذلك ظلال البحر الفضية. بدا الجو العام لطيفًا، لكن من الواضح أن أليس هذه لم تكن مدبرة منزل على الإطلاق، حيث كسا الغبار كل شيء، وتدلت شباك العناكب من العوارض، وتناثرت القاذورات والأشياء المبعثرة فوق الأسطح المختلفة، وبدا من المحتمل أن السجادة لم تُنظف بالمكنسة الكهربائية قَطُّ.

بدأت أليس ترتب الأوراق التي وجدتها في جيبه فوق سطح المشعاع.

تمتمت وهي تفصلها عن بعضها:

- تذاكر قطار، بتاريخ الأمس.

تأملتها بإمعان، ثم ناولت التذكرة الرطبة إلى ابنها وقالت:

- لا أستطيع معرفة الوقت. كاي؟ هل يمكنك قراءة هذه؟

أخذ الصبي التذكرة وألقى عليها نظرة، ثم أعادها.

- السابعة وثمانٍ وخمسون دقيقة.

قالت أليس:

- القطار الأخير. لا بد أنك غيرت القطارات في دونكاستر، ووصلت في وقت متأخر للغاية.

واصلت فرز الأوراق.

- يوجد إيصال من نوع ما هنا، ليست لديَّ أي فكرة عن ماهيته.

أضافته إلى سطح المشعاع.

كان يمكن أن يصف وجهها بالجمال، حيث كانت لها ملامح قوية، وميل طفيف أسفل عظمتَي وجنتيها، وفم جميل. وما زالت تحت عينيها بقايا ملطخة من الكحل الذي وضعته هذا الصباح، لكن لم يكن هناك أثر لأي مساحيق تجميل

أخرى. كادت تبدو جميلة، لكن كانت هناك صلابة في ملامحها جعلت فكها يبدو مشدودًا، وألقت على وجهها الظلال حيث كان يجب أن ينيره الضوء.

- إيصال ثانٍ، وآخر غيره. منديل ورقي؟

مدته نحوه فهز رأسه، وألقته في النار.

- حسنًا، هذا هو كل شيء في الواقع. لا توجد أوراق هوية ولا أي شيء. أنت عبارة عن لغز تام.

سألتها رومين:

- ما اسمه؟

- لا أعرف اسمه، كما أنه هو أيضًا لا يعرف اسمه. لقد فقد ذاكرته.

قالت ذلك كما لو كان الأمر طبيعيًّا، فقطبت الفتاة الصغيرة جبينها.

- أين فقدها؟

ضحكت أليس وقالت:

- في الواقع يا رومين، أنتِ بارعة في تسمية الأشياء. إنه لا يستطيع أن يتذكر اسمه، ولا يمكننا أن نناديه من دون أن يكون له اسم. ماذا نسميه؟

حدقت إليه الفتاة الصغيرة للحظة، وافترض أنها ستأتي باسم طفولي وغير منطقي، لكنها ضيقت عينيها، وزمت شفتيها، ثم نطقت بعناية فائقة اسم فرانك.

تأملته أليس بإمعان وقالت:

- فرانك، نعم، فرانك. ممتاز، يا لكِ من فتاة ذكية.

داعبت خصلات شعر الفتاة، وابتسمت له قائلة:

- حسنًا يا فرانك، أعتقد أن حمَّامك صار جاهزًا الآن. هناك منشفة على فراشك، وصابونة بجانبها. ومن المفترض أن تكون البيتزا قد وصلت بحلول الوقت الذي تنتهي فيه من حمَّامك.

لم يتذكر أنه اختار أي بيتزا، كما لم يكن متأكدًا ما إذا كان فرانك هو اسمه الحقيقي. دفعته هذه المرأة للشعور بالدوار بسبب يقينها الصارم بكل شيء. لكنه يعرف أن جوربيه رطبان، وملابسه الداخلية رطبة، وبشرته رطبة، وأنه يشعر

بالبرد حتى النخاع، وأن ما يريده الآن، أكثر من أي شيء في العالم، هو أن يأخذ حمَّامًا ساخنًا.

تذكر شيئًا ما، وقال:

- أوه، ملابس جافة. أعني، لا أمانع ارتداء هذه مرة أخرى، أو ربما يمكنني...

- يمكن لكاي أن يعيرك سروالًا رياضيًّا وسترة ذات قلنسوة. سأتركهما لك عند الباب الخلفي.

قال:

- شكرًا لك. شكرًا جزيلًا.

عندما نهض ليغادر الغرفة، رآها تتبادل نظرة مع ابنها المراهق، ورأى قناع اللامبالاة البادي يختفي للحظة. بدا الصبي قلقًا ومنزعجًا، وهز رأسه على نحو طفيف، فردت عليه بإيماءة حازمة، لكنه تمكن من رؤية الخوف في عينيها أيضًا، كما لو أنها بدأت تشك في قرارها، كأنها بدأت تتساءل عن سبب وجوده في منزلها.

ففي النهاية، يمكن أن يكون أي شخص على الإطلاق.

٤

قالت الشرطية المدعوة «بيفرلي»:

- أخبريني قليلًا عن زوجك. كم عمره؟

سحبت ليلي حاشية قميصها إلى الأسفل، وساوت سطح القماش على بشرتها، وقالت:

- إنه في الأربعين.

رأت حاجب ضابطة الشرطة يرتفع نوعًا ما وهي تسألها:

- وأنتِ؟

قالت:

- أنا في الحادية والعشرين من عمري.

أرادت أن تصيح: لا أهمية للأمر، إنها مجرد تسعة عشر عامًا، في حياة ربما تصل إلى التسعين، فماذا في ذلك؟

- واسمه الكامل؟

- كارل جون روبرت مونروز.

- شكرًا لك. وهل هذا محل سكنه؟

أشارت إلى غرفة المعيشة الصغيرة في الشقة التي أقامت بها هي وكارل منذ عودتهما من شهر العسل في بالي.

قالت:

- نعم، بالطبع!

بمجرد أن قالت ذلك، أدركت أنها تصرفت بوقاحة، وأدركت أنها في بعض الأحيان قد يبدو سلوكها فظًّا للغاية بالنسبة إلى الأذواق البريطانية.

رمقتها الشرطية بنظرة، ثم خربشت بعض الكلمات على استمارة بقلم مزعج.

- أخبريني عن الأمس. في أي وقت رأيت زوجك آخر مرة؟

- لقد غادر في الساعة السابعة صباحًا. إنه يغادر كل صباح في الساعة السابعة.

- وأين يذهب إلى العمل؟

- إنه يعمل في لندن، في شركة خدمات مالية.

- وهل اتصلتِ بشركته؟

- نعم! كان ذلك أول شيء فعلته!

لا بد أن هذه المرأة تعتقد أنها حمقاء، لتتصل بالشرطة قبل أن تتصل بمكتبه.

- وماذا قالوا؟

- قالوا إنه غادر العمل في الوقت المعتاد، تمامًا كما توقعت أن يقولوا. يستقل كارل نفس القطار إلى المنزل كل يوم. لا يمكنه مغادرة العمل في وقت متأخر وإلا سيفوته القطار.

- حسنًا، وهل تحدثت معه؟ بعد أن غادر العمل؟

قالت:

- لا، لكنه أرسل إليَّ رسالة نصية، انظري.

فتحت هاتفها ووجهته نحو ضابطة الشرطة، وكانت الرسالة النصية موجودة بالفعل، وجاهزة للعرض.

أتعرفين ما الجنون؟ الجنون هو أنني أحبك الآن أكثر مما أحببتك هذا الصباح!

سأراك بعد ساعة! لو كان بإمكاني أن أجعل القطار يسير بسرعة أكبر لفعلت! أحضاني وقبلاتي.

قالت ليلي وهي تتصفح الرسائل المتبادلة بينهما:

- وانظري، هذا من اليوم السابق.

كيف يمكن أن يكون صحيحًا أن لديَّ زوجة مثلك؟ كيف حالفني الحظ إلى هذا الحد؟ لا أطيق صبرًا حتى أضمك بين ذراعَي. بقيت ثمانٍ وخمسون دقيقة!

قالت:

- أترين؟ هذا رجل يريد العودة إلى المنزل كل ليلة أكثر من رغبته في فعل أي شيء آخر. هل فهمتِ الآن لماذا أعلم أن مكروهًا قد وقع له؟

أعادت ضابطة الشرطة الهاتف المحمول إلى ليلي وتنهدت، ثم ضحكت قائلة:

- يبدو أنه واقع في الحب بشدة.

قالت ليلي:

- الأمر ليس مزحة.

توقفت الشرطية فجأة عن الابتسام، وقالت:

- لا، لم أقل إنه كذلك.

أخذت ليلي نفَسًا عميقًا. ذكَّرت نفسها بأن عليها بذل مزيدٍ من الجهد، عليها أن تحاول جاهدة كي تكون أكثر لطفًا. قالت:

- معذرة، أشعر بالتوتر الشديد. كانت الليلة الماضية هي أول مرة نبيت فيها منفصلين عن بعضنا. لم أنَم، ولا دقيقة واحدة.

لوحت بيديها في يأس قبل أن تعيدهما إلى حجرها.

لانت ضابطة الشرطة عندما رأت الدموع تترقرق في عينَي ليلي، وضغطت على يدها برفق.

ثم أبعدت يدها وقالت:

- إذن، لقد تلقيت الرسالة النصية في الخامسة من مساء أمس. وبعد ذلك...؟

- لا شيء، لا شيء. اتصلت به للمرة الأولى بعد الساعة السادسة مباشرة، ثم عاودت الاتصال به مرارًا وتكرارًا حتى نفد شحن هاتفه.

صمتت ضابطة الشرطة للحظة، وشعرت ليلي بأنها بدأت تفهم الأمر للمرة الأولى، وأنه لأول مرة منذ غياب كارل عن المنزل الليلة الماضية، صدق شخص ما أخيرًا أنه قد يكون مفقودًا بالفعل، وليس في فراش امرأة أخرى.

- من أين يستقل القطار؟

- من محطة فيكتوريا.

- وهل يستقل نفس القطار دائمًا؟

- نعم، القطار الذي يتجه إلى شرق جرينستيد في الساعة الخامسة وست دقائق.

- ومتى يصل إلى أوكستيد؟

- في الخامسة وأربع وأربعين دقيقة. ثم تستغرق الرحلة من المحطة إلى هنا خمس عشرة دقيقة سيرًا على الأقدام. لذا فهو يعود إلى المنزل في الخامسة وتسع وخمسين دقيقة، كل ليلة. كل ليلة.

- وهل تعملين يا سيدة مونروز؟

- لا، أنا أدرس.

- أين؟

هزت كتفيها وقالت:

- هنا، إنها دورة بالمراسلة، لتعليم المحاسبة. هذا ما كنت أدرسه في وطني، في أوكرانيا. تركت الكلية لأكون هنا مع كارل، لذا أنهي الآن ما بدأته.

- منذ متى وأنتِ هنا؟ في المملكة المتحدة؟

- منذ أسبوع واحد، وثلاثة أيام.

قالت الشرطية:

- يا للعجب! ليس منذ فترة طويلة.

- نعم، ليس منذ فترة طويلة.

- لغتك الإنجليزية ممتازة.

- شكرًا لك، والدتي مترجمة، وقد حرصَت على أن أتقن التحدث بالإنجليزية كما تتقنها هي.

غطت ضابطة الشرطة قلمها ونظرت إلى ليلي بإمعان وقالت:

- كيف التقيتما؟ أنتِ وزوجك؟

- من خلال والدتي. كانت تترجم في مؤتمر للخدمات المالية في كييف، وكانوا بحاجة إلى أشخاص للاعتناء بالوفود كما تعلمين، لنريهم المكان، ونطلب لهم سيارات أجرة، وما شابه ذلك. كنت بحاجة إلى المال، لذا كُلفت بأن أكون مسؤولة عن كارل وبعض زملائه. وبدا واضحًا منذ اللحظة الأولى أنني سأتزوجه. منذ اللحظة الأولى.

حدقت الشرطية إلى ليلي وبدا عليها الذهول، وقالت:

- مدهش، يا له من شيء لا يصدق!

قالت ليلي:

- نعم، كان شيئًا لا يصدق على الإطلاق.

وضعت الشرطية قلمها في جيبها وطوت دفتر ملاحظاتها وقالت:

- حسنًا، سأرى ما يمكنني فعله. لست متأكدة من أن ما لدينا حتى الآن كافٍ لاعتبار هذه الحالة قضية شخص مفقود. لكن عاودي الاتصال إذا لم يظهر الليلة.

هوى قلب ليلي في صدرها، ثقيلًا كالصخر، وقالت:

- ماذا؟

قالت الشرطية:

- أنا متأكدة من عدم وجود خطب في الأمر. بصراحة، في تسع حالات من أصل عشر، يكون الأمر مجرد شيء عادي تمامًا. أنا متأكدة أنه سيعود إلى المنزل قبل موعد النوم.

قالت ليلي:

- حقًّا؟ أعرف أنك لا تصدقين ذلك، وأعرف أنك تصدقينني. أعلم هذا.

تنهدت الشرطية.

- إن زوجك رجل ناضج، وهو ليس عرضة للخطر. لا يمكنني فتح تحقيق، لكن ما رأيك لو تحققت من بياناته في قاعدة بياناتنا، لأرى ما إذا كان أي شخص يطابق مواصفاته قد أُحضر إلى مركز الشرطة لأي سبب من الأسباب.

وضعت ليلي يدها على قلبها.

- أُحضر إلى مركز الشرطة؟

- نعم، كما تعلمين، أُحضر إلى مركز الشرطة للاستجواب. وسأراجع المستشفيات المحلية، لأرى إن كانوا قد عالجوه.

- يا إلهي.

ظلت ليلي تتخيل هذا طوال الليل: كارل تحت عجلات إحدى الحافلات، أو طُعن وتُرك ليموت في نفق، أو يطفو ووجهه للأسفل في مياه نهر التيمز المظلمة.

- هذا كل ما أستطيع فعله الآن.

أدركت ليلي أن ضابطة الشرطة تسدي إليها معروفًا، فحاولت الابتسام وقالت:

- شكرًا لك، أقدر ذلك حقًّا.

- لكنني سأحتاج إلى صورة فوتوغرافية له. هل لديكِ صورة حديثة؟

- نعم، نعم، بالطبع.

فتشت ليلي في حقيبة يدها، ثم فتحت محفظتها وأخرجت منها الصورة الملتقطة في كشك التصوير التي تحتفظ بها هناك. بدا كارل جادًّا ووسيمًا. ناولت الصورة للشرطية، وتوقعت منها الإدلاء بتعليق حول وسامته الشديدة، أو ربما ذكر شيء ما عن مدى الشبه بينه وبين بن أفليك. لكن الشرطية لم تفعل ذلك، بل وضعت الصورة ببساطة في دفتر ملاحظاتها وقالت:

- سأعيدها إليك، أعدك بهذا. في هذه الأثناء، تحدثي إلى أصدقائه وعائلته وزملائه. ربما يستطيع شخص ما إلقاء بعض الضوء على الأمر.

بعد رحيل ضابطة الشرطة، وقفت ليلي لبضع لحظات وحدقت من النافذة. كان هناك موقف سيارات صغير بالأسفل، حيث أوقف كارل سيارته السوداء من طراز أودي A5، عقب رحلتهما إلى السوبرماركت يوم الأحد. وكان مجرد التفكير في التسوق مع كارل في السوبرماركت كافيًا لجعلها ترغب في التكور على نفسها والنحيب.

ثم استدارت لتواجه منزلهما: الشقة التي اختارها كارل لهما، شقة جديدة تمامًا في مبنى جديد تمامًا، حيث لم يستخدم أحد المطبخ قَطُّ قبلهما، وحيث كان غطاء المرحاض لا يزال مغطى بشريط ورقي. مكان جديد تمامًا لبدء حياتهما الجديدة. بقلب مثقل، شرعت تفتح الأدراج وتفتش بين الأوراق، في محاولة للعثور على الشيء الصغير الوحيد الذي لا تعرفه عن زوجها والذي قد يكشف لغز مكان وجوده.

٥

توقف المطر أخيرًا في الخامسة صباحًا، وحوَّل شروق الشمس اللطيف السماء إلى اللون الرمادي الفضي، واستفاقت أليس بفعل الصخب الوقح لأصوات العصافير وجلبة القوارب المدفوعة عبر المنحدر باتجاه البحر. بدا استيقاظها قاسيًا، إذ إنها نامت منذ ساعة واحدة فقط، بعد أن أمضت الساعات الخمس السابقة في حالة من اليقظة الشديدة، منتبهة لكل تغيير في نغمة الضوضاء السائدة في الخلفية، وكل صرير من المنزل القديم، وكل شعاع من ضوء القمر يرتد من على سطح البحر على الجانب الآخر من نافذتها.

لم تكن هذه المرة الأولى التي ينام فيها رجل غريب في الاستوديو، حيث أجَّرته للعديد من الغرباء على مر السنين. وكان بينهم غرباء أكثر غرابة من فرانك بكثير، لكنها على الأقل كانت تعرف من هم، ومن أين أتوا، وسبب وجودهم هناك. كانوا يوجدون في إطار سياق محدد.

لكن هذا الرجل، «فرانك»، دخل المسرح من جهة اليسار، بصمت، ومن دون أي نص مكتوب. وعلى الرغم من شخصيته الجذابة – وكان جذابًا بالفعل – فإن الأمر كان مثيرًا للقلق. لم تكشف قصاصات الورق الموجودة في جيوبه شيئًا إلا أنه سافر إلى خليج رايدنجهاوس من كينجز كروس ليلة الثلاثاء، وأنه أنفق

في وقت آخر مؤخرًا ثلاثة وعشرين جنيهًا إسترلينيًّا في متجر روبرت دارياس، واشترى كعكة وعلبة كولا من سينسبري.

ظهر في المطبخ بعد الاستحمام مرتديًا ملابس كاي، وبدا متوردًا ومرتبكًا ومحرجًا للغاية. كان شعره البني الكثيف رطبًا ومموجًا، وكان حافي القدمين، وظنت أليس أن قدميه جميلتان. راقبته وهو يتناول البيتزا، ورأته يحاول السيطرة على رغبته في دفعها داخل حلقه بنهم شديد. عرضت عليه البيرة فبدا مرتبكًا للحظة، كأنه يحاول تقرير ما إذا كان يشرب البيرة أم لا. فقالت له:

– هيَّا جرب، على الأقل سنعرف ذلك عنك إذن.

لذا تناول البيرة، وبدا الأمر مربكًا بعض الشيء حيث وقف الأربعة يأكلون البيتزا مع رجل ضخم خائف يرتدي سترة مراهق. كان من الصعب حقًّا معرفة ما يجب قوله.

عندما ذهب إلى الفراش التفت أولادها جميعًا ونظروا إليها باستنكار وبرود.

في النهاية، تمكنت جازمين من الحديث قائلة:

– ما هذا الذي تفعلينه يا أمي؟

قالت:

– أين ذهب شعورك بالشفقة؟ إنه رجل مسكين، لا يمتلك سترة ولا مالًا.

ثم أشارت باتجاه نافذة المطبخ، نحو قطرات المطر الضخمة الغاضبة التي تضرب الزجاج وتابعت:

– وسط هذا الطقس.

أضاف كاي قائلًا:

– هناك أماكن أخرى كان بإمكانه الذهاب إليها.

قالت:

– حقًّا؟ مثل ماذا؟

– لا أدري، يمكنه استئجار أي غرفة للمبيت والإفطار.

– ليس لديه مال يا كاي، هذا هو بيت القصيد.

- نعم، حسنًا، لا أعرف لماذا تخصنا هذه المشكلة.

تنهدت أليس على الرغم من أنها تعرف أن أولادها على حق، وقالت:

- بحق السماء يا أولاد! ألم يَعُد لديكم أي قدر من الإنسانية؟ ما الذي يعلمونكم إياه في المدرسة هذه الأيام؟

- اممم... عن المتحرشين بالأطفال والمحتالين والمتلصصين والمغتصبين و...

قاطعته قائلة:

- هذا ليس صحيحًا، إن وسائل الإعلام هي التي تعلمكم كل ذلك، وقد أخبرتكم جميعًا مليون مرة: إن الناس طيبون بطبيعتهم. إنه روح ضالة، وأنا السامري الصالح. وسيكون قد رحل بحلول هذا الوقت غدًا.

قال كاي:

- فلتغلقي الباب الخلفي، بالمفتاح والمزلاج.

استخفت بقلقه حينها، لكن في وقت لاحق، بعد أن صاحت «تصبح على خير» في المساحة المظلمة الفاصلة بين الباب الخلفي والاستوديو، أغلقت الباب خلفها بالمفتاح، والمزلاج أيضًا. بعد ذلك، نامت بصعوبة. تخيلت بين الحين والآخر يد رجل ضخمة مطبقة بإحكام على الفك الناعم لطفلتها النائمة، وعيناها الخضراوان متسعتان من الرعب. أو وقع خُطى رجل غريب في غرفة معيشتها، يفتح الأدراج في هدوء بحثًا عن الذهب وأجهزة الآيباد. أو ابنتها الكبرى التي يتلصص على خيالها بينما هي تخلع ملابسها غافلة أمام النافذة، على الرغم من أن نافذتها تواجه الجانب الآخر في الواقع. كما أنها لن تفعل ذلك على أي حال، لأن الفتاة السخيفة كانت تعتقد أنها بدينة. وحتى مع ذلك...

تخلت أليس عن فكرة النوم، وقررت الاستفادة من الاستيقاظ مبكرًا. عبرت الغرفة وفصلت جهاز الآيباد من الشاحن، وفتحت تطبيق كاميرا الويب، وراقبت غرفة معيشة والديها الخالية لفترة من الوقت. منذ أن أصبح كلاهما... حسنًا، مريضين، هكذا تفضل الإشارة إلى الأمر، بدلًا من القول إنهما مصابان بالخرف،

أو فقدا عقليهما وجنًّا تمامًا، أخذا يستيقظان في وقت متأخر أكثر فأكثر. كان مقدم الرعاية في الفترة الصباحية يأتي في الساعة العاشرة، وكان يضطر إلى استدراجهما للنهوض من الفراش مثل مراهقين متعطشين للنوم.

أغلقت جهاز الآيباد وفتحت ستائرها. بدا البحر مسطحًا كالبطانية بعد المطر، وتحول إلى اللونين الوردي والأصفر مع شروق الشمس فوقه، في مشهد رائع مثل الكاريبي. وكانت أنوار الزينة لا تزال مضاءة، وكذلك أنوار الشارع، وبدا رصيف الشارع لامعًا وحالكًا كالبترول. لم يكن في الإمكان أن يبدو المشهد أجمل من ذلك.

استحمت أليس، ثم تحركت بهدوء في أرجاء المنزل حيث لم ترغب في إيقاظ أحد في وقت أبكر من اللازم. تفحصت نفسها في غرفتها، وهي في العادة لا تجد الوقت لذلك، حيث إنها غالبًا ما تستيقظ في الوقت المناسب لضمان أنها لن تغادر المنزل من دون تبديل ملابسها فحسب. أدركت أن مظهر شعرها يشارف حد الغرابة. بدت آخر عملية تفتيح لخصلات شعرها جريئة للغاية، أو كما قالت جازمين في ذلك الوقت، مخططة. لكن جذور شعرها بدأت تنمو الآن، وظهرت باللون الرمادي. كما أن خروجها تحت المطر كثيرًا في اليوم السابق أضر به إلى حد بعيد.

مسحت آثار كحل الأمس الذي وضعته على عجل، وبدأت تفتش في الدرج العلوي لمنضدة زينتها عن حقيبة أدوات مكياجها، التي تستخدمها عادة في المناسبات الخاصة فقط. قالت لنفسها إنها تفعل هذا لأن لديها الوقت، وأن الأمر لا علاقة له بالرجل الوسيم الموجود في غرفة الاستوديو الخاصة بها. جمعت خصلات شعرها الأشقر المجنون ورفعته إلى الأعلى في شكل كعكة، ثم ارتدت بنطال جينز نظيفًا، وقميصًا منقوشًا بالمربعات يغطي بطنها، لكنه يلتصق بخفة بمحيط صدرها، وزوج الأقراط المفضل لديها، المرصع بأحجار زرقاء مائلة إلى الخضرة تحاكي لون عينيها.

عادة ما يصف الرجال أليس بأنها امرأة مثيرة، ورثة الهيئة أيضًا. لم تتاجر

قَطٌّ بكونها جميلة، ولم تتصور قَطٌّ أنها ستبدو أفضل حالًا لو أنها ارتدت فستانًا ضيقًا وحذاءً ذا كعب عالٍ (على الرغم من أنها لا تخسر شيئًا عندما تبذل جهدًا في الأمر). في العموم، لا تكترث أليس لمظهرها، لكن لسبب غريب، لم يكن الأمر كذلك هذا الصباح.

ظهرت رومين عند باب غرفة نومها، وشعرها الأشقر المجعد مشعث، وسروال بيجامتها المصنوعة من قماش الجيرسيه متدلٍّ عند منفرج ساقيها. تسللتا على أطراف أصابعهما ونزلتا مع جريف على الدرج الضيق المفتوح المؤدي إلى الردهة، واستقبلتهما الكلبتان في صمت وقد فتحتا فميهما بابتسامات سوداء الشفاه، وهما تضربان بلاط الأرضية الحجري بذيليهما. حبست أليس أنفاسها بقلق عندما دخلوا المطبخ، مدركة ما يكمن على الجانب الآخر من الباب الخلفي، ومتوترة بسبب عدم معرفة ما يحمله لها اليوم الممتد أمامها. ملأت أوعية طعام الكلاب باللحم، وأعدت لرومين خبز بيجل محمصًا بزبدة الفول السوداني، ثم أعدت لنفسها كوبًا كبيرًا من الشاي، وطبقًا من حبوب الإفطار بالنخالة. وطوال الوقت، ظلت تراقب الباب الخلفي بطرف عينها، بتساؤل واضطراب.

لكن بحلول الساعة الثامنة والنصف، استقل كاي وجازمين حافلة المدرسة، وخرجت هي من المنزل مع الكلاب ورومين، من دون أن يظهر أي أثر له. بدا الاستوديو ساكنًا وصامتًا، كأنه لا يوجد أحد هناك على الإطلاق.

تأملتها ديري بفضول عند بوابات المدرسة التي بدأ الحارس يفتحها للتو، وقالت:

- لقد وصلتِ مبكرًا، و...

أمعنت في النظر إليها وتابعت:

- أنتِ تضعين المكياج.

قالت أليس:

- لا أهمية للأمر.

- ما الذي يحدث؟

قالت رومين:

- لقد دخل الرجل، ذلك الرجل المبلل من الشاطئ.

أدارت أليس عينيها في محجريهما وصححت لها قائلة:

- لم يدخل، بل دعوته أنا للدخول، كي يجفف نفسه ويستحم ويتناول شيئًا ليأكله. أنا متأكدة أنه رحل بالفعل الآن.

لكن عندما وصلت إلى المنزل بعد أربعين دقيقة، كانت الستائر مفتوحة في الاستوديو وأمكنها رؤية الحركة في الداخل. مسحت البقع الموحلة المتسخة التي خلفتها الكلاب بمنشفة قديمة، وتفقدت انعكاسها في المرآة للحظة وجيزة، ثم شغلت الغلاية.

*

كانت أحلامه غريبة الليلة الماضية، فبعد ساعات طويلة من الخواء، وذهنه خالٍ تمامًا، بدا الانغماس فجأة في هذا العالم الأثيري من الناس والتجارب والأماكن أمرًا مثيرًا للغاية. تشبث بشظايا الحلم الباهتة بينما هو يستعيد وعيه، مدركًا أنه قد يكون شيء ما هناك، دليل يعيده إلى نفسه، لكنها طفت بعيدًا للأسف، على نحو غير ملموس.

اعتدل جالسًا في الفراش، وفرك وجهه بقوة. كانت الستائر في هذه الغرفة رقيقة، والضوء في الخارج باللون الأزرق الداكن المميز للصباح التالي للمطر. سمع خشخشة عند بابه، وحدق من خلال الستائر إلى عينَي كلب داكنتين بلون التراب. بدا الكلب كما لو كان على وشك أن يبتسم، لكن فمه تمدد أكثر حتى كشف عن أسنانه ولثته، وزمجر الكلب، فأسدل الستارة. اعتقد أنه يستطيع على الأقل أن يتذكر أين هو الآن. على الأقل يمكنه أن يتذكر الشاي في الترمس، والبيتزا في المطبخ، وامرأة طويلة الساقين بشعر أشقر كثيف، وأخذ حمَّام ساخن في حمَّام ينمو به العفن ويتردد داخله الصدى. كما يتذكر اسم فرانك، الذي أطلقته عليه الليلة الماضية الفتاة الصغيرة ذات الشعر الذهبي المجعد.

أراد الذهاب إلى الحمَّام، كما أراد تنظيف أسنانه بالفرشاة، لكن الكلب جن

جنونه خارج الباب، ولم تكن لديه أي فكرة عما إذا كان واحدًا من تلك الكلاب التي تنبح من أجل التسلية فقط. كان من نوع... فتش في ذهنه عن اسم الفصيلة، لكنه اختفى، على فرض أنه كان يعرفه في الأساس. لكنه كان من ذلك النوع من الكلاب التي يقتنيها المجرمون، مفتول العضلات وله فك مربع ضخم.

فتح الستارة وحدق إلى الكلب، فنبح الكلب بصوت أعلى. ثم ظهرت أليس من الباب الصغير في الجزء الخلفي من المنزل، وبدت غاضبة وهي تصيح بشيء ما في وجه الكلب، وقبضت عليه من طوقه. حينها رأت وجهه، فتقدمت نحوه.

سألته وهي تناوله كوبًا من الشاي بيد، وتمسك الكلب باليد الأخرى:

- هل تذكرت من أنت بعد؟

تناول منها الكوب وقال:

- لا، ما زلت لا أعرف. راودتني الكثير من الأحلام الغريبة، لكنني لا أستطيع تذكر أيٍّ منها.

هز كتفيه ووضع الكوب على الطاولة الموجودة بجانب الباب.

قالت:

- حسنًا، تعالَ إلى الداخل عندما تكون مستعدًّا. سأترك لك الباب مفتوحًا. يمكنني أن أعد لك بعض الفطور إذا كنت جائعًا، لديَّ بيض طازج.

ساد الهدوء في الكوخ عندما حنى رأسه ليمر من الباب الخلفي بعد قليل، ولم يكن هناك وجود للأولاد. انشغلت أليس بمطالعة شيء ما على شاشة جهاز آيباد، وأخذت تتنهد كثيرًا.

سألها:

- أين الجميع؟

نظرت إليه كأنه غبي، وقالت:

- في المدرسة.

- آه، نعم، بالطبع.

أغلقت جهاز الآيباد وطوت غطاءه.

- هل تعتقد أن لديك أطفالًا؟

لم تخطر هذه الفكرة على باله.

- يا إلهي، لا أدري، ربما. ربما لديَّ الكثير. لا أعرف حتى كم عمري. كم عمري في رأيك؟

تفحصت وجهه بعينيها الملطختين، بلونهما الأزرق المائل إلى الخضرة، وقالت:

- ما بين الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين على ما أعتقد.

أومأ برأسه وسألها:

- وكم عمركِ أنت؟

- ليس من المفترض أن تطرح مثل هذا السؤال على سيدة.

- معذرة.

- لا بأس، فأنا لست سيدة حقًّا. أنا في الحادية والأربعين من عمري.

- وأولادك، ماذا عن أبيهم؟

قالت:

- تقصد آباءهم. لقد فشلت تمامًا في مجال توفير أسرة تقليدية لأولادي. كان والد جازمين مجرد علاقة رومانسية عابرة خلال قضاء عطلة في البرازيل. ولم أعلم أنني حامل إلا بعد أسبوعين من عودتي إلى المنزل، ولم تكن لديَّ أي وسيلة لتعقبه. أما والد كاي فكان جاري في بريكستون، وكنا - معذرة على التعبير - نتضاجع فحسب. وقد اختفى ذات يوم، عندما كان كاي في الخامسة من عمره تقريبًا. انتقلت أسرة جديدة للإقامة في منزله، وانتهى الأمر. وكان والد رومين هو حب حياتي، لكن...

صمتت للحظة ثم تنهدت وتابعت قائلة:

- جن جنونه، واقترف شيئًا فظيعًا، وهو يعيش في أستراليا الآن، لذا...

انتظر محاولًا العثور على شيء يقوله من دون أن يبدو كأنه يهينها.

- هل سبق لك أن تزوجتِ من قبل إذن؟

ضحكت بسخرية.

- لا، لم أتمكن قَطُّ من اصطياد رجل.

توقف عن الحديث مرة أخرى، ونظر إلى يديه.

- أنا لا أرتدي خاتم زواج.

- لا، أنت لا ترتدي خاتمًا، لكن على الرغم من ذلك فهذا لا يعني أنك غير متزوج. فقد تكون واحدًا من أولئك الأوغاد الذين يرفضون ارتداء خاتم زواج.

قال بتردد:

- نعم، أعتقد ذلك.

تنهدت ودفعت كُمَّي قميصها المنقوش بالمربعات إلى أعلى ذراعيها، وبدا أن لديها جزءًا طويلًا غائرًا بين عظمة الكعبرة وساعدها، مما ذكره بشخص ما.

ثم حدث ذلك فجأة! على الفور، وبشدة، استحضر والدته. كان لدى والدته مثل هذا الجزء الغائر، كما كان لديها أيضًا ذلك الجزء الصغير من الجلد المتغضن عند طرف مرفقها، الذي لاحظه عند أليس بالأمس. لديه أُمٌّ. أم لها ذراعان! ابتسم وقال:

- لقد تذكرت شيئًا للتو! تذكرت للتو ذراعَي والدتي.

ابتهجت قائلة:

- أوه، هذا جيد. هل يمكنك تذكر أي أجزاء أخرى من جسدها؟

هز رأسه بأسى.

قالت:

- اسمع، لقد دخلت إلى جوجل الليلة الماضية، كي أبحث عن الأعراض التي تعانيها. فعلى ما يبدو، ما لم يكن هذا الأمر برمته مجرد مزحة هائلة، أنت تعاني حالة تُسمَّى «الشرود الانفصالي».

- حسنًا.

- هل يعني ذلك أي شيء بالنسبة إليك؟

- لا.

مررت يدها على جبينها وقالت:

- حسنًا إذن، إنه نوع من فقدان الذاكرة، لكنه لا يحدث بسبب إصابة في الرأس أو تناول الكحول أو المخدرات أو أي شيء من هذا القبيل، بل يحدث عادة بسبب صدمة عاطفية، أو صدمة للدماغ. ويمكن أن يكون ذلك غالبًا بسبب رؤية أو تذكر شيء ما من ماضيك، ربما كنت تحاول كبته. يتوقف الدماغ نوعًا ما عن العمل، كآلية حماية ذاتية، ويفعل الناس ما فعلته أنت: يظهرون في أماكن عشوائية من دون أن يتذكروا من هم، أو من أين أتوا، أو ما الذي يفعلونه هناك بحق الجحيم. إنه أمر مثير للغاية في الواقع.

- وما الذي يحدث لهؤلاء الأشخاص الآخرين؟ أعني، هل سأتعافى؟

- حسنًا، هذه هي الأخبار الجيدة. أعني، جيدة إلى حد ما. جميعهم يتعافون. أحيانًا خلال ساعات، وأحيانًا خلال أيام، وأحيانًا بضعة أسابيع. لكن الأمر مؤقت، وستستعيد ذاكرتك.

قال وهو يومئ ببطء:

- مدهش.

شعر بالخدر، وأدرك أنه يجب أن يكون مسرورًا، لكن بدا من الصعب استيعاب مفهوم تذكر من يكون، في حين أنه لا يستطيع أن يتذكر من هو.

تابعت قائلة:

- وانظر أيضًا، لقد تذكرت ذراع والدتك للتو. أعني، هذا لا يُعَد كشفًا بالتحديد، لكنه يوضح أن كل شيء لا يزال موجودًا، في انتظار أن تفتحه فحسب. لذا فإن السؤال المهم هو: ما الذي سنفعله الآن؟

- ماذا تعنين؟

ما الذي سنفعله الآن. كانت عبارة لا تحمل أي معنى بالنسبة إليه.

- أعني أنه ربما ينبغي لنا الذهاب إلى الشرطة، أليس كذلك؟

كان رد فعله لهذا الاقتراح شديدًا، حيث انقبضت جميع عضلاته، وتكورت

قبضتاه بإحكام، وتسارعت أنفاسه كما تسارع نبضه. كانت هذه أقوى فورة من المشاعر التي هاجمته منذ أن وجد نفسه على الشاطئ قبل ليلتين.

أجاب بأقصى ما يستطيعه من الهدوء:

- لا.

لكنه استطاع سماع... ما الذي سمعه بالتحديد؟ نبرة غضب؟ خوف؟ أحس بذلك في وقع صوته. أحس كأنه يصد شخصًا ما، ويدفعه بقوة إلى جدار، وشعر بأنفاس حارة على وجنته. كرر قائلًا بهدوء أكثر:

- لا، لا أعتقد أنني أريد فعل ذلك. أعتقد... هل يمكنني البقاء هنا لليلة أخرى فقط؟ لأرى إن كنت سأستعيد ذاكرتي أو لا. ربما يمكننا الذهاب في وقت لاحق، إذا...

أومأت أليس، لكنه شعر بأنها غير مقتنعة، وقالت بعد صمت قصير:

- بالتأكيد، ليلة واحدة إضافية، بالطبع. لكن بعد ذلك، إذا كنت لا تزال لا تتذكر من أنت بحق الجحيم، ولأنني عادة ما أؤجر تلك الغرفة كمصدر إضافي للدخل كما تعلم، لذا...

- أتفهم ذلك. ليلة واحدة أخرى.

ابتسمت بتردد وقالت:

- حسنًا، لكن في هذه الأثناء، استمر في استحضارها، أعني ذكرياتك.

ثم نهضت والتقطت كرتونة من البيض الطازج للغاية، إلى درجة أنه كان هناك ريش لا يزال ملتصقًا بالورق المقوى. سألته:

- هل تريده مقليًّا؟ أم مخفوقًا؟

قال:

- ليست لديَّ أي فكرة. فلتقرري أنت.

٦

جلست ليلي في غرفة الانتظار في مركز الشرطة، ممسكة حقيبة تحتوي على ألبوم صغير من صور الزفاف وجواز سفر كارل. لم تعثر على أي شيء آخر خلال بحثها في أدراجه وصناديق ملفاته، لا شيء على الإطلاق. لم تكن هناك شهادة ميلاد، ولا وثائق هوية من أي نوع. كان هناك درج واحد مغلق، لكن عندما أدخلت فيه يدها من الدرج الكائن أعلاه، بدا لها أنه فارغ. ظنت الأمر غريبًا نوعًا ما، لكنها افترضت أن كل شيء لا بد أن يكون في منزل والدته. كان كارل رجلًا منظمًا يفضل البساطة، وبدا من المنطقي ألا يرغب في تكديس الأشياء التي لا حاجة إليه بها في شقته الجديدة الجميلة.

في يدها الأخرى، كانت تمسك كوبًا ورقيًّا من القهوة. ما كان ينبغي لها أن تشتريه، إذ لم يكن بحوزتها سوى ثمانية وثلاثين جنيهًا نقدًا في حقيبتها، ولم يكن بوسعها الوصول إلى أي حساب مصرفي. اعتاد كارل دفع ثمن كل شيء، وكان سينشئ لها حسابًا مصرفيًّا منفصلًا، يودع لها المال فيه كل شهر حتى تنتهي من دورة المحاسبة التي تدرسها. سيتعين عليها أن تطلب من والدتها إرسال بعض المال لها، لكنها تعلم أن الأمر سيستغرق بعض الوقت حتى تتمكن والدتها من ذلك. لم يكن لديها إذن سوى ثمانية وثلاثين جنيهًا. ما كان ينبغي لها شراء كوب القهوة الكبير، لكنها كانت بحاجة إليه، إذ لم تنَم على الإطلاق.

ظهرت ضابطة الشرطة الضخمة المدعوة «بيفرلي» وعلى وجهها ابتسامة صغيرة.

- صباح الخير سيدة مونروز، هلَّا رافقتني من هذا الطريق؟ سأجد غرفة يمكننا التحدث فيها.

تبعتها ليلي عبر الرواق، إلى غرفة صغيرة تفوح منها رائحة الكعك غير الطازج.

قالت ضابطة الشرطة بينما جلستا:

- حسنًا، لم يظهر أي أثر للسيد مونروز بعد على ما أظن؟

- لا، بالطبع، وإلا لما كنت هنا.

- إنه مجرد تعبير يا سيدة مونروز.

قالت ليلي:

- نعم، أفهم ذلك.

قالت بيفرلي بابتسامة غريبة:

- إذن فأنتِ تريدين تقديم بلاغ رسمي عن شخص مفقود.

ضغطت زر قلمها، وقلبت صفحة في دفتر ملاحظاتها.

- نعم، من فضلك.

- لقد أدخلت اسم زوجك في نظام الحاسوب بالأمس يا سيدة مونروز، ولم تظهر أي نتائج. إنه ليس في أيٍّ من مستشفيات لندن، كما لم يظهر شيء في أيٍّ من مراكز شرطة العاصمة.

لم تكن لدى ليلي أي فكرة عن ماهية «مراكز شرطة العاصمة»، لكنها أومأت برأسها، لأنها كانت متأكدة بالفعل أن هذه المرأة تعتقد أنها حمقاء، وقالت:

- وماذا عن أقسام الشرطة؟ هل بحثت هناك؟

رمقتها بيفرلي بنظرة غريبة، وأجابت:

- نعم، كما قلت، لم يظهر شيء.

أومأت ليلي مجددًا وقالت:

- على أي حال، لقد بحثت في الشقة عن أي شيء يمكنني العثور عليه، وكما تعلمين، فهي شقة جديدة، انتقلنا إليها للتو. أعتقد، على الأرجح، أنه ترك كل أوراقه عند والدته.

- وهل تواصلتِ مع والدته؟

- لم أفعل، فلا أعرف أين تعيش، ورقم هاتفها مخزن على هاتف كارل، وليس مدونًا في أي مكان.

- ما اسمها؟

- ماريا، أو شيء من هذا القبيل.

- ماريا مونروز إذن؟

نظرت إلى ليلي للتأكد قبل أن تدونه، ثم تابعت:

- وأين تعيش؟

- لا أعرف. في مكان ما إلى الغرب يبدأ بحرف السين.

تجهمت بيفرلي واقترحت قائلة:

- سلاو؟ سويندون؟

هزت ليلي كتفيها وقالت:

- لا أدري، ربما.

- حسنًا، ماذا عن أفراد الأسرة الآخرين؟ الإخوة؟ الأخوات؟

- لديه أخت تدعى سوزان، أو شيء من هذا القبيل، تعيش في نفس المكان.

- هل هي متزوجة؟

- لا أعرف. نعم، أظن ذلك. أعتقد أن هناك ابن أخت.

- إذن، ربما يكون اسمها سوزان مونروز، وربما لا.

دوَّنت ضابطة الشرطة الاسم.

رفعت ليلي الحقيبة فوق حجرها، وفتشت بحثًا عن جواز السفر، ثم وضعته أمام بيفرلي وقالت:

- لقد وجدت هذا.

تصفحته بيفرلي وقالت:

- إنه لا يزال ساريًا، وهذا جيد. على الأقل يمكننا استبعاد احتمال أن يكون قد سافر إلى الخارج.

أصدرت ليلي صوتًا ينم عن الاستهزاء، وقالت:

- بالطبع لم يفعل.

رأت بيفرلي تدير عينيها في محجريهما، وتطلق تنهيدة صغيرة بنفاد صبر، قبل أن تقول:

- سأحتاج إلى الاحتفاظ بهذا.

ثم تابعت وهي تلمس جواز السفر:

- سأكشف عنه في نظام الحاسوب لدينا.

- بالتأكيد، وهاك هذا أيضًا.

مررت ليلي ألبوم الصور عبر الطاولة باتجاه بيفرلي، وتابعت:

- هناك صور أفضل له، يبتسم فيها، كي يمكنك الحصول على فكرة أوضح عن أي نوع من الرجال هو. حتى يمكنك أن تري أنه كان سعيدًا، ولم يكن على وشك الهروب مني.

راقبت بيفرلي وهي تقلب الألبوم.

- وكان هذا في...؟

- في كييف، نعم. أراد أن يتزوجني في بلدي الأصلي، كي أكون محاطة بعائلتي وأصدقائي. أرادني أن أكون سعيدة ومسترخية، لا متوترة في مكان غريب وسط أناس غرباء. إنه أفضل رجل في العالم. وهو صديقي، وأبي، وحبيبي، وزوجي، وكل شيء.

أدركت أن قبضتها مشدودة على قلبها، والدموع في عينيها، فقالت:

- معذرة.

قالت بيفرلي:

- لا داعي للاعتذار، فمن البديهي أن يكون شعورك على هذا النحو. والآن، هل هناك أي شخص يمكنك الاتصال به؟ أي أقارب في هذا البلد؟ أي شخص يمكنه البقاء معك لفترة من الوقت؟ ليعتني بك؟

ضمت يديها معًا في حجرها وقالت:

- لا، لا يوجد أحد هنا.

قالت بيفرلي:

- أوه، هذا مؤسف. حسنًا، ربما يمكنك أن تطلبي من شخص ما من بلدك أن يأتي لفترة من الوقت.

- نعم، ربما.

لاحقًا، على الدرج المؤدي إلى شقتها، غمر ليلي مزيج فظيع من الإثارة والرهبة. فكرت: هل يمكن أن يكون هناك، على الجانب الآخر من الباب؟ جالسًا مرتديًا قميصه المجعد وربطة عنقه، ولديه قصة مصيبة ما؟ لكنها أدركت مع وقع كل خطوة من خطواتها أنه لن يكون هناك. دفعت الباب، فانفتح على خواء من الوحدة. بدا السكون مروعًا. لم يسبق أن كانت وحيدة من قبل. وقفت للحظة، تترنح قليلًا في وقفتها كأن الفراغ أمسكها، ويحاول إجبارها على مواجهة الواقع. سمعت قطرة ماء واحدة ترتطم بقاع حوض المطبخ، ودوي الثلاجة، وصوت فتح وإغلاق الباب الأمامي في الطابق السفلي. ثم جفلت عند سماع صوت الهاتف.

هرعت إلى الهاتف والتقطته.

- نعم؟

- مرحبًا، أنا ضابطة الشرطة ترافيس. هل هذه السيدة مونروز؟

- نعم، هذه أنا.

- سبب اتصالي هو أن... حسنًا، إنه أمر غريب بعض الشيء، لكن عندما

أدخلنا جواز سفر زوجك في نظامنا... حسنًا، بصراحة، يا سيدة مونروز: من الناحية الفنية، زوجك لا وجود له.

- أستميحك عذرًا؟

- جواز سفره مزور يا سيدة مونروز. لا وجود لكارل جون روبرت مونروز.

الجزء الثاني

٧

١٩٩٣

اعتادوا استئجار نفس المنزل كل عام، وهو كوخ فوضوي لخفر السواحل في بلدة خليج رايدنجهاوس شرق يوركشاير، ومن المؤسف أنه لم يكن جميلًا مثل منزلهم الفعلي في كرويدون، الذي كان عصريًّا ونظيفًا، وبه حمَّامات بيضاء متلألئة وسجاد كريمي ونوافذ ذات زجاج مزدوج.

كان كوخ رابيت رطبًا وغير مؤثث بشكل جيد، به مطبخ صغير وجدرانه بلون النيكوتين البيج. وكانت هناك غرفة نوم صغيرة قبالة المطبخ، وغرفتا نوم أصغر حجمًا في الطابق العلوي، وكانت المراتب متكتلة وجميع أغطية الفراش مهترئة وممتلئة بالثقوب. عند هطول المطر، كان الماء يتسرب إليه حتى عبق المكان برائحة غريبة، حيث فاحت منه رائحة الملوحة و«الزفارة» والرطوبة والدخان. لكن لسبب ما كان والدا جراي وكيرستي مفتونين بالمكان، وقالا إن الأمر يتعلق بالجو العام والناس، ناهيك بالمناظر الخلابة والهواء والنزهات والأسماك. وقد أحبا هذا المكان في طفولتهما، حيث كانا يرتديان الأحذية المطاطية ويذهبان لصيد السلطعون، ويذهبان إلى الملاهي ويأكلان رقائق البطاطس. لكن كيرستي صارت في الخامسة عشرة من عمرها الآن، وجراي في السابعة عشرة من عمره،

وكان كوخ رابيت هو آخر مكان في العالم يرغب أيٌّ منهما في الوجود فيه. وصلوا في ظهيرة يوم رطب من شهر يوليو في حالة مزاجية سيئة بعد ما بدا كأنه رحلة أطول بكثير من المعتاد على الطريق السريع M1، حيث رفض والدهما توني السماح لهما بتشغيل موسيقاهما المفضلة، وفعل ما اعتاد فعله دائمًا: البحث عن محطات الراديو المحلية على الموجات القصيرة للبقاء على اطلاع بمعلومات حركة المرور.

تغيرت القيود المفروضة على وقوف السيارات في السنوات التي تلت قدومهم لأول مرة إلى خليج رايدنجهاوس، ففي ذلك الوقت، كان بإمكانك ركن سيارتك أمام المنزل مباشرة وتفريغ جميع أمتعتك وسط حشود المصطافين. أما الآن، فصار عليك ركن سيارتك في موقف على مشارف البلدة، والدخول سيرًا على الأقدام. وها هم أولاء يفرغون صناديق الكرتون المملوءة بحبوب الإفطار والحليب طويل الأجل وورق التواليت وحساء هاينز، ويصعدون التل إلى البلدة حاملين الأمتعة والمناشف والألحفة الملفوفة. هطل عليهم رذاذ صيفي خفيف في أثناء سيرهم، وعندما انتهوا من إفراغ السيارة وأغلقوا باب كوخ رابيت خلفهم، كانوا متعكري المزاج كالحشود على أرصفة نيويورك، والجميع في حالة مزاجية سيئة نوعًا ما.

قال جراي وهو يضع صندوقًا من الورق المقوى على طاولة المطبخ المغطاة بالفورميكا وينظر حوله:

- يا إلهي، هل يمكن أن يكونوا قد قاموا بطلاء كوخ رابيت بالفعل؟

كان من الصحيح أن الجدران فقدت الطبقة العتيقة التي بلون القطران التي كانت تغطيها، كما كانت هناك أيضًا لافتات «**ممنوع التدخين**» معلقة هنا وهناك في أرجاء المكان، لم تكن موجودة من قبل.

حمل حقيبة ظهره إلى أعلى الدرج الضيق وألقاها على الفراش الفردي (كان غير مرتب، وتُركت الملاءات والبطانيات مطوية في كومة عند طرف الفراش العاري). أطلت غرفته على البحر، حيث إن والديه يحبان الغرفة الخلفية لأنها أكثر هدوءًا، إذ يمكن أن يكون الشارع صاخبًا جدًّا خلال أشهر الصيف. كانت

هناك ثلاث حانات على هذا الطريق وحده، ناهيك بمعرض الآلات والمحركات البخارية الذي يُقام في البلدة كل صيف، مع موسيقى الأرغن الصاخبة المصاحبة له، التي يمكن سماعها على طول الساحل مع هبوب أدنى قدر من النسيم.

لكن جراي لم يمانع الضجيج، فقد مثَّل تغييرًا لطيفًا عن صمت الشارع الهادئ الذي يعيشون فيه في كرويدون، حيث كانت الضوضاء الوحيدة في هذا الوقت من العام هي هدير جزازات العشب وأزيز نحل العسل. كان يحب صوت السكارى وهم ينادون بعضهم، وصدى وتردد وقع الأقدام في الظلام على أحجار الطريق.

نوَوا البقاء هناك لمدة أسبوعين، وحاول جراي إقناع والديه بالسماح له بالعودة إلى المنزل قبل الموعد المحدد بأسبوع، حيث كانت هناك حفلة يريد حضورها، وكانت هناك فتاة يحبها. بالإضافة إلى ذلك، كانت توقعات الطقس في الجنوب رائعة بالمقارنة. لكن والديه قالا له:

- لا، في العام المقبل، عندما تبلغ الثامنة عشرة.

ونظرت إليه كيرستي بعينين دامعتين متوسلتين، بنظرة تقول: لا، أرجوك لا تتركني هنا وحدي.

كانا متقاربين بدرجة معقولة، بقدر ما يمكن أن يتقارب الأخ والأخت. وقد أجادت التعامل معه حينما كانت طفلة، فكانت تأتيه بركبتيها المصابتين أو حذائها الذي انفك رباطه، وتتركه وشأنه عندما يطلب منها ذلك. وكان كلٌّ منهما يعتني بالآخر من بعيد إلى حد ما، مثل جارين طيبين لكنهما متحفظان نوعًا ما. لذلك، وافق على قضاء الأسبوعين الكاملين هناك، على أمل أن تظل الفتاة التي يحبها غير مرتبطة عند عودته.

في الطابق السفلي، كان والد جراي يشعل النار، ووالدته تفرغ الطعام في خزائن المطبخ المغطاة بالفورميكا المتشققة، بينما تكومت كيرستي بأطرافها الطويلة على الأريكة مرتدية كنزة رخيصة، تقرأ مجلة. كان المطر لا يزال يتساقط على زجاج النوافذ بالخارج، لكن شريطًا من الضوء الساطع الباعث على الأمل ظهر في الأفق مخترقًا السحب.

قال جراي:

- سأخرج.

سأله والده:

- إلى أين ستذهب؟

- سأذهب للتنزه عند الواجهة البحرية فحسب.

أشار والده إلى النوافذ المبللة بالمطر، وقال:

- في هذا الطقس؟

- لقد أحضرت معطفًا واقيًا من المطر. وعلى أي حال، يبدو أن الغيوم ستنقشع.

رفعت كيرستي رأسها عن المجلة وقالت:

- هل يمكنني المجيء؟

- نعم، بالتأكيد.

أسرعت إلى الباب الأمامي، وانتعلت حذاءها الرياضي، والتقطت معطفًا واقيًا من المطر بغطاء للرأس من فوق شماعة المعاطف.

نادت والدتهما من المطبخ:

- لا تتأخرا، سأُعد إبريقًا من الشاي، وسيكون هناك كعك.

بعيدًا عن الجو الخانق في كوخ رابيت، أحس جراي بصدغيه يسترخيان وفكه يرتخي، والمطر البارد يُنعش بشرته المنهكة من السفر. كادت شقيقته تصير في مثل طوله الآن، فساقاها طويلتان وشعرها طويل، لكن لم تنضج بشكل كامل بعد، لكنها شارفت حد النضج. وكان التشابه بينهما لافتًا للنظر بدرجة كافية، بحيث كان يأمل أن يبدو من الواضح أن تلك الفتاة الخرقاء رثة الهيئة التي تسير بجانبه مرتدية معطفًا مبللًا واقيًا من المطر، وسترة من النايلون المنقوش، وبنطال جينز فضفاضًا باهتًا، لم تكن مرتبطة به عاطفيًّا بأي شكل من الأشكال. كان نضجها بطيئًا، وظلت تصفف شعرها على شكل ضفيرة منسدلة على ظهرها حتى وقت قريب، وكانت لا تزال تتجنب أي مكياج. لكنها أصبحت فجأة فتاة مرغوبًا فيها للغاية، وقد أدرك ذلك، غضة ونضرة كزهرة نصف متفتحة، وكانت

جميلة على نحو يثير الحرج في الواقع. شعر بموجة رهيبة من الخوف تتصاعد بداخله، مزيج غريب من الاشمئزاز والحنان. اشمئزاز من نفسه لكونه رجلًا، ومن كل الأشياء السيئة التي فكر فيها بشأن الفتيات، وغرائزه الدنيئة، ورغباته الخافتة النابضة، واحتياجاته الشهوانية، وأفكاره القذرة، وكل ذلك. اشمئزاز لعلمه أن رجالًا مثله الآن سينظرون إلى شقيقته ويفكرون في أشياء، وستثير فيهم بعض المشاعر، حتى يمارسوا العادة عند التفكير فيها. كما شعر بالحنان تجاهها، لأنها لم تكن تدرك ذلك.

سارا في صمت لبضع دقائق، وجراي يستوعب أفكاره ويعالجها. أخذ المطر يجف، وأخيرًا ظهر شعاع شمس عند أقدامهما.

سألته كيرستي:

- هل لديك أي نقود؟

تحسس جيوبه بحثًا عن الفكة، ثم أخرج جنيهًا إسترلينيًّا وبعض العملات المعدنية المختلطة.

- لديَّ بضعة جنيهات. لماذا تريدين المال؟

- لشراء الحلوى.

أدار عينيه في محجريهما، لكنه وضع العملات المعدنية في كفها المفتوحة. كانت قد خلعت تقويم أسنانها قبل بضعة أسابيع، وأخذت تحتفل بتناول أكبر قدر ممكن من الحلوى الصلبة واللزجة. راقبها وهي تدخل إلى متجر الهدايا، وكان واحدًا من تلك المتاجر التي تتدلى بجانب بابها أكياس مخروطية الشكل مملوءة بالحلوى، وحوامل دوارة لعرض البطاقات البريدية، ودلاء ومجارف مغطاة بالشباك. التفت وشاهد الشمس تتسلل من خلال السحب المخططة فوق البحر، وتغير الضوء من الذهبي إلى الفضي، وتلألأ البحر استجابة لذلك. على مسافة أبعد، رأى معرض الآلات والمحركات البخارية، وكان خاليًا، حيث لم يكن أحد يذهب إلى المعرض تحت المطر، وكانت جميع المقاعد مبللة.

عادت كيرستي وقدمت له كيسًا ورقيًّا من حلوى الكولا، وبعضًا من عملاته

المعدنية، فتناول قطعة من الحلوى. رفعت يدها إلى جبهتها لتحمي عينيها من حدة الشمس، وتنهدت قائلة:

- أسبوعان.

- بالضبط.

- هل نذهب لنرى ما إذا كانوا يعرضون أي شيء لائق إلى حد ما في السينما؟

أومأ جراي برأسه وتبعها بعيدًا عن الواجهة البحرية باتجاه الطريق الرئيسي. كانت السينما تقع في مبنى رطب من الطوب الخرساني مؤلف من طابق واحد، بالقرب من الطريق، وكانت تعرض فيلمًا واحدًا في كل مرة، وتتسع لمائة شخص. قرأ من الملصق الموجود بالخارج: نهاية مشوقة، ثم قال:

- اللعنة، لقد شاهدته بالفعل.

هزت كيرستي كتفيها وقالت:

- أنا لم أشاهده.

- حسنًا، لا أريد مشاهدته مرة أخرى. لا جدوى من هذا إذا كنت أعرف كيف سينتهي.

نظر جراي من كثب ليرى ما إذا كان البرنامج سيتغير على الإطلاق خلال الأسبوعين المقبلين، ووقفت شقيقته خلفه تمص مكعبًا من حلوى الكولا، وإحدى يديها في جيب معطفها الواقي من المطر، غافلة تمامًا عن الشاب الذي توقف للتو على الجانب الآخر من الطريق، وقد لفتت نظره أولًا ساقاها الطويلتان، ثم الطريقة التي انسدل بها شعرها البني في تموجات رطبة حول وجهها، مؤطرًا عظمتَي وجنتيها العاليتين وعينيها البنيتين المسحوبتين، وفمها الجميل المطبق حول حلوى تمصها بقوة، ونظراتها المحايدة الهادئة الناعمة.

واصل التحديق إلى كيرستي وهي تتبع جراي باتجاه الطريق الرئيسي. وبحلول الوقت الذي انعطفا فيه عند الزاوية، كان قد تفحص كل جزء منها: قدماها الكبيرتان المائلتان باتجاه الداخل بعض الشيء، وصدرها الذي بدا أكبر من المتوقع، مختبئًا تحت سترتها الفضفاضة، ووجهها الطبيعي الخالي من المكياج، على عكس

العديد من الفتيات اللاتي في مثل سنه. لم تكن ترتدي قرطًا، وحملت في يدها كيسًا من الحلوى. كما لاحظ ارتباك مشيتها وهي تتبع ذلك الصبي (هل كان شقيقها؟ كان هناك تشابه بينهما، ولم يبدُ أنها بحاجة إلى الاقتراب منه جسديًّا).

واصلت كيرستي وجراي طريقهما، وفكر الشاب في اللحاق بهما، لكن في بلدة صغيرة كهذه، كان من المؤكد أن طريقهم سيتقاطع مرة أخرى، فمضى في طريقه وابتسامة صغيرة تعلو فمه، كأنه يستمتع بنكتة خاصة لا يعرفها سواه.

٨

مكتبة
t.me/soramnqraa

أحست أليس بالغرابة في غرفتها بالطابق العلوي من منزلها. ظلت تشعر بالغرابة طوال يوم أمس لأن ذلك الرجل كان جالسًا على الشاطئ تحت المطر، وها هي ذي تشعر بالغرابة الآن لأن نفس الرجل موجود في سقيفتها. بدا أن وجوده هناك لا ينذر بأي خطر، لكنه كان مثيرًا للأعصاب بطريقة ما، بخواء ذاكرته، وكل تلك الفراغات والفجوات، والأكثر من ذلك، رجولته الصرفة. فبطريقة ما، أدى افتقاده أي هوية إلى اختزاله لجوهر الذكورة الخام. كانت حقيقة جنسه أمرًا لا يقبل الجدل، وأليس... حسنًا، لم تمارس أليس الجنس منذ فترة طويلة جدًّا، وكانت أليس امرأة تحب ممارسة الجنس، وقد تشكَّلت حياتها بالكامل - ودُمرت تقريبًا - بسبب رغباتها الجنسية.

ارتدت نظارة القراءة، ووضعت خريطة لمدينة سان تروبيه تحت مصباح الطاولة، وكانت قد رسمت عليها بالفعل بتلات الورد، فأخذت تقطعها بتأنٍّ ومهارة باستخدام مشرط. أثارها التفكير في سان تروبيه، وكراسي التشمس، والشمبانيا الباردة بجانب المسبح، والنُّدل الذين يرتدون الكتان الأبيض، والرجال ذوي البشرة المسمرة بفعل الشمس في سراويل السباحة. كادت تسمع همهمات المحادثات المكتومة في الخلفية، وتشعر بيدَي عاشق مجهول يدلك كتفيها

بالكريم، وسرعان ما صارت تلكما اليدان المجهولتان هما يدَي الرجل الموجود في السقيفة. وفكرت أليس في نفس تلكما اليدين بينما كانت تستخدم سكينًا لتقطع من دون عناء شريحة الخبز المحمص السميكة التي أعدتها له في وقت سابق. كانت يداه جميلتين، ومعصماه جميلين. ثم أخذت تفكر في جسده بالكامل، لأنه بدا مثيرًا للإعجاب وهو نظيف وجاف، مرتديًا سترة كاي ذات القلنسوة. لم يكن فارع الطول، ربما كان أطول منها ببوصة أو بوصتين فقط، لكنه كان قويًّا، من دون نقاط ضعف في بنيته. وبدت عيناه البنيتان شاردتين بسبب الحاجة والارتباك.

باستثناء تلك اللحظة، عندما اقترحت اصطحابه إلى مركز الشرطة، حيث رأت تعبيرًا مختلفًا تمامًا يغلب عليه حينها، وغمرته موجة من الخوف والغضب، لكنها اختفت قبل أن تتاح لها فرصة تحليلها، مما جعلها تتساءل عما إذا كانت قد تخيلتها.

طردته من أفكارها، حيث لم يَعُد الرجال على جدول أعمالها، وصار أولادها هم أولويتها الآن. أولادها وعملها. فصلت عن الصفحة قطع الخريطة التي على شكل بتلات الورد ووضعتها جنبًا إلى جنب. شارع دي كانيبييه، وطريق دو ليستانيت، وشارع كافايون، كلها أسماء تستحضر أشجار النخيل والسيارات المكشوفة والفنادق ذات المظلات المخططة وخدمة ركن السيارات. ومع ذلك، لا ينبغي لها الشعور بالغيرة، حيث إنها تتمتع بالكثير هنا، حتى إن هناك أشجار نخيل على الجانب الآخر من الخليج، اثنتان منها.

جعلها رنين الجرس النحاسي المعلق فوق بابها الأمامي تجفل بعض الشيء. تبع ذلك صوت خشخشة مخالب ثلاثة كلاب على الدرج الخشبي وبعض النباح الحماسي، فأطلت من فوق مكتبها ونظرت نحو الأسفل، حيث رأت كعكة شعر ديري داينز المميزة المصبوغة بالحناء.

صاحت قائلة:

- أنا قادمة!

اضطرت إلى تفريق الكلاب بالقوة عند الباب الأمامي لتتمكن من الوصول إلى المقبض، ثم أمسكت الكلاب كي تمنعها من إلقاء ديري أرضًا.

قالت أليس:

- مرحبًا يا صديقتي، لمن أدين بهذا الشرف؟

أطلت ديري من فوق كتف أليس، ولم تبدُ لغة جسدها اجتماعية بدرجة كبيرة، وقالت:

- رأيت جازمين في وقت سابق، وأخبرتني بأن ذلك الرجل موجود في منزلك.

تنهدت أليس ودفعت خصلة من شعرها خلف أذنها. أحست بالغضب من نفسها لأنها لم تطلب من الأولاد إبقاء وجود فرانك سرًّا. لم يكن لديها مانع في أن تعرف ديري بالأمر، لكن إذا اكتشف أي شخص آخر...

قالت بحدة:

- إنه ليس موجودًا في المنزل، بل في السقيفة.

فتحت الباب، وأمسكت الكلاب كي تتمكن ديري من المرور.

نظرت ديري من جانب إلى آخر في أثناء مرورها بغرفة المعيشة، وقالت:

- أنتِ مجنونة! قالت جازمين إنه فقد ذاكرته.

استدارت بعد أن قنعت أن «الرجل» ليس في غرفة المعيشة، وتوجهت إلى المطبخ.

أطلقت أليس تنهيدة مرة أخرى، وتبعتها.

- الأمر ليس فظيعًا كما يبدو.

قالت ديري:

- لقد طلبتُ منك عدم التدخل، وقلتِ إنك لن تفعلي.

تطلعت من نافذة الباب الخلفي عبر الفناء باتجاه السقيفة، وتابعت قائلة:

- يا إلهي، يا آل، ماذا لو اكتشفت المدرسة الأمر؟ ماذا لو...

ثم توقفت عن الحديث وتنهدت قبل أن تواصل:

- لا أصدق هذا. بعد ما حدث العام الماضي يا آل، لا يمكنكِ جلب رجال غرباء إلى المنزل ببساطة هكذا.

كانت أليس تعرف بالضبط ما تتحدث عنه ديري، لكنها لم تكن في حالة مزاجية تسمح لها بالاستماع إليها.

- لقد أخبرتك بأنه ليس في المنزل، بل في السقيفة، وقد أغلقنا الباب الخلفي بالمفتاح الليلة الماضية.

- ليس هذا هو المقصد. يبدو هذا الأمر برمته مريبًا حقًّا، كما أن قصة «فقدان الذاكرة» هذه بأكملها تبدو كأنها عملية احتيال.

قالت أليس باستهجان:

- أوه، بحق السماء، إنها ليست عملية احتيال. كم أنتِ من أنصار نظريات المؤامرة.

أنزلت ديري كوبين من أكواب أليس من مكانهما فوق خطاف، وأشعلت الغلاية وهي تقول:

- هل هو هناك الآن؟

قالت أليس:

- على حد علمي، فلم أسمعه يغادر.

وضعت ديري كيس شاي أخضر في كوبها، وكيس شاي إيرل جراي في كوب أليس، وقالت:

- أحضريه هنا.

ظلت أليس ساكنة للحظة.

قالت ديري:

- هيَّا اذهبي، أخبريه بأن الشاي جاهز.

- أنتِ تعلمين أنه من المفترض أن أكون منشغلة بالعمل الآن، أليس كذلك؟

قالت ديري:

- لاحقًا، يمكنك العمل لاحقًا. لن يستغرق هذا وقتًا طويلًا.

لم تجادل أليس، حيث إن أساس صداقتها مع ديري هو أن ديري على حق دائمًا.

تحسست شعرها قبل أن تفتح الباب الخلفي، لتتأكد أنه مصفف، ووضعت يدها على فمها وتنفست، ثم تجهمت. بدت رائحة أنفاسها مثل الشاي. وجدت الستائر مفتوحة في السقيفة، وطرقت الباب برفق، وقالت:

- فرانك، أنا أليس. أخذت استراحة من العمل، وتساءلت ما إذا كنت تريد أن تأتي لتناول كوب من الشاي.

لم يأتِها أي رد، لذا طرقت الباب مجددًا.

- فرانك؟

دفعت الباب ونظرت من خلال الفجوة. كان الفراش مرتبًا، وسترة كاي ذات القلنسوة وسرواله الرياضي مطويين في كومة مرتبة عند طرف الفراش، وكانت الغرفة خالية.

قالت لديري بعد لحظة:

- حسنًا، يبدو أنه يمكنك التوقف عن القلق، لقد رحل.

- هل رحل حقًّا؟

قالت أليس:

- لا أدري.

نظرت في أرجاء المطبخ، ورأت الكوب الذي أعدت له الشاي فيه سابقًا مقلوبًا فوق رف تصفية الأطباق. فتشت عن رسالة من نوع ما، لكنها لم تجد شيئًا. غزاها حزن شديد، وشعرت بثقل في أطرافها بفعل خيبة الأمل، ثم أحست بالقلق، ووخز من الخوف والاضطراب. فكرت في عينيه البنيتين، وشعره الصبياني المموج، وضعفه المطلق. لم تستطع أن تتخيله بمفرده هناك في الخارج. لم تستطع ذلك حقًّا.

قالت ديري:

- حسنًا، لنأمل ذلك. فهذا الرجل هو آخر شيء تحتاجين إليه.

قالت أليس:

- نعم، ربما كان هذا صحيحًا بالفعل.

شعر كأنه على سير متحرك، تدفعه قوى خارجية. أحس كأنه جوال من الغبار يُجر في الشارع. رأى مقعدًا أمامه، فاتجه نحوه، وكادت تصدمه امرأة على دراجة تحمل سلة مملوءة بالفواكه. رمقته بنظرة غريبة، فتساءل ما إذا كان يبدو عليه الجنون كما يشعر بالفعل.

بينما كان مستلقيًا على الفراش في سقيفة أليس بعد الإفطار هذا الصباح، لم يعايش الذكريات بالتحديد، بل أحاسيس قوية تشبه إلى حد كبير تلك التي انتابته عندما اقترحت أليس اصطحابه إلى مركز الشرطة. موجات من الكآبة المظلمة المروعة، وشعور بأن هناك شيئًا ما مكسور على نحو فظيع في مكان ما، وليس هناك ما يمكنه فعله لإصلاحه. لكن أكثر من ذلك، كانت هناك ومضات من البياض الساطع، مثل انعكاس ضوء الشمس على سيارة عابرة، تعمي العينين وتُفقد التوازن للحظات، ووراء تلك الومضات كانت هناك صور، أدرك أنها قطع من الأحجية، لو أنه تمكن من رؤيتها فحسب.

كان بحاجة إلى مواصلة المشي. عليه أن يكتشف ما الذي أتى به إلى هذه البلدة الساحلية الشمالية. لكن عندما نهض واقفًا، أعماه وميض آخر من البياض، فسقط على المقعد مجددًا. أغمض عينيه بقوة، وهو يحاول يائسًا العثور على حواف الصورة الخفية. ثم رآها: عمود بنقش ملتوٍ، وحصان بألوان الباستيل، وفتاة ذات شعر بني تتحرك صعودًا وهبوطًا، ابتسمت ولوحت بيدها، ثم اختفت.

ضحك من قوة الصورة، بعد كل هذه الساعات من الخواء، وصاح قائلًا لنفسه: «يا للهول! يا للهول!».

قفز قائمًا من على المقعد، وشعر بنفسه منجذبًا إلى الواجهة البحرية على الجانب الآخر من الطريق. نظر إلى الشاطئ هلالي الشكل، الخالي في هذا اليوم البارد من شهر أبريل، وحاول أن يستخرج شيئًا من ذلك المشهد، شيئًا من جوهر اللحظة التي تذكرها للتو. لكن لم يطرأ على ذهنه أي شيء، فنزل درج حاجز الأمواج. مرر يده على الدرابزين المعدني المطلي، فتساقطت بضع قطع من الطلاء المتقشر تحت قبضته. وضع قدميه بحرص على كل درجة من

الدرجات الضيقة، واستنشق رائحة أحشاء السمك والماء المالح. هل سبق أن زار هذا المكان من قبل؟ هل هذا ممكن؟ وإذا كان قد زاره، فلماذا؟ ومتى؟ ومن تكون تلك الفتاة في دوامة الخيل، الفتاة الجميلة المبتسمة ذات الشعر الكستنائي، التي تعيش اللحظة، غافلة عن نظراته إليها؟

عند التفكير في الفتاة، شعر بموجة أخرى من الكآبة تغمره. بدا أنه لم يَعُد يتحكم في جسده، الذي أبدى رد فعل بأن تقيأ البيض والخبز المحمص الذي أعدته له أليس في وقت سابق. أحس بالوهن بعدها وأخذ يرتجف، وعاد إلى الوضع الذي اتخذه خلال ساعاته الأولى في خليج رايدنجهاوس، فجلس القرفصاء على الشاطئ، محدقًا إلى البحر كأنه ينتظر أن يجلب إليه شيئًا ما.

٩

١٩٩٣

أعقبت البداية الممطرة لعطلتهم ثلاثة أيام من أشعة الشمس الدافئة. كانت الشمس تعني قضاء أيام على الشاطئ، وكان الشاطئ الكائن تحت كوخ رابيت ضيقًا ومفروشًا بالحصى، وممتلئًا ببرك الصخور المتلألئة وقوارب الصيد. وقد اعتادوا قضاء أيامهم هناك عندما كان الولدان صغيرين، يشقان طريقهما عبر الصخور اللزجة مرتديين أحذية بلاستيكية وقبعات عريضة الحافة مقاومة للماء. لكن بعد أن كبرا في السن الآن، باتوا يفضلون أخذ المناشف وكريم الوقاية من الشمس، وسترات واقية من الماء وكراسي قابلة للطي، والسير مسافة ربع ميل عبر البلدة إلى الشاطئ الرملي الأوسع الكائن أسفل الطريق الرئيسي. كان هناك مقهى محفور في واجهة الجرف الصخري يقدم الوجبات السريعة والآيس كريم والبيرة في أكواب بلاستيكية. كما كان هناك دش ومنقذ وألعاب متنوعة للأطفال الصغار. لم يكن يشبه شاطئ بلاكبول بليجور بدرجة كبيرة، لكنه كان جيدًا بالنسبة إلى بلدة صغيرة مثل خليج رايدنجهاوس. لذا كانوا هناك في صباح الثلاثاء، والجو لم يصبح دافئًا بعد بما يكفي لارتداء ملابس السباحة، وقد ارتدى توني قميصًا قصير الأكمام مفتوح الأزرار فوق شورت من قماش الدنيم، وارتدت بام سروالًا

قصيرًا لركوب الدراجات وقميصًا فضفاضًا على مقدمته رسم كرتوني لكلب، وارتدى جراي سروالًا قصيرًا للركمجة منقوشًا بالزهور الملونة، بينما ارتدت كيرستي النصف العلوي من بكيني أسود مربوط عند الرقبة وتنورة من قماش الدنيم. وكان هو أيضًا هناك، ذلك الشاب. لم يستطع جراي أن يعتبره «شابًّا»، وافترض أنه يبدو في الثامنة عشرة من العمر تقريبًا. لكن على عكس جراي، لم يكن مرتبطًا بأسرة.

كان موجودًا هناك يوم الأحد، وبالأمس أيضًا: بمفرده، مستلقيًا على منشفة بيضاء مرتديًا سروال سباحة أسود ونظارة شمسية سوداء، ومعه رواية ذات غلاف ورقي وجهاز ووكمان. وبين الحين والآخر كان يعتدل جالسًا ويلف ذراعيه حول ساقيه ويحدق إلى البحر غارقًا في أفكاره. وقد جلس قريبًا بدرجة كافية ليتمكن جراي من رؤية آثار المنشفة على جلد ظهره، والتقاط رائحة عطر ما بعد الحلاقة مع كل نسمة تهب، وسماع الإيقاع المعدني لموسيقى فريق «سايبريس هيل» عبر سماعتيه. تعدَّى على مساحتهم الشخصية بمسافة بضع بوصات فقط، لكن جراي شعر بهذا التطفل في كل ذرة من كيانه، كما لو كانت تُلوى ذراعه.

وقف الشاب وأدار ظهره لهم، وتمطى متباهيًا حتى تموجت كل مجموعة من عضلاته البارزة بدورها، ثم تظاهر باللامبالاة وفرك شعيرات لحيته القصيرة كما لو كان هو الوحيد الذي لديه ما يكفي من التستوستيرون لإنتاج مثل هذا الشعر الخشن على وجهه. مر أمامهم ببطء وتوجه إلى مقهى الشاطئ، حيث اشترى لنفسه بيرة صغيرة وشربها واقفًا ومرفقه متكئ إلى البار وساقاه متقاطعتان، وهو يحدق إلى كيرستي على نحو فاضح.

قال توني من خلف صحيفة ديلي إكسبريس التي كان يقرأها:

- أرى أن معجبكِ قد عاد.

هزت كيرستي كتفيها ونظرت إلى الرمال وأجابت على نحو غير مقنع:

- إنه ليس معجبًا بي.

ابتسم توني ثم عاد إلى صحيفته.

قالت بام:

- إنه وسيم للغاية يا كيرست.

فأسكتتها كيرستي بغضب.

تابعت بام:

- إنه لا يستطيع سماعنا، فهو بعيد عند البار.

قال جراي:

- أعتقد أنه يبدو كأنه منحرف.

نظرت إليه بام ووبخته قائلة:

- لا داعي لأن تأخذ كل الأمور على محمل الجد إلى هذه الدرجة يا جراهام.

- أنا لا «آخذ الأمور على محمل الجد»، بل أعبر عن رأيي فحسب. أعتقد أنه يبدو كأنه منحرف، هذا كل ما في الأمر.

رآه جراي بطرف عينه وهو يسحق كوب البيرة الفارغ بقبضته ويلقيه في سلة المهملات، كما لو كان يؤكد مرة أخرى أن لديه مستويات أعلى من الهرمونات الذكورية. كان وسيمًا، وكان على جراي أن يعترف بذلك، وسيمًا ويتمتع بلياقة بدنية عالية. كان يكبر جراي بعام واحد فقط، إلا أنه كان يفوقه بكثير في النضج الجسدي. لكن جراي تساءل عن دوافعه: لماذا اختار كيرستي؟ حيث انتشرت الكثير من الفتيات على الشاطئ، فتيات يضاهين ذلك الرجل في الجاذبية، فتيات يرتدين البكيني، وفتيات بخصلات شعر مصبوغة وأقراط كبيرة وطلاء شفاه وردي. فتيات لا يجلسن مع والديهن وأشقائهن الأكبر يأكلن المحار من الأكواب البلاستيكية باستخدام عود أسنان.

عاد الشاب ببطء إلى منشفته البيضاء، وخلال ذلك مر على بُعد بوصات من كيرستي، وتعين على جراي التحكم في رغبته بأن يمد قدمه كي يتعثر ذلك الآخر. وفي الواقع، فقد استمتع لبضع لحظات بتخيُّل ذلك المشهد وإعادته في ذهنه مرارًا وتكرارًا، حتى وجد نفسه يكتم ضحكته.

قالت كيرستي:

- ماذا هناك؟

- أوه، لا شيء.

لم يكن جراي يشعر بالغيرة، فما الذي قد يغار منه؟ كان جراي طويل القامة، ووسيمًا إلى حد ما بطريقة صبيانية، وكان يتراوح ما بين النحافة واعتدال البنية. أخبرته الفتيات بأنه لطيف، وفي الواقع فقد أخبرته الفتيات بأشياء كثيرة، عن الأولاد الآخرين في الغالب، لكن هذا ليس ما يهم. ما يهم هو أنه يحظى بثقتهن. كانت الفتيات يُحبِبن جراي وكان هو يحب الفتيات، أحيانًا بطريقة مختلفة عن الكيفية التي اعتقدن أنه يحبهن بها، على نحو أكثر التباسًا نوعًا ما في بعض الأحيان، تحت أغطيته بمفرده في أثناء الليل. ومع ذلك اعتقد جراي أن هذا الشاب لن يعرف كيف يتحدث إلى فتاة حتى لو كانت حياته تتوقف على ذلك. بكل بساطة، لم يكن جراي متأكدًا من قدرته على التحدث. بدا كأنه واحد من هؤلاء الرجال الذين يمكنهم إصدار صوت نخر أو الضرب على صدره إذا استدعى الأمر.

وفي اللحظة التي خطرت فيها هذه الفكرة في ذهن جراي، التفت الشاب ونظر إليه، ونظر إلى كيرستي وإلى والديهما، وقال بصوت بدا مأخوذًا مباشرة من أحد أفلام جيمس بوند:

- إنه أمر ممتع للغاية عندما تشرق الشمس، أليس كذلك؟

التفت جميع أفراد الأسرة كحيوانات مذعورة عند هذه البداية غير المتوقعة للمحادثة، ووضعت والدته يدها على ترقوتها وأجابت بصوت لم يسمعها جراي تستخدمه من قبل:

- أوه، بلى، هذا صحيح.

رأى كيرستي ترمق والدتهما بنظرة رهيبة، ثم خفضت نظرها وقد تخضب وجهها بشدة.

سأل الشاب، بلا داعٍ على الإطلاق:

- هل أنتم هنا لقضاء العطلة؟

أومأ توني برأسه قائلًا:

- لقد أتينا من سري.

كان هذا هو الأسلوب الأنيق الذي يتبعه والده لتفادي ذكر كرويدون.

- ماذا عنك أنت؟

- جئت من هاروجيت، لأكون برفقة زوجة عمي. لقد توفي عمي للتو ولم تستطع تحمُّل المجيء بمفردها.

حركت بام يدها نحو قلبها وقالت:

- أوه، يا لزوجة عمك المسكينة! ويا لك من شاب طيب، فلا يوجد كثير من الشباب المستعدين للتضحية بعطلتهم الصيفية من أجل أحد الأقارب.

- حسنًا، إنها طيبة للغاية، وكثيرًا ما وقفت بجانبي. وعلاوة على ذلك، لديها منزل مذهل حقًّا.

ابتسم، ثم أشار عبر الخليج نحو الجانب الآخر من البلدة حيث تصبح المنازل أكبر فأكبر كلما ابتعدت، حتى استقرت إصبعه على ما بدا كأنه منزل فخم له جدران فاتحة اللون ونوافذ عالية، تحيط به أشجار الحور والطقسوس.

قالت بام:

- أوه! لطالما تساءلنا عمن يعيش في ذلك المنزل، أليس كذلك يا توني؟

أومأ توني برأسه.

- ظننا أنه قد يكون ملكًا لأحد أفراد الأسرة المالكة.

ابتسم الشاب وقال:

- ليس تمامًا، لقد جمع عمي ثروته من تربية الخنازير، صناعة لحم الخنزير المقدد، على وجه الدقة. وهذا منزلهما الصيفي فحسب، يجب أن تروا منزلهما الرئيسي في الريف.

أومأ والدا جراي برأسيهما باحترام.

تقدم الشاب منهما ومد يده قائلًا:

- أوه، اسمي مارك بالمناسبة، مارك تيت.

تنفس توني بصعوبة نوعًا ما وهو يميل إلى الأمام على كرسي الاستلقاء ليمد يده إلى مارك.

- سعدت بلقائك يا مارك. أنا أنتوني روس... توني. وهذه بام، زوجتي، وجراهام ابني، وكيرستي ابنتي.

تمتم جراي قائلًا:

- جراي، ليس جراهام، بل جراي.

لكن الشاب المدعو «مارك» لم يكن يستمع إليه، بل ثبَّت عينيه على كيرستي، وارتسمت على وجهه ابتسامة بدت لجراي أشبه بالانتصار على نحو مثير للريبة. كأن هذه المحادثة «العفوية» مع عائلته لم تكن مجرد لحظة عابرة من التفاعل الإنساني الودي، بل أول حركة بارعة من خطة خبيثة أكبر بكثير.

راقب والديه يتحدثان بحماسة مع الشاب كما لو كان الأمير تشارلز في زيارة رسمية، وليس مجرد شخص غريب له صوت رخيم ليس لديه أي سبب على الإطلاق للتحدث معهم. ثم نظر إلى كيرستي، فوجدها - وكانت هذه الكلمة الوحيدة حقًّا التي وجدها جراي لوصف الأمر - تزدهر أمام عينيه مباشرة. بدا الأمر كأن اهتمام هذا الشاب دفعها من الداخل كي تتفتح، وصار كل شيء فيها ناضجًا ومكتملًا تمامًا. بدت عيناها متألقتين وجفناها ناعسين، وتوهجت بالكامل.

قال مارك:

- أتدرون، عليكم المجيء إلى المنزل وإلقاء نظرة، وستعِد زوجة عمي كعكة.

أجابت بام:

- أوه، لا يمكننا التطفل على زوجة عمك بهذه الطريقة، ليس وهي في حالة حداد.

- أوه، لا، سوف تحب ذلك، حقًّا، إنها شخصية اجتماعية للغاية وتشعر بالوحدة هناك. في الواقع، لماذا لا تأتون اليوم؟ تعالوا في الساعة الرابعة.

قال جراي لنفسه: «ماذا؟ ماذا؟؟».

كان والداه مبتسمين، ويقولان أشياء من قبيل: حسنًا، إذا كنت تعتقد حقًّا أن زوجة عمك لن تمانع، فهل هناك أي شيء يمكننا إحضاره؟

وهكذا اتفقوا على الخطة.

لم يستطع جراي تصديق ما حدث.

ارتدى مارك قميصًا قطنيًّا نظيفًا وسروالًا قصيرًا من قماش التشينو، ثم لف منشفته بدقة عسكرية ووضعها في كيس من القماش. وقبل أن يغادر التفت إليهم وانحنى قليلًا وقال:

- في الرابعة مساءً، اتفقنا؟

فأومأ أفراد أسرته بحماسة، وردوا:

- نعم، نعم، شكرًا لك.

ثم رحل.

قالت بام:

- حسنًا، كان ذلك تحولًا غريبًا في الأحداث.

فقال توني:

- بلا شك، لكن يبدو أننا حصلنا على دعوة مجانية لتناول الشاي.

جلس جراي يكز على أسنانه وهو يفكر في أنه لا وجود لما يُسمَّى «دعوة مجانية لتناول الشاي»، وأنه سيكون هناك بالتأكيد ثمن يجب دفعه، لكن عائلته كانت أغبى من أن تتمكن من إدراك ذلك.

١٠

حوَّلت والدة ليلي إليها مائة جنيه إسترليني، استخدمت جزءًا منها كي تستقل القطار إلى لندن عصر الجمعة، للذهاب إلى مكتب كارل وتتبع خطواته. كانت هذه هي المرة الأولى التي تسافر فيها إلى لندن وحدها، وارتبكت أمام ماكينة التذاكر: ماذا يعني كل هذا؟ انتظرت دورها في طابور قصير للتحدث إلى موظف جالس خلف نافذة.

عندما أتى دورها أخيرًا، قالت:

- نعم، أنا بحاجة إلى الذهاب إلى لندن، هل يمكنك مساعدتي؟

لم يبتسم الرجل.

- ذهابًا وإيابًا؟

أجابت:

- نعم، سأعود لاحقًا.

حينها ابتسم الموظف، فأدركت أنها قالت شيئًا غبيًّا.

أخذ منها عشرين جنيهًا، وطبع لها تذكرتين، ناولهما لها مع باقي المبلغ وقال:

- رصيف رقم ثلاثة، بعد سبع دقائق.

اختطفت التذكرتين والمال، وقالت:

- حسنًا.

في القطار، راقبت عالمها الجديد يمر في مشاهد قصيرة عابرة: مربعات من اللونين الأخضر النضر والأصفر الزاهي، وأطراف المناطق الصناعية، وصفوف من المنازل المبنية من الطوب الأحمر، أمامها ألعاب أطفال متطابقة على مساحات ضيقة من العشب. إنها لا تعرف هذا العالم، بل تعرف كارل فقط. سدت فمها بمفصلين من مفاصل أصابعها، وكتمت شهقة الألم. لا يمكنها البكاء، ليس الآن، في هذا القطار الممتلئ بالغرباء. حدقت من خلال النافذة بنظرة قاسية كالفولاذ.

كانت قد زارت مكتب كارل من قبل، خلال إحدى عطلات نهاية الأسبوع التي قضياها في لندن، قبل زواجهما. أقاما بفندق في ويست إند، وتناولا العشاء في مطعم بناطحة سحاب يطل على مناظر رائعة للعاصمة. سألها:

- هل تريدين رؤية المكان الذي أعمل فيه؟

فهزت كتفيها وقالت:

- حسنًا إذن.

كان مبنى منخفضًا متناسق الهيئة، له واجهة من الزجاج الأسود والفولاذ المصقول، وفي منتصفه باب إلكتروني دوار كبير، ينفتح على بهو باللونين الأسود والكروم، على جداره الخلفي نافورة من الفولاذ المقاوم للصدأ. تفقدت ساعتها، فوجدتها الرابعة وأربعين دقيقة مساءً. عشرون دقيقة حتى موعد مغادرة كارل للعمل. سوف تنتظر هنا، وتلعب «كاندي كراش».

في الخامسة إلا خمس دقائق تخيلت كارل وهو يطفئ حاسوبه، ويلتقط سترته من على ظهر كرسيه، ويغلق المشابك المعدنية بحقيبته، ويودع بعض زملائه (هل سيفعل؟ هل سيودع كارل زملاءه؟ ربما لا، حيث إن كارل ليس من النوع الذي ينادي مودعًا. ربما يلوح بيده، أو يقول باقتضاب أراك غدًا). تخيلته ينتظر المصعد، ويتفقد هاتفه، ويلقي نظرة على شعره. عدَّت في ذهنها حتى عشرين، ثم تصورته وهو يدخل المصعد، بينما يتعالى صوت رنين هادئ في أثناء المرور بكل طابق،

قبل أن يخرج إلى البهو ويمر من خلال الأبواب الدوارة، وحينها بدأت في السير. لم تكن محطة فيكتوريا بعيدة، بل على بُعد دقيقتين فحسب. تفحصت لوحات الإعلان عن مواعيد القطارات بحثًا عن قطار كارل، قطار الساعة ٥:٠٦ مساءً المتجه إلى إيست جرينستيد، وتوجهت نحو الرصيف رقم أربعة. تأملت وجوه الأشخاص المتجهين في نفس الطريق. هل يعرفونه؟ هل سيتعرفون عليه؟ هل يستقلون نفس القطار في نفس الوقت كل يوم؟

صعدت إلى القطار وجلست، وكان هناك رجل جالسًا قبالتها. أخذت نفَسًا عميقًا وبحثت في حقيبتها عن صورة كارل. قالت بنبرة أكثر خشونة مما كانت تقصد:

- عفوًا، هل تستطيع مساعدتي؟

نظر إليها بارتياب واضح، وأدركت أنه يعتقد أنها على وشك أن تطلب منه المال. حركت الصورة نحوه عبر الطاولة الكائنة بينهما، وقالت:

- هذا زوجي، إنه يستقل هذا القطار كل يوم، لكنه اختفى.

تراجع الرجل قليلًا، وهو لا يزال يعتقد أنها ستطلب منه المال. كبتت رغبتها في أن تطلب منه الذهاب إلى الجحيم، وتابعت:

- إنه شخص مفقود بصورة رسمية، والشرطة على علم بذلك.

رفع حاجبًا وقال:

- حسنًا.

سألته بتجهم:

- هل تعرفه؟

حدق إلى الصورة وهز رأسه.

- لم أرَه قَطُّ.

- شكرًا لك.

التقطت الصورة وأعادتها إلى حقيبتها. تخضب وجهها بشدة، وأحست ببقع حمراء تظهر على ترقوتها بفعل الغضب. اتجهت إلى المقعد الشاغر التالي،

ووجدت نفسها جالسة بجوار ثلاث صديقات كن يتناولن الشراب، وتفوح منهن رائحة النبيذ والسجائر. لم يكن بوسعها سؤالهن، حيث كن يتحدثن بصوت مرتفع وبسرعة كبيرة، وعلى أي حال، لم يكنَّ من الركاب المنتظمين الذين يستقلون هذا القطار يوميًّا للذهاب إلى العمل، وهذا ما كانت تريده. على يمينها، كان هناك رجل يرتدي بدلة. أخذت نفَسًا عميقًا، وأخرجت الصورة، وتحدثت بسرعة وهي تحاول الوصول إلى جوهر الموضوع كي لا تترك له الوقت للقفز إلى أي استنتاجات متحيزة. قالت:

– معذرة، زوجي مفقود. كان يستقل هذا القطار كل ليلة، هل تعرفه؟

أخرج الرجل نظارة القراءة من جيب سترته والتقط الصورة، ثم تفحصها وأعادها إليها.

– لا للأسف.

بدا صوته ناعمًا وعميقًا ولطيفًا. شعرت بالاسترخاء، وابتسمت بحرارة وشكرته، ثم شقت طريقها من عربة إلى عربة، ومن راكب إلى راكب، وثقتها تزداد مع كل لقاء. وجدت الناس ودودين بصفة عامة، وبدا أن الابتسامة من شأنها أن تساعدها بدرجة كبيرة مع البريطانيين، على الرغم من أنه لم يكن من طبيعتها الابتسام من دون سبب. كانت الابتسامات مخصصة للأصدقاء، وللأطفال، وللمزحات، وللعائلة، وليست للغرباء في القطار. لكنها ابتسمت مرارًا وتكرارًا، وبحلول الوقت الذي وصل فيه القطار إلى أوكستيد كانت قد سألت ثلاثين شخصًا على الأقل، وقال ثلاثون شخصًا على الأقل: «لا، أنا آسف حقًّا». حتى إن البعض طرحوا عليها مزيدًا من الأسئلة: «ما اسمه؟»، و«متى فُقد؟»، و«أتمنى لك كل التوفيق، حقًّا».

عند حاجز التذاكر، بحثت عن آخر شخص كان من الممكن أن يرى كارل وهو يغادر المحطة: موظف التذاكر. لكن لم يكن هناك موظف تذاكر، بل مجرد حاجز. تنهدت، حيث كانت تعلق كل آمالها على شخص يمكنها سؤاله. ثم انطلقت في طريقها الطويل للعودة إلى المنزل، ومرت في أثناء سيرها ببعض المتاجر،

وبتشجيع من لطف الركاب في القطار، دخلت إلى بضعة محلات وابتسمت، وعرضت الصورة وطرحت أسئلتها. تعرف عليه الرجل في متجر المشروبات الكحولية، وأخبرها بأنه كان يأتي لشراء زجاجة نبيذ من حين إلى آخر. قال:

- إنه رجل وسيم.

فأومأت ليلي برأسها وأجابت:

- نعم، إنه كذلك بالفعل.

بعد أن لم يَعُد هناك مزيد من المتاجر، عبرت الطريق الرئيسي وسلكت متاهة الشوارع الصغيرة التي تتراص على جانبيها المنازل الحمراء، والتي تتقاطع مع بعضها في شبكة مربكة، وانعطفت يسارًا ويمينًا، ثم يسارًا ويمينًا مرة أخرى، حتى عبرت إلى الطريق الرئيسي الآخر حيث يوجد السوبرماركت وسلسلة متاجر. كانت تأتي إلى هنا لتناول غدائها في بعض الأحيان عندما تشعر بالوحدة في الشقة، حيث تجلس في ستاربكس وتقرأ صحيفة حتى يكون لديها ما تتحدث عنه مع كارل عندما يعود إلى المنزل من العمل. كان الجزء الأخير من طريقها أكثر هدوءًا، وبه منازل منخفضة متباعدة قال كارل إنها تُسمَّى «بنغل»(*)، وأمامها ممرات للسيارات. لم يكن هناك وجود للمتاجر ولا أي أشخاص في الطريق. وبعد ذلك، كان هناك امتداد قصير من الطريق حيث كانوا يبنون مشروعًا سكنيًّا جديدًا، سيُسمَّى «جادة وولف هيل»، وفقًا للوحة الإعلانية الضخمة الكائنة عند المدخل. كان كارل يضحك في كل مرة يراها، ويقول: «جادة في أوكستيد، يا له من هراء».

توقفت ليلي للحظة وحدقت إلى المشروع السكني. لم يكن هناك أحد، ولم يوجد أحد هناك منذ أن جاءت للعيش هنا. رأت أنه تم الانتهاء تقريبًا من تشييد أول المباني، وقد رُكِّبت النوافذ والعزل الخارجي، وانتقل عمال البناء

(*) البنغل: كوخ أو منزل صغير من طابق واحد، أو له طابق ثانٍ، ذو سقف مائل، وقد يكون محاطًا بشرفات واسعة. (المترجمة).

إلى المبنى التالي الذي يتألف بالكامل من هيكل من عوارض البناء والأغطية البلاستيكية المتطايرة مع الريح. غابت الشمس، وبدت السماء في المساء الباكر باللون الأزرق المخملي، ومرت بها السيارات في خطوط من الأضواء الذهبية وهي بمفردها على هذا الطريق. سرت في جسدها قشعريرة غريبة، ونظرت مرة أخرى إلى المبنى السكني الجديد، ورأت وميضًا من الضوء قادمًا من نافذة بالطابق الأول.

استدارت وتوجهت إلى المنزل. لسبب ما، جعلها ذلك الضوء الوامض تشعر بالانزعاج. قررت أن تخبر بشأنه الشرطية قوية البنية. قد تكون له أهمية ما، وقد لا تكون له أي أهمية على الإطلاق، لكن في الوقت الحالي، كان وميض الضوء ذاك هو كل ما لديها.

بمجرد عودتها إلى المنزل، اتصلت ليلي بضابطة الشرطة.

- مرحبًا، السيدة ترافيس؟
- أنا ضابطة الشرطة ترافيس.
- نعم، آسفة، ضابطة الشرطة ترافيس. أنا السيدة مونروز، زوجة كارل مونروز.
- أعرف ذلك. وفي الواقع، لا بد أنك تتمتعين بقدرات روحانية، حيث إنني كنت على وشك الاتصال بك الآن. نحن بحاجة إلى أخذ جهاز الكمبيوتر الخاص بزوجك. يبدو أنه من المحتمل أنه حصل على جواز سفره من خلال الشبكة المظلمة، لذا نريد مراجعة سجل تصفحه وحساب بريده الإلكتروني.
- لا أعرف ما الذي تتحدثين عنه.

ساد الصمت على الطرف الآخر من الخط، ذلك الصمت الذي دائمًا ما تتركه ضابطة الشرطة، والذي يعبر عن اعتقادها بأن ليلي مزعجة وحمقاء.

- هذا النوع من جوازات السفر يُصنع حسب الطلب، وهو باهظ الثمن على نحو لا يُصدق، ويعده خصيصًا بعض الأشخاص الذين يتربصون في أعمق وأحلك مواقع الإنترنت. لا بد أن زوجك كان على اتصال ببعض المجرمين،

وربما لفترة طويلة. لذا، نحن بحاجة إلى العثور على هؤلاء الأشخاص، ونحتاج إلى الوصول إلى كمبيوتر زوجك لمساعدتنا في القيام بذلك.

- لكن ما علاقة هؤلاء الأشخاص بالعثور على زوجي؟

ساد ذلك الصمت مجددًا.

- حسنًا، في الواقع، هذا ليس دليلًا مباشرًا، لكنهم قد يعرفون شيئًا ما. ومن المحتمل حتى أن يكونوا متورطين في اختفائه. لنفترض، على سبيل المثال، أنه كان مدينًا لهم بالمال أو كان يهدد بفضحهم.

تبادرت إلى ذهن ليلي مرة أخرى صورة الضوء الوامض في نافذة الشقة قيد الإنشاء. سرت الدماء باردة في عروقها، ثم شعرت بالحرارة. رجال عصابات ومجرمون، لم تخطر مثل هذه الأشياء على بالها في ظلمة الليل. قالت:

- أتدرين، قد لا تكون للأمر أهمية، لكنني لاحظت وجود ضوء مساء أمس في المبنى الجديد الذي يُشيد بجانب شقتنا. مجرد ضوء واحد، في نافذة واحدة فقط. لا أحد يعيش هناك، لذا جعلني هذا أعتقد...

توقفت عن الحديث. ما الذي اعتقدته؟ لم تكن لديها أي فكرة. جعلها ذلك تشعر بالخوف، هذا كل ما في الأمر. الخوف والبرد.

تابعت قائلة:

- لا أعرف، بدا الأمر غريبًا.

قالت بيفرلي، وهي تتخطى تعليقاتها وتنتقل إلى السؤال التالي:

- حسنًا، هل أنتِ في المنزل الآن؟ هل يمكنني القدوم الآن؟ وأخذ الكمبيوتر؟

- حسنًا، نعم، بالطبع. لكن كما تعلمين، لا أعرف كلمة المرور الخاصة به.

- يمكن لرجالنا تولي هذه المهمة، هذه ليست مشكلة.

- حسنًا إذن، عندما تأتين، هل يمكننا الذهاب إلى موقع البناء، لإلقاء نظرة على الشقة التي أتى منها الضوء؟

- لست متأكدة ما إذا كان الوقت سيكفي ذلك، لكن سأرى ما يمكنني فعله.

وصلت بيفرلي بصحبة شاب يرتدي ملابس مدنية ونظارة كبيرة، ويحمل صندوق ملفات. قضى وقتًا طويلًا على نحو غير عادي في غرفة النوم المخصصة للضيوف حيث كان الكمبيوتر، وجلست ليلي بقلق على حافة الأريكة عاقدة ذراعيها، وهي تتفقد ساعة الحائط. سألت بيفرلي:

- ماذا يفعل هناك؟

- أوه، كما تعلمين، هذه مجرد إجراءات، فلا يمكننا الدخول إلى هناك وفصل الكمبيوتر فحسب.

أومأت ليلي برأسها، ومرت بضع دقائق أخرى. سمعت صوت الأدراج تُفتح وتُغلق، ثم ظهر الرجل عند الباب ونظر إلى ليلي قائلًا:

- هل لديكِ مفتاح؟ لدرج الخزانة السفلي؟

هزت كتفيها وقالت:

- لا، ظللت أبحث عنه لمدة يومين، أعتقد أنه لا بد أن يكون في سلسلة مفاتيحه.

- هل تمانعين لو ثقبته لأرى ما إذا كان هناك أي شيء بالداخل؟ شرائح ذاكرة، أو أي شيء من ذلك القبيل؟

تصلبت ليلي، وتخيلت كارل وهو يدخل الشقة ليجد خزانة ملفاته الجديدة التي اشتراها من إيكيا وبها ثقب كبير شنيع، وأغراضه الشخصية مبعثرة ومسلوبة. لكن بعد ذلك فكرت في أن كارل كذب عليها، وأنها لا تعرف حتى اسمه الحقيقي. كان لديه درج مغلق في الشقة التي تقاسمها معها، وأخذ المفتاح معه إلى العمل. لا بد أن يكون هناك سبب لذلك.

قالت:

- نعم، حسنًا. لكن من فضلك لا تسبب أي فوضى.

ابتسم الشاب وعاد إلى الغرفة المخصصة للضيوف، وبعد عشر ثوانٍ، سمعت ليلي صوتًا حادًّا لكسر الخشب. ثم ظهر الشاب مجددًا بعد لحظة حاملًا صندوق الملفات.

قال بصوت هادئ، كأن ما يحدث أمر طبيعي تمامًا:

- حسنًا، لقد انتهيتُ تمامًا من عملي هنا. هل انتهيتِ...؟

نظر إلى الورقة التي قدمها لها في وقت سابق، والتي تحوي أسئلة شخصية: التواريخ المهمة، وأسماء الحيوانات الأليفة، واسما الوالدين، والكنيات، وأسماء الأماكن المهمة.

- نعم.

مررت له الورقة عبر الطاولة، فأضافها إلى محتويات الصندوق.

قال:

- رائع.

ثم وجَّه كلامه إلى بيفرلي قائلًا:

- حسنًا.

فنهضت ببطء.

توجها معًا نحو الباب، وقالت بيفرلي:

- سنكون على اتصال.

لم يرد أي ذكر للشقة الخالية ذات الضوء الوامض.

وقفت ليلي ثابتة في مكانها لبعض الوقت عقب رحيلهما، ونظرت في أرجاء الشقة كما فعلت مائة مرة منذ غياب كارل عن المنزل ليلة الثلاثاء. في البداية، لم ترَ إلا غياب كارل، لكن الآن رأت خداعه أيضًا. توجهت ببطء إلى غرفة النوم المخصصة للضيوف، وجثت على ركبتيها لتفحص محتويات الدرج المغلق.

١١

قالت أليس:

- أوه، لقد عدت.

كانت الساعة نحو العاشرة مساءً، حينما وقف عند المدخل مرتديًا سترة باري، وخلفه الإضاءة الصفراء المنبعثة من أعمدة الإنارة، وبدا كأنه أكثر شخص منهك في العالم. كان قد تغيب لمدة ست وثلاثين ساعة.

أجاب:

- نعم، إذا كان هذا يناسبك.

- حسنًا، لا بد أنه يناسبني في الواقع، أليس كذلك؟ أين كنت؟

- على الشاطئ.

- طوال هذا الوقت؟

- نعم، حسنًا، معظم الوقت. لقد نمت هناك الليلة الماضية.

- ما خطبك وهذا الشاطئ؟ اعتقدت أنك استعدت ذاكرتك ورجعت إلى المنزل.

- حسنًا، هذا هو الأمر.

نظر فوق كتفها بلهفة وحزن، وتابع:

- لقد تذكرت شيئًا. شيئًا مهمًّا.

نظر وراءها مرة أخرى، فاستسلمت وفتحت الباب على مصراعيه كي يتمكن من الدخول. جلبت إليهما زجاجتين من البيرة، وجلسا متجاورين على الأريكة، وسادي عند أقدامهما، وهيرو على حجر أليس، وجريف على مسافة آمنة.

سأل:

- هل الأولاد كلهم في الفراش؟

- الصغيرة نائمة في الفراش، بينما الاثنان الآخران جالسان على الفراش منشغلان مع أجهزتهما الإلكترونية.

عندما قالت هذا، أصدر هاتفها رنينًا، فألقت عليه نظرة سريعة. تركت جازمين حسابها على إنستجرام مفتوحًا على هاتف أليس، وأعجب شخص ما في مكان ما بشيء نشرته جازمين على إنستجرام. وهذا يعني أن هاتف أليس سيستمر في الاهتزاز لمدة عشر دقائق أو نحو ذلك، بينما يبدي كل من تعرفهم جازمين الإعجاب بمنشورها. تخيلت أليس بحرًا من أصابع الإبهام التي بلا جسد، تنقر على القلوب على نحو آلي، وتنهدت.

سأل فرانك وهو ينظر إلى الآيباد:

- ما هذا؟

قالت:

- إنها غرفة المعيشة في منزل والدَي، في لندن.

أومأ برأسه، كما لو كان ذلك منطقيًّا.

أوضحت قائلة:

- كلاهما يعاني الخرف. هناك مقدمو رعاية يعتنون بهما، لكن لا يوجد من يراقبهما على مدى الساعة طوال أيام الأسبوع. وصدقني، فهما بحاجة إلى من يراقبهما. لدى شقيقتي مثل هذه الترتيبات، لذا، آمل أن أتمكن أنا وهي ومقدمو الرعاية من جعلهما يستمران في العيش في منزلهما لفترة أطول. لأن البديل... حسنًا، لا يمكن تصوره.

افتعلت ابتسامة، وهي لا تكاد تصدق تقريبًا أنه قبل أقل من عامين كان والداها يخططان لرحلة إلى سور الصين العظيم، والآن لا يستطيع أيٌّ منهما حتى التخطيط لرحلة إلى الحمَّام.

قالت:

- حياتي فائقة الغرابة.

قال:

- وأنا كذلك.

وضحكا معًا.

لم تصدق مدى الارتياح الذي أحست به عندما رأته واقفًا هناك عند بابها للتو. حاولت جاهدة أن تبدو صارمة، لكنها اضطرت إلى مقاومة الرغبة في إلقاء ذراعيها حوله وهي تقول: حمدًا للرب أنك عدت. لذا التزمت الحذر والهدوء الآن، لأن هذا صار نهجها المعتاد في الحياة، وليس معانقة الناس.

قالت:

- حسنًا، ما الذي انشغلت به؟

ابتسم فرانك، وأدار زجاجة البيرة بين يديه.

- كانت لديَّ نظرية بأنني لا بد أن أكون قد اخترت هذه البلدة لسبب ما. كما تعلمين، لقد اشتريت تذكرة للمجيء إلى هنا، ووجدت طريقي إلى الشاطئ. لا يمكن أن يكون ذلك عشوائيًّا. لذلك اعتقدت أنه إذا تجولت لفترة من الوقت، فقد ينشِّط شيء ما ذاكرتي.

- وهل حدث ذلك؟

أشرقت عيناه البنيتان.

- نعم! تذكرت فتاة تركب دوامة خيل، واحدة من ذلك الطراز العتيق الذي يدور به الخيل صعودًا وهبوطًا.

نظر إليها بتردد، كما لو كان غير واثق بأن كلامه مفهوم، فأومأت برأسها مشجعة.

قالت:

- معرض الآلات والمحركات البخارية، إنه يقام هنا كل صيف.

بدا عليه السرور.

- أوه! قد تكون حقيقية إذن؟

- نعم، ربما تكون كذلك. ومن كانت هذه الفتاة؟

- لا أعرف. لكن كان لديها شعر بني، وكانت صغيرة في السن، مراهقة على ما أعتقد.

- هل لديك أي فكرة عمن يمكن أن تكون؟

- حسنًا، لا، لكن حدث أمر غريب. نزلت إلى الشاطئ، بالقرب من الطريق الرئيسي، لأن شعورًا قويًّا انتابني بأن هذا هو المكان الذي رأيت فيه هذه الفتاة على الدوامة...

- بالضبط، هذا هو المكان الذي يكون فيه عادة.

ابتسم قائلًا:

- المعرض؟

- نعم، على الشاطئ، أسفل الطريق الرئيسي! إذن، ماذا حدث عندما نزلت إلى هناك؟

قال:

- لقد تقيأت.

- ماذا؟ حرفيًّا؟

- نعم، حدث ذلك فجأة، وبعدها لم أستطع التحرك. بدا الأمر أشبه بيوم الأربعاء مرة أخرى. جلست ونظرت نحو البحر وأصبح ذهني مشوشًا. كان هناك أناس يأتون ويذهبون، لكنني كنت مشوشًا تمامًا. والآن، عندما حل الظلام، تذكرت شيئًا آخر. تذكرت...

أخذت يداه ترتعشان، وتابع:

- تذكرت رجلًا يقفز في البحر، هنا. كان هذا المكان بلا أدنى شك. كان الظلام

دامسًا، ورأيت ضوء القمر منعكسًا على صفحة الماء، وظل الرجل يسبح ويسبح، وكان عليَّ أن أتبعه، لكنني لم أستطع لأنني... لا أعرف السبب حقًّا.

دلَّك معصمه الأيمن بيده اليسرى، وقال:

- لم أستطع ذلك فحسب.

رفع نظره إلى أليس وطرف بعينيه، فتذكرت ذلك الشاب الذي رأته قبل بضع سنوات وهو يسير خائضًا في البحر. قالت:

- لقد رأيت ذلك أيضًا، قبل ثلاث سنوات. رأيت رجلًا يخوض في البحر. خلع ملابسه وطواها في كومة مرتبة، ثم خاض في البحر حتى انغمر رأسه تحت الماء. أتساءل عما إذا...

هز رأسه.

- لا، لا، كان هذا الرجل يرتدي ملابسه. كان يرتدي بنطالًا من الجينز وقميصًا. وكان يحمل... كان يحمل شيئًا معه، شيئًا كبيرًا بين ذراعيه. ولم يخُض في البحر، بل قفز، كأنه يحاول الهروب من شخص ما.

- من مَن؟

قال:

- لا أدري، لكنني شعرت كأنني ربما كنت أنا ذلك الشخص.

١٢

١٩٩٣

كان منزل زوجة عم مارك، بكل المقاييس، أفخم منزل مملوك لأشخاص تطأه قدما جراي على الإطلاق. كان مزينًا بطراز وصفته والدته بأنه «مبهرج»، وبدا أنه يتألف من الكثير من المرايا ذات الإطارات المذهبة، ومزهريات ضخمة تفيض بالزنابق. استقبلتهم ثلاثة كلاب من فصيلة التريير عند المدخل، لم يتعرف على سلالتها بالتحديد، وتبعها مارك، الذي كان يرتدي قميصًا أبيض بياقة مرفوعة وبنطال جينز أزرق أنيقًا. عندما دخلوا من الباب الأمامي الضخم، رحب بهم جميعًا بحماسة كأصدقاء قدامى، وقادهم حافي القدمين عبر ممر دائري إلى غرفة زجاجية ممتلئة بأشجار النخيل، أشار إليها باسم «الدفيئة»، حيث جلست امرأة جذابة للغاية في منتصف العمر ذات شعر أشقر مصفف بعناية خلف طاولة منخفضة محملة بالكعك وفناجين الشاي.

نهضت على قدميها وابتسمت قائلة:

- مرحبًا! لقد أتيتم! لم أكن متأكدة مما إذا كان مارك قد اختلق وجودكم جميعًا أم لا! حقًّا، إنه فتى يهوى المزاح. لقد عاد منذ ساعتين ومعه كيس مملوء بالدقيق والبيض، وأخبرني بأنه يتعين علينا إعداد الكعك لأن لدينا ضيوفًا قادمين!

كانت تتحدث بلكنة ناعمة وواضحة، مثل ابن شقيق زوجها، لكن جراي لم يسعه إلا أن يلحظ نبرة خفيفة من الهستيريا في أسلوبها. وتساءل عما إذا كان ذلك جزءًا من شخصيتها الطبيعية، أم رد فعل لظهور أسرة غريبة لوحتها الشمس نوعًا ما في منزلها النظيف.

تابعت، مؤكدة انطباع جراي:

- لكن على أي حال، ها أنتم أولاء، على الرحب والسعة. من فضلكم، اجلسوا، رجاءً.

سوَّت مقعدة تنورتها ذات الثنيات، وجلست مرة أخرى.

- اسمي كيتي، بالمناسبة.

صافحت الجميع، وقدموا أنفسهم بدورهم، ولاحظ جراي أن نظرتها ظلت معلقة على كيرستي لفترة أطول قليلًا من الآخرين. قطعت الكعكة المحشوة بالكريمة ومربى الفراولة بأصابع مرتعشة ذات أظفار مشذبة بعناية، وسألتهم عن كوخ رابيت وخططهم لباقي المدة خلال إقامتهم. تململ جراي في كرسيه المصنوع من الخيزران، وحدق من خلال النوافذ إلى الحدائق المعتنى بها بدرجة فائقة، وتساءل عن سبب وجودهم هناك.

قالت كيتي:

- مارك فتى طيب للغاية، وللأسف ليس لديَّ أي أولاد.

ضغطت بيدها على ترقوتها التي بدت كالخزف، وتابعت:

- لذا اعتدت أن أطلب وجود مارك وشقيقته معي طوال الوقت. أشعر كأنهما ولداي، ومن المؤكد أن مارك يجيد العناية بي.

ربتت على يده وابتسم لها بلطف، ثم حلت أولى فترات الصمت المحرج على المجموعة.

كسر توني الصمت قائلًا:

- حسنًا، عليَّ القول إن هذا المنزل مذهل من الداخل تمامًا كما هو من الخارج.

قالت:

- شكرًا لك يا توني، كان مسرحًا للعديد والعديد من الأوقات السعيدة على مر السنين.

بدت حزينة، وهي تفكر في زوجها المُتوفى حديثًا بلا شك.

سألت بام:

- منذ متى وأنتِ تمتلكين هذا المنزل؟

تحسست قلادتها الذهبية بأصابعها وقالت:

- أوه، منذ عشرين عامًا أو نحو ذلك الآن، على ما أظن. اشتريناه من كاتبة روايات رومانسية، وفي الواقع إذا دخلتم إلى المكتبة في طريقكم للخروج، ستجدون أننا احتفظنا برف مخصص لكتبها على سبيل التذكار. لكنني لم أقرأ أيًّا منها، حيث إن ذلك ليس نوع الكتب الذي أفضله في الحقيقة. أعتقد أنهم يطلقون عليها مسمَّى «روايات ساخنة».

بدت مرتاعة نوعًا ما من ذلك المفهوم، وتابعت:

- حسنًا، يا جراهام...

قال:

- جراي، الجميع ينادونني جراي.

قالت بام:

- باستثنائي أنا.

- جراي، كم عمرك؟

- سبعة عشر عامًا.

- إذن ما زلت تذهب إلى المدرسة.

- في السنة النهائية.

- وماذا عنكِ يا كيرستي؟

- أنا في الخامسة عشرة من العمر.

رفعت كيتي أحد حاجبيها الدقيقين وقالت بشرود:

- صغيرة في السن.

أومأت كيرستي برأسها، وتخضب وجهها.

سأل توني:

- ماذا عنك يا مارك؟ كم عمرك؟

- تسعة عشر عامًا.

- وماذا تفعل لكسب عيشك؟

- أنا في الكلية، أدرس إدارة الأعمال.

قالت بام:

- هذا رائع. وماذا تطمح أن تكون؟

- مليونيرًا.

قال ذلك وملامحه جادة تمامًا، فمنع جراي نفسه بصعوبة من بصق رشفة من الشاي.

قالت بام:

- حسنًا.

وقال توني:

- هذا رائع، فلا شيء يضاهي الطموح.

استقر فم كيتي في خط مشدود، ولم يكشف عن أي انفعال.

استدارت بام في مقعدها لتنظر من خلال نوافذ الدفيئة، وقالت:

- أوه! طاووس!

وبالفعل، وقف طاووس على العشب يلوح بريشه الشبيه بمروحة قزحية الألوان كفتاة استعراض.

ضحك توني قائلًا:

- حسنًا، هذه هي درة التاج! طواويس!

قالت كيتي بضجر:

- أعرف، هذا الأمر مبتذل على ما أعتقد. لكن الروائية كان لديها زوج منها، واعتدتُ وجودهما في الجوار، لذا اشتريت زوجًا جديدًا عندما ماتا، ومن

المدهش أنهما يشكِّلان رفقة طيبة للغاية. ولديَّ حيوانات أخرى أيضًا: حمار، ومهر شتلاند. يبدو من العبث بالنسبة إليَّ أن أمتلك كل هذه المساحة من دون أن يكون لديَّ أي شيء فيها.

لاحظت كيتي أن وجه كيرستي أشرق عند ذكر الحمير والمهور وقالت:

- مارك، لماذا لا تأخذ الطفلين لرؤية الحيوانات؟

انزعج جراي من الإشارة إليه باعتباره «طفلًا»، وقال:

- حسنًا، لا شكرًا.

ألقى مارك نظرة نحو شقيقته.

- كيرستي؟

أومأت برأسها ووقفت على قدميها، وكورت قبضتيها داخل كُمَّيها، وبدت «طفلة» تمامًا. وعندما شاهد جراي مارك يقود شقيقته خارج الغرفة، ورآهما يختفيان عبر الباب، وسمع صوتيهما يتلاشيان ليصيرا أصداء غير مسموعة حتى اختفت تمامًا، شعر بوخز مؤلم من القلق. نقل عينيه من أمه إلى أبيه، ثم نظر إلى أمه مرة أخرى، لكنهما كانا منهمكين في محاولة إجراء محادثة لائقة إلى حد ما مع امرأة لا يجمعهما معها أي شيء مشترك.

تساءل ما خطب ذلك الشاب؟ ما الذي جعل أجراس الإنذار تدق في رأسه؟ قرر أن الأمر كله متعلق بالتفاصيل: القدمان الحافيتان، والشعر المصفف بعناية، والارتباط الغريب مع زوجة عمه رابطة الجأش على الرغم من حدادها، وهذه الطموحات المبكرة في أن يصبح مليونيرًا، ناهيك بتحديقه تجاههم على نحو فاضح على الشاطئ، والدعوة غير المبررة لتناول الشاي. لم يبدُ أي شيء من ذلك منطقيًّا، ولم يكن شيء من ذلك كافيًا لتكوين أي نمط من الشخصيات التي يمكن لجراي التعرف عليها، على الرغم من أنه كان يعرف بعض الأشخاص فائقي الغرابة، حيث كانت كرويدون ممتلئة بهم.

ألقى نظرة إلى والديه مجددًا، ثم نظر من النافذة عبر الحديقة حيث رأى شقيقته

ومارك يبتعدان وهما يسيران معًا بودٍّ، وضحك مارك، فاستدارت شقيقته لتبتسم له. ثم اختفيا، لكن الطاووس ظل واقفًا، ثابتًا في مكانه، وريش ذيله يلتمع، وأحس جراي بأنه يحدق داخل روحه مباشرة.

١٣

انتهيا من شرب البيرة سريعًا، وكانت أليس لا تزال عطشى، وكذلك فرانك على ما يبدو. جلبت زجاجتين أخريين، وعقب الانتهاء منهما وعندما لم يَعُد هناك المزيد في الثلاجة، جثت على ركبتيها وأخرجت زجاجة ويسكي من الرف السفلي بالخزانة. شارف الوقت منتصف الليل، وفي العادة كانت أليس ستراقب الساعة، وتتخيل أن ساعات نومها السبع الثمينة تضيع هباءً، لكن لم يكن لديها أي اهتمام بالوقت الليلة، وبدا الوقت أمرًا غير ذي أهمية.

وقفت، ثم مدت يدها إلى الأعلى كي تلتقط كوبين.

- أمي؟

التفتت عند سماع صوت جازمين.

- ماذا تفعلين؟

أجابت:

- أحضر المشروبات.

- من أجله؟

- من أجل فرانك، ومن أجلي.

رفعت جازمين حاجبها الأيسر.

- اسمه ليس فرانك حتى.

أجابت أليس بصبر:

- لا، لكن هذا أفضل من لا شيء.

- لماذا لا يزال هنا؟ ظننته قد رحل.

- نعم، حسنًا، أنا أيضًا. لكنه عاد.

أومأت جازمين، ثم عضت خدها قبل أن تقول:

- لنأمل ألا يكتشف أحد الأمر.

نظرت إليها أليس بتساؤل.

- ربما كان من الأفضل أن تطلبي من كاي وروميـن وديري عدم إخبار أي شخص بشأنه، كما تعلمين، في حال ما إذا...

أومأت أليس برأسها سريعًا، حيث إنها لم ترغب في إجراء هذه المحادثة الآن، وقالت:

- لقد تأخر الوقت على أي حال، ويجب أن تحصلي على قسط من النوم.

أجابت وهي تكتم تثاؤبها:

- غدًا ليس يومًا دراسيًّا.

- نعم، لكن لا يزال الوقت متأخرًا.

أمسكت أليس الكوبين بين أصابعها، وحملت زجاجة الويسكي في يدها الأخرى. أرادت أن تذهب ابنتها الآن، فقالت بصرامة مصطنعة:

- هيَّا، اذهبي الآن.

حدقت إليها جازمين على نحو غريب للحظة طويلة، كما لو أن لديها شيئًا مهمًّا تخبرها به، كأن هناك أفكارًا لا يمكن فهمها تطن داخل عقلها الشاب، لكنها هزت رأسها أخيرًا وتنهدت قائلة:

- تصبحين على خير يا أمي. كوني حذرة.

ظلت الكلمات تتردد في رأس أليس وهي تحمل الويسكي والكوبين إلى غرفة المعيشة. كوني حذرة. لم تكن متأكدة من أنها تريد ذلك.

في أثناء غيابها، صعدت هيرو إلى حجر فرانك، الذي بدا عليه الارتباك بعض الشيء أمام كلبة من فصيلة ستافوردشير يبلغ وزنها نحو أربعين كيلوجرامًا.

سألته:

- هل تحب الكلاب؟

ابتسم قائلًا:

- يبدو الأمر كذلك.

- حسنًا، لا تغترَ كثيرًا، هيرو تحب الجميع فهي مدمنة للاهتمام.

ثم أشارت بيدها إلى جريف، الذي جلس حذرًا ويقظًا، ينقل عينيه اللتين بلون الشوكولاتة بين أليس وفرانك قبل أن يعاود النظر إلى أليس مجددًا، كأنه يدرك أنهما يتحدثان عنه. تابعت أليس:

- هذا هو الذي عليك أن تكسب وده، إنه صعب الإرضاء جدًّا. هل تريدني أن أبعد هيرو عن حجرك؟

هز رأسه.

- لا، الأمر لطيف جدًّا، فهي... ضخمة على نحو باعث على الاطمئنان.

صبت أليس جرعتين كبيرتين من الويسكي وأعطت إحداهما لفرانك. رفعت كوبها قائلة:

- في صحتك. في نخب التذكر!

قرع فرانك كوبه بكوبها وابتسم قائلًا:

- وفي نخبك، لكونكِ كريمة للغاية.

قالت:

- أوه، لا أدري عن كوني كريمة، بل بالأحرى غبية.

قال:

- ربما الاثنان.

- نعم، سأوافق على ذلك، فهذه قصة حياتي: كريمة وغبية.

تناول فرانك رشفة من مشروبه وتجهم.

- حسنًا، ما قصة حياتك بالضبط؟ بما أننا لا نستطيع التحدث عن قصة حياتي.
أجابت:
- يا إلهي، ستتمنى لو أنك لم تسألني.
قال ببساطة:
- لا، واصلي الحديث، أخبريني عن الخرائط.
نظرت إلى مشروبها.
- آه، الخرائط.
ثم رفعت نظرها مجددًا وضحكت بسخرية قائلة:
- إنها مهنتي، ومشروعي الخاص، وفني.
- إنها جميلة.
- شكرًا لك.
- من أين استلهمتِ الفكرة؟
- حسنًا، بدأ كل شيء بواحدة من خرائط الطريق الضخمة المخصصة للسيارات، كما تعلم. كان والدي يمتلك واحدة، خريطة للمملكة المتحدة بأكملها، ضخمة للغاية. كنت أتصفحها خلال الرحلات الطويلة، وأنظر إلى كل الأماكن التي لم أزُرها قَطُّ. أحببت تباين التضاريس، كما تعلم، بين وسط لندن على سبيل المثال، ومرتفعات إسكتلندا. كانت لندن سوداء بسبب علامات الطرق، بينما بدت إسكتلندا بيضاء اللون. وبعد ذلك أعطاني أبي سيارته القديمة عندما بلغت الثامنة عشرة، وعندما بعتها بعد بضع سنوات وجدت خريطة الطريق القديمة في صندوق القفازات. أخذتها، ووجدت نفسي أتصفحها مرة أخرى. كنت عالقة في المنزل مع طفلة، أكاد أفقد عقلي من شدة الملل، فقررت أن أصنع منها شيئًا. في الواقع، صنعت هذا.
أشارت نحو صورة على الجدار المقابل، تشبه جازمين وهي صغيرة للغاية.
- هل هذه مصنوعة من الخرائط؟
أومأت برأسها.

قال:

- رائع! يبدو كأنه رسم. هذا مدهش!

- حسنًا، شكرًا لك. بعد ذلك، اشتريت كتب الخرائط القديمة كلما سنحت لي الفرصة. أعني، يجب أن ترى غرفتي في الطابق العلوي، حيث إنني أكتنزها تقريبًا. وعندما انتقلت إلى هنا من لندن، كنت بحاجة إلى مصدر دخل، لذا بدأت أتلقى الطلبات، وبعد ذلك أنشأت متجرًا صغيرًا على الإنترنت إلى جانب عملي هذا، لبيع البطاقات الشخصية لأعياد الميلاد وأشياء أخرى من هذا القبيل. وها قد صرت الآن محترفة بدوام كامل في قص ولصق قطع الخرائط الصغيرة وتحويلها إلى أشكال زهور.

نظرت إليه وواصلت الحديث:

- أخبرتك بأن حياتي غريبة.

- حسنًا، بوصفي شخصًا بلا حياة على الإطلاق، عليَّ القول إن هذا يبدو رائعًا جدًّا.

- نعم، إنها حياة جيدة، غريبة، لكن جيدة. وهذا يعني أنني أستطيع العمل في وجود الأولاد من حولي، مما يُعَد شيئًا رائعًا.

أشار إلى الكلاب قائلًا:

- ناهيك بهؤلاء.

وأشار إلى جهاز الآيباد المفتوح على صورة متوهجة لغرفة خالية، وأضاف:

- وهذان أيضًا. لديك الكثير من المشاغل.

- نعم، هذا صحيح، لكن ليس أكثر من مليون امرأة أخرى. النساء مذهلات، كما تعلم.

ابتسمت، فبادلها الابتسام.

- عليَّ أن أصدق كلامك، لأنني لا أستطيع أن أتذكر أي امرأة في الواقع.

- حسنًا، أنت تعرفني، وصدقني، أنا مذهلة حقًّا.

لم يضحك، لكنه ابتسم.

- حسنًا، أنتِ أول امرأة أعرفها، ومن الآن فصاعدًا ستكونين معيارًا لمقارنة لكل امرأة أخرى أقابلها.

- يا إلهي، لقد أصبحت أمك!

ضحك هذه المرة، وبينما هو يميل إلى الخلف، ضغطت ساقه على ساق أليس للحظة وجيزة، فشعرت بتلك الفجوة الكبيرة الخاوية من الوحدة والاحتياج تنفتح بداخلها مرة أخرى، بعد أن ظلت تحاول تجاهلها لست سنوات. خارج النافذة المنخفضة، أومض مصباح كهربائي معلق من سلك حتى انطفأ تمامًا، وصارت الغرفة أكثر ظلامًا فجأة. سمعت صرير ألواح الأرضية فوق رأسها بينما أحد الأولاد يشق طريقه إلى الحمَّام، ثم حدث شيء غير عادي، حيث فرد جريف سيقانه الأنيقة فجأة واقترب منهما، بعد أن كان يراقب حديثهما من الجانب الآخر من الغرفة. توقعت أليس أنه سيأتي كي يطلب منها مداعبته، لكن بدلًا من ذلك توقف الكلب عند فرانك، وأراح ذقنه على ركبته.

وضع فرانك يده على رأس الكلب وقال:

- أوه!

ثم نظر إلى أليس وابتسم.

نقَّلت أليس نظرها من كلبها إلى فرانك، ثم عاودت النظر إلى كلبها. شعرت بمعدتها تتقلص. على عكس سادي وهيرو، كان جريف كلبها هي، اختارته من ملجأ للحيوانات عندما كان عمره عامًا واحدًا، وعاش معها منذ أن كانت في لندن، قبل أن تنجب رومين. كان أطيب وألطف كلب في العالم، لكنه لم يكن ودودًا، وكان يحافظ على مسافة بينه وبين الناس. لكن ها هو ذا يتقرب من الغريب، مرددًا بطريقة شعرية رغبات أليس الباطنية.

قالت:

- لا بد أنك رجل طيب، دائمًا ما تميز الكلاب هذه الأشياء.

- هل تعتقدين هذا؟

- أعتقد هذا بالفعل.

ثم شعرت بشيء يلين في أعماقها، شيء كان رقيقًا ذات يوم، وأصبح قاسيًا مع مرور الوقت، من دون أن تلاحظ حتى. وضعت يدها فوق يد فرانك، حيث استقرت على رأس جريف المستدير، فمد فرانك يده الأخرى ليغطي يدها. ها هي ذي، لحظة رائعة من الوجود المعلق، تكمن وراءها إمكانات لا حصر لها. قد يقولان في السنوات المقبلة: هل تتذكر تلك الليلة عندما تلامسنا لأول مرة؟

لكن في الوقت الحالي، تعالى صوت الصرف بالطابق العلوي عندما أفرغ أحد الأولاد المرحاض. بعد ذلك، أتى وقع أقدام تنزل الدرج الخشبي، وظهرت رومين في حالة من الفوضى، وعيناها منتفختان من النوم، تسحب جانبَي ثوب نومها الأبيض الكريمي وهي تقول:

- أمي، لا أستطيع النوم.

سحبت أليس يدها من تحت يده وتنهدت وهي تقول له:

- سأعود خلال دقيقة.

لكنه بدأ يتململ في مقعده بالفعل، محاولًا إبعاد هيرو عن حجره، ووضع كوب الويسكي خاصته جانبًا وقال:

- أنا منهك تمامًا في الواقع، كما تعلمين، هل تمانعين إذا...؟

أجابت:

- يمكنك البقاء قدر ما تشاء، فأي صديق لجريف هو صديق لي.

أمسكت يد رومين الممدودة، وصعدت معها الدرج، ثم نادت قائلة له:

- سأترك الباب الخلفي مفتوحًا، أراك في الصباح.

١٤

١٩٩٣

خرجوا لتناول العشاء في تلك الليلة، حيث إن الدعوة المرتجلة لتناول الشاي في قصر كيتي قلبت يومهم رأسًا على عقب نوعًا ما، ولم يتسنَّ لهم الوقت للذهاب للتسوق لشراء الطعام، لذا قالت كيرستي:

- لماذا لا نتناول العشاء على الشاطئ الليلة؟ سيكون ذلك لطيفًا حقًّا.

كانت أمسية جميلة، باردة لكن مضاءة بسماء زرقاء لامعة. لذلك اقترح توني الذهاب إلى مطعم المأكولات البحرية الأنيق الواقع عند الطرف الآخر من البلدة، والذي له شرفة مغطاة تطل على الشاطئ، إلا أنه حذرهم سابقًا:

- ممنوع طلب المقبلات.

ألقى جراي نظرة فاحصة على كيرستي من فوق قائمة طعامه، فبدت مختلفة. لاحظت نظراته إليها، فقالت:

- ما الخطب؟

أجاب:

- لا شيء، ماذا ستتناولين؟

أغلقت قائمة طعامها وقالت:

- الجمبري.

ماسكارا، هذا هو الأمر: كانت تضع الماسكارا.

تابعت قائلة:

- ما الذي ستتناوله أنت؟

أجاب:

- شريحة لحم.

تصنعت التثاؤب ساخرة، حيث دائمًا ما كان جراي يطلب شريحة لحم.

سألها:

- ما الذي تحدثتما عنه، أنتِ وغريب الأطوار ذاك؟

قاطعته والدته:

- أوه، هذا ليس لطيفًا يا جراهام.

أجاب:

- حسنًا، إنه ليس طبيعيًّا تمامًا، أليس كذلك؟

قال توني:

- حسنًا، لا، لكن من هو الطبيعي حقًّا؟ هذا شيء تدركه كلما تقدمت في العمر. الجميع غريبو الأطوار بعض الشيء.

- نعم، لكن الجميع لا يصطحبون ابنتك البالغة من العمر خمسة عشر عامًا إلى الطرف الآخر من الحديقة لرؤية «الحمير».

صاحت كيرستي:

- كان هناك حمار!

تنهد جراي.

- كان اسم الحمار نانسي، وكان جميلًا. كما أنه ليس غريب الأطوار، بل هو... راقٍ فحسب.

- إنه راقٍ وغريب الأطوار. أعني، من يدعو مجموعة من الغرباء لتناول الشاي؟

قالت كيرستي:

- إنه يشعر بالملل، لقد أخبرني بذلك. حيث إنه عرض المجيء إلى هنا ليؤنس زوجة عمه لأنه اعتقد أن بعض أصدقائه من الأيام الخوالي قد يكونون هنا، لكنهم ليسوا موجودين، وهو عالق هنا الآن من دون وجود أحد يمكنه قضاء الوقت معه.

- ولهذا قرر أنه يريد قضاء الوقت مع آل روس من كرويدون؟

هزت كيرستي كتفيها.

ثم جاءت النادلة وأخذت طلبهم، وأطل جراي من الشرفة على معرض الآلات والمحركات البخارية بالأسفل. كان الطقس لطيفًا، والواجهة البحرية مزدحمة بالناس: مجموعات من المراهقين والعائلات. دقق جراي النظر عندما لمح رأسًا ذا شعر داكن ناعم، وتبع الرأس وهو يمر بين الحشود. لم يكن هو، أليس كذلك؟ هل كان مارك؟ دار الشخص حول لعبة العربات المتصادمة، ووقف لشراء الآيس كريم. ثم بدأ السير نحو الجانب القريب من أرض المعرض، وعندما اقترب رفع نظره إلى جراي، الذي همس:

- يا إلهي!

مكتبة
t.me/soramnqraa

قالت كيرستي:

- ما الخطب؟

لفت مارك انتباه جراي، ورفع نحوه قمع الآيس كريم خاصته.

رفع جراي يده ليرد التحية وهو يتمتم مرة أخرى:

- يا إلهي!

- ما الخطب؟

نهضت كيرستي من مقعدها وجاءت لترى ما الذي ينظر إليه، وقالت:

- أوه! إنه مارك!

لوحت بيدها، فلوح لها مارك، ثم انضمت إليهما بام ملوحة، وعقد جراي ذراعيه على صدره وتنهد.

سمع مارك ينادي:

- انزلي بعد تناول العشاء، سأنتظرك!

تخضب وجه كيرستي عندما عادت إلى مقعدها.

سألها جراي بعدم تصديق:

- لن تذهبي، أليس كذلك؟

- ولِمَ لا؟

- لأنكِ في الخامسة عشرة من عمرك! ولأنه في التاسعة عشرة من عمره! أمي، أبي، لن تسمحا لها بهذا، أليس كذلك؟

تبادلت بام وتوني النظر إلى بعضهما، ثم نظرا إلى جراي، وقالت بام:

- لا أرى ما يمنع ذلك، هل ترى أنت أي سبب؟

نظرت إلى توني مرة أخرى.

هز توني رأسه.

- ما دمت ستعودين إلى المنزل بحلول الساعة العاشرة.

فسدت بقية الوجبة بالنسبة إلى جراي، وأخذ يسترق النظرات من الشرفة بين الحين والآخر، بحثًا عن شعر مارك اللامع على نحو غير طبيعي. من يذهب إلى الملاهي بمفرده؟ ومن يبقى لمدة ساعة منتظرًا فتاة مراهقة لتنهي عشاءها؟

كانت شريحة اللحم خاصته جافة ومطاطية، ورقائق البطاطس دهنية للغاية، ولم يكن الكاتشب من نوع هاينز. وضع سكينه وشوكته جانبًا في منتصف الوجبة، ولاحظ أن كيرستي تأكل الجمبري على عجل، حتى إنها وضعت اثنين في فمها مرة واحدة. وضعت سكينها وشوكتها معًا، وتجرعت بقايا الكوكاكولا، ثم قبلت ورقة نقدية بقيمة خمسة جنيهات من محفظة والدها وغادرت.

استدار جراي وراقبها، ورأى شقيقته الصغيرة وقد بدت خطواتها فجأة أكثر استقامة، ولم تَعُد مشيتها مضطربة، وهي تنزل الدرج وتتوجه نحو مارك الذي كان ينتظرها عند المدخل. استقبلها مارك بعناق قصير وقُبلة على وجنتها، ثم وقف ويده على كتفها وابتسم لها للحظة، قبل أن يمسك ذراعها من مرفقها ويقودها بشهامة نحو الحشد.

ثم فكر جراي في الماسكارا، وعرف أن كل هذا كان مخططًا له سابقًا، عند حظيرة الحمير. حاول أن يتخيل المحادثة، وتصور مارك يبتسم متآمرًا ويقول: «في الساعة الثامنة، اختلقي عذرًا للرحيل». وأخته، أخته الجميلة الغبية التي لم يقبلها أحد من قبل، تقول: «سأكون هناك!»، كأن هذا مشهد في برنامج غبي على قناة ديزني.

ثم نهض وقال لأمه وأبيه:

– سأذهب للتمشية، وسأراكما لاحقًا في الكوخ.

سألته والدته:

– ألا تريد تناول الحلوى؟

فرك بطنه وقال:

– نعم، لا أشعر بأنني على ما يرام في الواقع. أعتقد أن هذا بسبب كل الكعك الذي تناولته في وقت سابق.

رسمت والدته نظرة تعاطف على وجهها، وربتت على يده.

– أوه، حسنًا، فلتذهب لاستنشاق بعض الهواء النقي، وسنراك لاحقًا.

ابتسم لهما وغادر متوجهًا نحو معرض الآلات والمحركات البخارية. وجد نقطة مراقبة جيدة على سور فوق المعرض مباشرة، وخلع نظارته الشمسية وجلس ليراقب.

١٥

جلست ليلي على فراشها، الفراش الذي تتقاسمه مع زوجها. زوجها الغائب. زوجها الذي ليس زوجًا في الواقع. زوجها الذي هو عبارة عن مجسم من الورق المقوى، مثل إحدى تلك الشخصيات بالحجم الطبيعي للممثلين والممثلات الموجودة في دور السينما لإعطاء الانطباع بأنك في حضرة أحد المشاهير. لا يزال الفراش يعبق برائحته، برائحتهما معًا، وعرق جسديهما عندما يكونان معًا، ودفئهما وبهجتهما. مرت ثلاثة أيام منذ آخر مرة لمسته. ثلاث ليالٍ منذ تشابُك جسديهما معًا تحت هذه الأغطية. ستتلاشى الرائحة قريبًا، وستصبح الملاءات متسخة وستحتاج إلى غسلها. وبعد أن تزول الرائحة، سيكون كل ما تبقى زائفًا، بما في ذلك هذه الشقة التي صُممت لتبدو باهظة الثمن، بأرضياتها الخشبية الزائفة، وجدرانها الرقيقة، والأثاث الرخيص القابل للفك، ومقابض الأبواب ومقابس الكهرباء التي بدأت تتفكك، والصنابير المطلية بالكروم التي فقدت بريقها بالفعل.

تأملت الأشياء التي بين يديها، تلك التي وجدتها في الدرج المغلق بعد رحيل ضابطة الشرطة وأخصائي تكنولوجيا المعلومات. خاتمان ذهبيان، أحدهما مرصع بألماسة كبيرة، وسلسلة مفاتيح بها ثلاثة مفاتيح للباب، ورزمة سميكة

من الأوراق النقدية: ٨٩٠ جنيهًا إسترلينيًّا. لذا صار لديها المال الآن، لكن لم تكن لديها أي إجابات.

كان الخاتمان صغيرين للغاية. ربما كانا ملكًا لوالدته؟ وكانت سلسلة المفاتيح عبارة عن كرة نحاسية، ثقيلة ولطيفة الملمس في راحة يدها. أما رزمة النقود، فتألفت من أوراق نقدية من فئة عشرين وخمسين جنيهًا إسترلينيًّا، مستعملة، ولكنها مرتبة بعناية كأنها من البنك. هذا هو ما كان يخفيه عنها إذن. لم يكن هناك الكثير، ولم يكن هناك شيء لن يحتفظ به أي رجل آخر في درج مغلق للحفاظ عليه.

رن الهاتف، فجفلت. توقعت أن تكون ضابطة الشرطة، تتصل لإبلاغها مزيدًا من الأخبار التي ستقلب عالمها رأسًا على عقب. ربما ستخبرها بأن زوجها كان امرأة ذات يوم، وأن اسمه الحقيقي هو كارلا. ها! ابتسمت بمرارة، والتقطت سماعة الهاتف المجاور للفراش.

سأل رجل بصوت ناعم شبه أنثوي:

- هل أنتِ ليلي؟

- نعم.

- أوه، مرحبًا، ليلي. لم نتحدث من قبل، اسمي روس. أنا صديق لزوجك، كارل.

جلست ليلي منتصبة وقبضت على الهاتف بقوة.

- نعم؟

- اسمعي، ظللت أحاول الاتصال به خلال اليومين الماضيين، لكن يبدو أن هاتفه مغلق. اتصلت به في المكتب في وقت سابق، وأخبروني بأنه لم يأتِ للعمل منذ يوم الثلاثاء. يؤسفني إزعاجكِ في المنزل، لكنني تساءلت عما إذا كان بإمكاني التحدث معه.

توقف عن الحديث، وسمعته يلعق شفتيه قبل أن يتابع:

- هل هو موجود؟

قالت:

- لا، إنه ليس هنا.

- آه، حسنًا، متى تتوقعين عودته إلى المنزل؟

- لا أدري، إنه مفقود.

سمعته ليلي يحبس أنفاسه، وتابعت:

- لم يعُد إلى المنزل منذ ليلة الثلاثاء، ولم أرَه منذ صباح الثلاثاء. والشرطة على علم بذلك.

شهق بحدة قائلًا:

- يا إلهي! مفقود، هذا... لا أعرف ماذا أقول. أعني... هل تقصدين حرفيًّا أنك لم تريه؟

- نعم، لقد غادر صباح الثلاثاء، وأرسل إليَّ رسالة نصية مساء الثلاثاء عندما غادر العمل، لكنه لم يعُد إلى المنزل قَطُّ. وها نحن أولاء مساء الجمعة، لذا نعم، أنا أعني ذلك حرفيًّا.

- اللعنة، يا إلهي! لا يبدو هذا من عادته. أعني، أعلم أنني لم أرَه منذ فترة، لكن من القليل الذي استنتجته، كان مجنونًا بكِ تمامًا، وسعيدًا للغاية كما تعلمين.

- كان أسعد رجل في العالم.

توقفت عن الحديث ونظرت إلى خاتمَي الزفاف والمفاتيح على المرتبة بجانبها، ثم واصلت قائلة:

- روس، منذ متى وأنت تعرف كارل؟

- يا إلهي! لا أدري، منذ بضع سنوات على ما أعتقد. كنت أعمل معه في شركة بلومرز، حيث انضممنا معًا في نفس الوقت تقريبًا، عام ٢٠١٠ على ما أعتقد.

- وأين كان يعمل قبل ذلك؟

- حسنًا، لست متأكدًا تمامًا. أعتقد أنها كانت شركة خدمات مالية أخرى. ربما أخبرني بذلك، لكنني لا أتذكر.

- هل تعرف عائلته؟
- لا، يا إلهي! لا. لم أقابل أي شخص يعرفه قَطُّ. دائمًا ما كنا نلتقي لتناول بعض المشروبات كما تعلمين، نحن الاثنين فقط، كلما وجدت نفسي في الجوار. وكنت أحاول دعوتكما لتناول العشاء، لأنه من الصعب للغاية الخروج بصحبة طفلة، كما تعلمين، لكنني شعرت بأنه لا يريد حقًّا قضاء أمسية مع رضيعة تصرخ.

ضحك بتوتر وقال:

- ظل يختلق الأعذار، لذا مع وجود سبب أو آخر، لم أرَه منذ عام على الأقل.
- أين تعيش يا روس؟
- في بوتني.
- أين تقع بوتني؟
- في جنوب لندن، على النهر.
- أريد أن آتي لرؤيتك. أود أن أطرح عليك بعض الأسئلة، رجاءً.
- أوه، نعم بالطبع، أعني، نحن مشغولان غدًا، وسنلتقي والدَي جو لتناول الغداء.
- يمكنني القدوم مبكرًا. أنا لا أنام، لذا يمكنني المجيء في أي وقت.
- أعتقد هذا، أعني، عادة ما نكون مشغولين جدًّا في الصباح مع الطفلة وما شابه من الأمور.
- نصف ساعة، أحتاج إلى نصف ساعة فقط.
- حسنًا، سأتحدث إلى جو، انتظري...

خفت الصوت عندما وضع يده على السماعة، وسمعته ينادي قائلًا: «زوجة كارل... مفقود... وقت مبكر... نصف ساعة». ثم سمعت صوت امرأة غاضبة تقول: «لكن ليس هنا، اذهب إلى مقهى أنطونيو».

عاد إلى الخط وقال:

- حسنًا، لا بأس، هناك مقهى، أشبه بمطعم صغير، عند ناصية الشارع، اسمه

مقهى أنطونيو. يمكننا أن نلتقي هناك في الساعة التاسعة. أعطيني رقم هاتفك وسأرسل إليك العنوان في رسالة نصية.

أملته الرقم، ثم سألت:

- حسنًا، كيف تبدو؟

قال بنبرة تواضع:

- أوه، ليس بي شيء مميز للغاية، فأنا متوسط الطول والبنية، وشعري بني، وأرتدي نظارة طبية. كيف تبدين أنت؟

قالت:

- أبدو مثل كيرا نايتلي، لكنني أقل نحافة.

قال روس:

- آه، حسنًا، من شأن هذا أن يساعدني. سأراك غدًا.

ردت ليلي:

- نعم، سأراك غدًا.

١٦

فتح فرانك الستائر، فاستقبلته مرة أخرى الكلبة المزمجرة، نفس الكلبة التي استلقت على حجره الليلة الماضية كجوال ضخم يفيض حبًّا، فابتسم للكلبة، وتوقفت الكلبة عن الزمجرة وهزت ذيلها السميك كالعصا. لم تكن لديه أي فكرة عن الوقت، لكن الشمس كانت لا تزال منخفضة في السماء، والأضواء في الجزء الخلفي من منزل أليس كلها مطفأة. فتح الباب، فدخلت الكلبة وقفزت على فراشه مباشرة.

قال وهو يحك أسفل ذقنها:

- صباح الخير يا فتاة.

انقلبت على ظهرها وقدمت له بطنها، فجلس فرانك بجانبها وداعب بطنها وفكر في الليلة السابقة. لا ينبغي له أن يخلط بين إحساسه بالعجز، ومشاعره تجاه أليس. كان أشبه بطفل حديث الولادة يتمسك بأول شخص يُظهر له أي عاطفة. لكن على الرغم من ذلك، كان فيها شيء ما، شيء جاذب كالمغناطيس. فكلما كان معها، وجد نفسه منجذبًا إليها كأن الهواء نفسه المحيط بها يتقلص. ولم يكن الأمر أنها واثقة بنفسها وجذابة جسديًّا فحسب، بل كان صمودها وموهبتها الفنية وكرم روحها هو ما يجذبه إليها. أخبرته أليس الليلة الماضية عن الكلبة هيرو،

وكيف تخلى عنها مستأجر سابق، وكيف تبنتها أليس من دون تردد. وبعد ذلك، عندما أصبح والداها مريضين للغاية بحيث لم يعودا يستطيعان رعاية سادي، تبنتها هي أيضًا. وها هي ذي الآن، في منزلها الضيق، وقد صار لديها شخص آخر لتؤويه، وفم آخر لتطعمه، وبدا أنها لا تمانع ذلك على الإطلاق.

سمع صوت طفلة صغيرة تنادي في الفناء.

- هيرو! هيرو!

قفزت الكلبة من فراشه وخرجت من الباب. كانت الفتاة الصغيرة، رومين. توقفت عندما رأته واقفًا عند مدخل الباب.

قال:

- لقد استيقظتِ مبكرًا.

أجابت بلكنة يوركشاير القوية:

- أعرف هذا، طلبت مني أمي أن أعود إلى الفراش وأنام، لكنني لم أستطع.

- وقد ظللتِ مستيقظة حتى وقت متأخر من ليلة أمس أيضًا، لا بد أنك متعبة.

هزت كتفيها وأحاطت عنق هيرو العملاق بذراعيها.

- لا أشعر بالتعب أبدًا.

- أوه، حسنًا، هذا من حسن حظك.

هزت كتفيها مجددًا وقبَّلت رأس هيرو.

قال فرانك:

- حسنًا، ماذا ستفعلين الآن؟

- أعتقد أنني قد أذهب وأحاول إيقاظ أمي مرة أخرى.

جفل لذلك الاقتراح، وفكر في الهالات الموجودة تحت عينَي أليس الزرقاوين المائلتين إلى الخضرة، وكيف تمسك شعرها بيديها وتسحبه بعيدًا عن وجهها كأنها تحاول حث نفسها على أن تفيق. كان اليوم هو السبت، والوقت لا يزال مبكرًا.

- ما رأيك لو أعددت لك الإفطار، ثم شغلنا التلفزيون، أو شيئًا من هذا القبيل؟

قالت:

- حسنًا، أتناول خبز البيجل المحمص على الفطور، مع زبدة الفول السوداني، هل يمكنك إعداده؟

حاول فرانك أن يتخيل شكل خبز البيجل. كان يعرف الكلمة، لكنه وجد صعوبة في تحديد الشيء المرتبط بها. تصور كلبًا بأذنين ناعمتين، لكن ذلك لم يكن صحيحًا. كان شيئًا يوضع في محمصة الخبز، لذا لا بد أن يكون شيئًا شبيهًا بالخبز.

- أنا متأكد من أنني سأستطيع تدبر الأمر، إذا أريتني مكان كل شيء.

- حسنًا إذن.

تبعها إلى المطبخ الضيق، وأشارت الساعة الموجودة على الميكروويف إلى الساعة ٥:٥٨ صباحًا.

رفعت غطاء صندوق الخبز الخشبي وأخرجت منه كيسًا أسطوانيًّا به... نعم، خبز البيجل! بات يذكره الآن. قالت:

- هاك.

ثم أشارت إلى رف مرتفع.

- وزبدة الفول السوداني موجودة هناك.

- هل تحبين الزبدة أيضًا؟

هزت رأسها.

صفق بيديه وقال:

- حسنًا إذن.

سحب طبقًا من رف خشبي للأطباق، وتناول سكينًا. جلست رومين على الكرسي عند طاولة المطبخ وراقبته وهو يحاول إدخال الخبز بالقوة في محمصة الخبز.

ضحكت قائلة:

- لا! يجب أن تقطعه إلى نصفين!

قال:

- بالطبع يجب عليَّ ذلك، يا لي من أحمق!
- يا لك من أحمق!
قطَّع خبز البيجل إلى نصفين، ودفع القطعتين داخل المحمصة.
- لماذا لا تستطيع أن تتذكر أي شيء؟
قال فرانك:
- لا أعرف حقًّا. تعتقد والدتك أنني ربما تعرضت لصدمة كبيرة. صدمة هائلة إلى درجة أنها طردت كل الذكريات من ذهني.
- مثل الصدمة الكهربائية؟
- لا، بل أشبه بالصدمة النفسية، كما تعلمين، مثل وقوع شيء سيئ.
- تقصد مثلما حدث عندما اختطفني والدي.
التفت فرانك لينظر إلى رومين.
- هل فعل ذلك؟
- نعم، لكن بعد ذلك جاءت الشرطة وصار كل شيء على ما يرام.
- يا إلهي! لا بد أن ذلك كان صادمًا للغاية. كم كان عمرك؟
- كنت صغيرة، في الثالثة من عمري. لكن ذلك أثَّر في ذاكرتي بطريقة مختلفة، لأنني لا أستطيع تذكر الكثير من الأشياء عندما كنت في الثالثة من عمري، لكنني أتذكر ذلك الأمر كله.
- هل ما زلت ترين والدك؟
- ليس حقًّا، عندما يأتي إلى إنجلترا فقط. إنه يعيش في أستراليا الآن، لذا فهو لا يأتي كثيرًا. لكن ليس مسموحًا لي بالذهاب إلى أي مكان بمفردي معه في حال ما إذا قام بذلك مرة أخرى.
مالت إلى الأمام فجأة في مقعدها وحدقت إلى محمصة الخبز، وصاحت:
- هذا يكفي! لا أحب الخبز المحمص بشدة!
- كيف...؟
- ذلك الزر! هناك! بسرعة!

أخرج خبز البيجل، وقد تغير لونه بالكاد. أراه لها وقال:

- هكذا؟

بدا عليها الارتياح وأجابت:

- نعم.

- إذن، لماذا اختطفك والدك؟ ماذا حدث؟

- حدث ذلك لأن أمي انتقلت إلى هنا عندما كنت طفلة، فغضب لأنه كان يعيش في لندن وأراد رؤيتي أكثر. وقالت أمي إنه لا يستطيع ذلك بسبب... بعض الأشياء. لذا غضب بشدة وأخذ يصيح، وأشياء من هذا القبيل، ثم ذهبتُ ذات مرة للإقامة معه في لندن، فأخذني إلى مكان ما. أعتقد أنه كان فندقًا أو شيئًا من هذا القبيل. وعلى الرغم من أنه كان لطيفًا معي حقًّا واشترى لي الكثير من الهدايا والحلوى، فإنني كنت أعلم أن الأمر سيئ وشعرت بالخوف. ثم جاءت الشرطة وكان الأمر مخيفًا جدًّا، وما زلت أتذكر كل شيء، كل شيء.

استدارت لتواجه الطاولة عندما وضع أمامها خبز البيجل.

لم يعرف فرانك ماذا يقول. فكر في أن هناك الكثير من الحكايات، وأن العالم مليء بالحكايات، لكن الحكاية الوحيدة التي يحتاج إلى معرفتها حقًّا مدفونة في مكان عميق للغاية بداخله، إلى درجة أنه يخشى ألا يتمكن من الوصول إليها أبدًا.

- أوه!

فوجئت أليس نوعًا ما لرؤية رومين جالسة على الأريكة بين هيرو وفرانك. كان التلفزيون مفتوحًا، وكانا يشاهدان مسلسل الرسوم المتحركة أوكتونتس.

قال فرانك:

- صباح الخير، فكرنا في أن نسمح لك بالنوم لبعض الوقت.

شارفت الساعة التاسعة، ولم تستطع أليس أن تتذكر آخر مرة نامت فيها حتى وقت متأخر إلى هذا الحد. انحنت لتحية جريف وقالت:

- كم هذا رائع. هذا الأمر وحده يساوي إيجار ليلة.

ألقت نظرة على رومين. كانت طفلة اجتماعية، ولا تشبه أختها الكبرى، التي دائمًا ما كانت تتعامل مع أي شخص لا تربطها به صلة مباشرة بازدراء مروع. لكن على الرغم من ذلك، بدا من المدهش أن ترى رومين مرتاحة إلى هذا الحد مع رجل غريب. ولم يكن مجرد رجل «غريب»، بل رجل لا يعرف من يكون. فجأة، شعرت أليس بالذنب الشديد، فتوجهت إلى الأريكة وجذبت رأس رومين نحو فمها وقبَّلت قمة رأسها، وسألتها:

- هل أنتِ جائعة؟

أجابت رومين:

- لا، لقد أعد لي فرانك خبز البيجل. لكنه حاول وضعه في محمصة الخبز من دون تقطيعه. كان الأمر مضحكًا للغاية!

قال فرانك:

- يا لفرانك الأحمق!

ظهر كاي عند مدخل الباب، وعيناه منتفختان من أثر النوم، وبدا غاضبًا بعض الشيء. حدج والدته بنظرة على الفور عندما رأى فرانك على الأريكة، نظرة تعني: ما الذي يفعله هنا بحق الجحيم؟

اختارت أليس تجاهل تلك النظرة، وبدلًا من ذلك قالت:

- صباح الخير أيها الوسيم. لماذا استيقظت في وقت مبكر إلى هذا الحد؟

قال:

- سمعت أصواتًا. صوت رجل.

أجابت:

- نعم، عاد فرانك في وقت متأخر الليلة الماضية. لقد بدأ يتذكر الأشياء!

بدا واضحًا أن كاي لا يكترث على الإطلاق لذاكرة فرانك المفقودة، وابتعد متراخيًا وعاد ليصعد الدرج.

قال فرانك:

- عذرًا، أعتقد أنه عندما تكون مراهقًا، يكون من الغريب بعض الشيء أن تجد شخصًا غريبًا في منزلك.

- في الحقيقة يا فرانك، لقد اعتادوا على ذلك. دائمًا ما يوجد لدينا أشخاص في المنزل، وبعضهم أغرب منك بكثير.

قالت رومين:

- هل تذكرين باري؟

- بالتأكيد أذكره.

قالت رومين:

- لقد هرب وترك كل أغراضه وكلبته، وكان مدينًا لأمي بالكثير من المال، لكنه اختفى فحسب.

- كان رجلًا بغيضًا.

وافقتها رومين قائلة:

- نعم، كان رجلًا بغيضًا، لكنه دائمًا ما كان يشتري لي القصص المصورة والشوكولاتة.

- كان يسرقها يا رومين.

ثم التفتت إلى فرانك وتابعت:

- لقد أعطى فتاة صغيرة شوكولاتة مسروقة. هل تصدق ذلك؟

- يا إلهي! حسنًا، أتمنى ألا أكتشف أنني رجل بغيض يسرق الشوكولاتة ويعطيها للفتيات الصغيرات.

قالت رومين وهي تقترب منه:

- لا، من المؤكد أنك لست رجلًا بغيضًا. أنت رجل لطيف.

نظرت أليس إلى ابنتها، وكيف التصق جسدها الضئيل بجسد فرانك الرجولي الضخم. سبق لها أن تركت رومين تتأذى. لقد عرضت سلامة جميع أولادها للخطر، وكادت تدفع ثمنًا باهظًا للغاية. بحثت بداخلها عن أي شعور بالقلق أو الخوف الفطري، لكنها لم تجد شيئًا سوى الشعور بالدفء.

قالت:

- بعد ما تذكرته بالأمس، فكرتُ في أنه ربما ينبغي لي اصطحابك في نزهة حول البلدة، لنرى ما إذا كنت ستتذكر أي شيء آخر.

قالت رومين:

- هل يمكنني الذهاب أيضًا؟

أجابت أليس:

- يمكنك أن تأتي أيضًا. وكذلك ربما يتعين علينا يا فرانك أن نشتري لك زيًّا جديدًا، وربما بعض الملابس الداخلية الجديدة.

رأته يتخضب بعض الشيء عند ذكر الملابس الداخلية.

- لا أعني أن ثمة خطبًا بشأن ملابسك الداخلية، فأنا متأكدة من أنها لا بأس بها، لكن من الجيد دائمًا أن يكون لديك زوج احتياطي.

- لكن ليست لديَّ أي أموال.

قالت:

- انظر: قميصك من سلسلة متاجر موجي، وبنطالك من جاب، وحذاؤك من جونز، كما أنك تتمتع بأسنان رائعة، ولكنة راقية، وقصة شعر أنيقة. سأفترض أنك ستتمكن من أن ترد لي المبلغ في مرحلة ما، عندما تتعافى.

- لكن ماذا لو لم أتمكن من ذلك؟

أشار إلى الغرفة وواصل قائلًا:

- أنتِ مسؤولة عن كل هذه النفقات، ولديك ثلاثة أولاد. لن أستطيع أن أسامح نفسي إذا تسببت لك في أي عجز مادي.

- فلتدعني أنا أقلق بشأن ذلك. أنا امرأة ناضجة ويمكنني تحمُّل نتيجة أخطائي. وإذا كان ذلك سيجعلك تشعر بتحسن، فيمكننا الذهاب إلى متاجر الملابس المستعملة. باستثناء الملابس الداخلية بالطبع.

قالت رومين:

- هذا مقزز! ملابس داخلية مستعملة! يا له من أمر مثير للاشمئزاز!

١٧

بدا الرجل المدعو «روس» بالفعل كما وصف نفسه تمامًا: رجل عادي الهيئة له وجه بادي الطيبة، ولا يتمتع بأي حس أناقة في الملبس على الإطلاق. رأته يذهل عندما دخلت إلى المطعم الصغير اللطيف. كانت قد بذلت جهدًا في العناية بمظهرها ذلك الصباح، فبعد ثلاثة أيام من دون استحمام ومن دون مكياج، والاكتفاء بتصفيف شعرها على هيئة ذيل حصان منسدل، انتابتها رغبة غريبة في الظهور بمظهر لائق أمام صديق كارل، وبذل نفس الجهد الذي كانت ستبذله لو أن كارل قبِل دعوته لتناول العشاء في منزلهما. تخيلت ما يمكن أن يكون كارل قد قاله عنها لروس. كان سيخبر روس بأن زوجته الجديدة جميلة، وأنها طويلة وأنيقة، وأنه أسعد رجل في العالم، ولم ترغب في خذلانه.

نهض روس على قدميه وقال:

- ليلي؟

- نعم.

تصافحا ثم جلست قبالته.

ناولها قائمة الطعام وهو يرتجف بعض الشيء وقال:

- سررت بلقائك.

أجابت:

- نعم، شكرًا لك.

- سأتناول القهوة فقط، لكن اطلبي ما تشائين. إنهم يعدون البيض ولحم الخنزير المقدد بشكل جيد هنا، كما أن خبز الفوكاتشيا طازج.

تفحصت قائمة الطعام، وأدركت أنها جائعة بالفعل. لم تشعر بالجوع منذ أيام. قالت لصاحب المطعم الذي اقترب من طاولتهما:

- أريد الخبز المحمص.

ثم تذكرت أن تبتسم وهي تضيف قائلة:

- من فضلك، خبز أبيض، مع الزبدة، وكابتشينو وعصير برتقال. شكرًا لك.

قال روس:

- إذن، أعتقد أنك لم تسمعي شيئًا من كارل بعد؟

- لا، ولن أسمع شيئًا من كارل بعد الآن، أنا متأكدة تمامًا من ذلك.

- هل تقصدين أنك تعتقدين...

- أعتقد أنه مات.

شحب وجه روس.

- لو كان لا يزال على قيد الحياة، حتى لو كان محبوسًا في تابوت تحت البحر، ولو بُترت أطرافه، ولو كان أبكم وأعمى، فسيجد طريقه للعودة إليَّ. أعلم أنه سيفعل.

- حسنًا، نعم، لكن قد يستغرق الأمر وقتًا طويلًا...

رمقته بنظرة تحذيرية. لم يكن هذا وقتًا للمزاح.

- أشعر بذلك في أعماقي وفي قلبي. لقد مات، ولم يمُت فحسب يا روس، بل إنه لم يكن على قيد الحياة قَطُّ.

ظهر الخوف على روس بعض الشيء الآن. بدا مثل ذلك الرجل الذي كان في القطار منذ عدة أيام، كما لو أنه يخشى التعرض للاحتيال بطريقة ما.

هدأت من حدة صوتها وقالت:

- اسمع يا روس، عندما أبلغت عن اختفاء كارل، أخذت الشرطة جواز سفره، وأدخلوه في قاعدة البيانات الخاصة بهم، وأخبروني بأنه غير موجود، وأنه لا يوجد شخص اسمه كارل مونروز، وأن جواز سفره مزور.

وضعت يديها على الطاولة وحدقت إلى عينَي روس الشاحبتين.

- وأنت الشخص الوحيد الذي كان يعرفه. فلتخبرني إذن، كيف يمكن أن يكون هذا؟

مكتبة سر من قرأ

- مزور؟

- نعم، لقد اشتراه من بعض المزورين عبر الإنترنت. لا يوجد شخص اسمه كارل. إنه غير موجود.

- لكن... لكنكما تزوجتما. أعني، من المؤكد أن المستندات كانت سليمة، وإلا لما أصدروا لكما رخصة الزواج.

قاومت الرغبة في إبداء الاستهجان، وقالت:

- اسمع، إذا كان لديك جواز سفر، فإن الباقي يأتي من تلقاء نفسه. ما عليك إلا أن تظهره ويلقي عليه الموظف نظرة، وهذا كل شيء. وعلاوة على ذلك، كان هذا في كييف. هل تفهم ما أقوله؟

أومأ برأسه وحدق إلى الرغوة التي تعلو قهوته.

- حسنًا، هل يمكنك أن تخبرني بما تعرفه عنه؟ أعني عن زوجي، رجاءً؟

- حسنًا...

تراجع روس عن الطاولة، ورفع نظره ناحية النافذة التي في مقدمة المطعم. جلب المالك الخبز المحمص لليلي، ودهنته بالزبدة بينما بدأ روس الحديث.

- التقيتُه في العمل كما تعلمين، منذ خمس سنوات، أو أربع سنوات ونصف، أو شيء من هذا القبيل. تم تعييننا في نفس الفريق، لا أذكر المشروع تحديدًا. على أي حال، لطالما ظننته رجلًا رائعًا. كما تعلمين، كان متحفظًا بعض الشيء، لكن كان هناك شيء مميز فيه. لذا بذلت قصارى جهدي كي أصادقه. الشيء الذي أدركته في وقت مبكر بشأن كارل هو أن عليك اتخاذ

خطوتين إلى الأمام، ثم التراجع خطوة إلى الوراء. اقتربي منه، ثم امنحيه بعض المساحة. لذا، إذا خرجنا لتناول مشروب، دائمًا ما كنت أترك بضعة أسابيع تمر قبل أن أقترح الأمر مرة أخرى. وعندما كنا نخرج، كنت أحرص على الحديث عن أشياء عامة: مجرد كلام عن كرة القدم، والشائعات في المكتب. وإذا تحولت المحادثة إلى أمور شخصية، كنت أحول دفة الحديث إلى موضوعات حيادية كي لا يشعر بأنني أتطفل. لذا، وعلى الرغم من أن هذا يبدو جنونيًّا، فإنني لم أكن أعرف أي شيء عنه تقريبًا في الواقع.

أومأت ليلي برأسها. لم يبدُ ذلك جنونيًّا على الإطلاق.

- ماذا عن عائلته؟ هل أخبرك بأي شيء عنهم؟

عبس روس.

- ليس حقًّا. أعني، كنت أعلم أن لديه عائلة، أمًّا وأختًا، وقد توفي والده على ما أعتقد.

أحست ليلي بالارتياح، لأن هذه المعلومات تتطابق مع ما قدمه لها كارل، وقالت:

- نعم، هل تتذكر اسميهما؟ اسمَي الأم والأخت؟ أو المكان الذي تعيشان فيه؟

- لا، لم يخبرني بذلك قَطُّ، بل قال أمي وأختي فقط. ألم تقابليهما إذن؟

- نعم، لقد عدنا من شهر العسل منذ أسبوعين فقط. قال كارل إنه سيكون هناك متسع من الوقت للعائلة، لكن هذا الوقت خاص بنا وحدنا، لذا...

هزت كتفيها. كل الأشياء التي بدت لها رومانسية للغاية حينها، وخاصة جدًّا، تحولت الآن لتصبح مجرد مظاهر لخديعته. تابعت قائلة:

- لكنني تحدثت إليها، يوم زواجنا. أخذني كارل إلى الهاتف وقال: «تريد أمي أن تلقي عليك التحية». كانت مكالمة قصيرة، مجرد دقيقة واحدة فقط، وربما أقل. بدت لطيفة جدًّا.

(تذكرت الآن أنها بدت مترددة للغاية أيضًا، كما لو أنها تتعجل إنهاء المحادثة، كأنها تخشى الخطأ في الحديث).

- أتمنى لو كان بإمكاني تذكر اسمها.

قال روس:

- لكن حتى لو استطعتِ ذلك، فمن المحتمل ألا يكون لقبها هو مونروز، بافتراض أن لقب كارل ليس مونروز. لذا حتى لو تمكنتِ من تذكر اسمها الأول، أشك في أن ذلك سيكون مجديًا.
- هذا صحيح. نعم. لكن يبدو لي من الغريب جدًّا ألا أتذكره. لقد كانت تلك المرأة حماتي، وأجريت محادثة معها، ومع ذلك لا أتذكر اسمها. هذا يجعلني أشعر كما لو أن... كما لو أنني كنت في حلم، أو في غيبوبة منذ أن قابلته.
- حسنًا، نعم، هذا ما يقولونه عن الشخص الواقع في الحب. إنها حالة كيميائية، أليس كذلك؟ وهي تؤثر في التفكير.
- أعتقد ذلك. لكن الآن، وأنا وحدي من دونه، أشعر كأن ذهني بدأ يستعيد صفاءه، وكل ما تبقى لي هو الأسئلة، والأسئلة، والمزيد من الأسئلة. كل الأسئلة التي كان يجب أن أطرحها عندما كان هنا.
- حسنًا، كم هو رائع استبصار الأمور بعد فوات الأوان.

ابتسمت ليلي بكآبة، حيث إنها لم تكن تعرف معنى الاستبصار، وقالت:

- اسمع يا روس، فلتخبرني، هل فاجأك هذا على الإطلاق؟ بشأن كارل؟
- حسنًا، نعم، بالطبع أنا مندهش. يا إلهي! إن اختفاء الأشخاص وحمل هويات مزيفة ليسا أمرين عاديين تمامًا، أليس كذلك؟ لكن على الرغم من ذلك، كان كارل كتابًا مغلقًا تمامًا.
- لماذا أردت أن تصادقه يا روس؟ مع كل غموضه ذاك؟ لماذا كلفت نفسك عناء ذلك؟

وضع روس فنجانه برفق على الطبق، وضحك قائلًا:

- هذا سؤال جيد. دائمًا ما تسألني جو: «ما الذي يعجبك فيه؟». لم تكن تحبه كثيرًا.

شعرت ليلي بالإهانة الشديدة، وكرهت هذه المدعوة «جو» على الفور.

- لكنني أعتقد أن هناك نوعًا من الاحترام المتبادل بيننا. كنا متباينين كالليل والنهار، لكننا نفهم بعضنا.

مال نحوها، ورأت ليلي لغة جسده تسترخي، عندما اتضح له جوهر الأمر.

- يتلخص الأمر في أنني أردت أن أكون أكثر شبهًا به، كما أعتقد أنه أراد أن يكون أكثر شبهًا بي.

مال إلى الوراء مجددًا، راضيًا عن ملخصه.

لم تستطع ليلي تخيُّل كيف يمكن أن يريد كارل بأي شكل من الأشكال أن يكون مثل هذا الرجل الممل، لكنها ابتسمت وقالت:

- نعم، أتفهم ذلك.

ضحك مجددًا وقال:

- أعتقد أنه كان يريد ما أتمتع به من علاقة مستقرة، ومنزل، وحياة أسرية وطيدة. وكنت أتمنى أن أحظى ببعض حريته وسحره ووسامته.

غيرت اتجاه الحديث وسألت:

- أين كان يعيش، قبل أن يقابلني؟

ابتسم وهز رأسه كأنه في حيرة من أمره فجأة.

- ليست لديَّ أي فكرة. لكنني أعلم أنه لم يكن جهة الجنوب، لأنه عند نهاية الأمسيات كنت أعرض عليه أحيانًا أن أشاركه سيارة أجرة، لكنه كان يقول دائمًا: «أنا ذاهب في الاتجاه المعاكس». لكنني لم أسأله قَطُّ إلى أين يتجه بالضبط.

توقف عن الحديث للحظة وحك رأسه، ثم تابع:

- نعم، عند التفكير في الأمر الآن، يبدو من الغريب قلة ما أعرفه عنه، قياسًا بكم الوقت الذي قضيته معه.

- هل كانت لديه أي صديقات قبلي؟

- حسنًا، نعم، لم يكن هناك أي شيء جدي، بل مجرد...

نظر إليها بتردد.

- من الصعب قول هذا، لكنه كان استغلاليًّا، أو على الأقل هذا هو الانطباع الذي تكوَّن لديَّ على أي حال. كان يستغل النساء من أجل الجنس. لم يذكر أي أسماء، بل كان يقول فقط تلك الفتاة التي التقيتها يوم الجمعة، أو تلك الفتاة التي مارست الجنس معها يوم السبت. كن يتغيرن باستمرار. كاد يبدو كأنه... يزدريهن؟ كأنهن حططن من شأن أنفسهن بوجودهن معه. كان بوسعه إبداء القسوة الشديدة حيالهن. كثيرًا ما فكرت في أنه ربما تعرض للإيذاء في الماضي. وربما كان ذلك هو سبب مظهره الخارجي القاسي، أتفهمين؟

نقر بأنامله على حافة الطاولة، وبدت عليه الكآبة فجأة، لكن وجهه ما لبث أن أشرق وهو يتابع قائلًا:

- لكن بعد ذلك ظهرتِ أنت، وكان الأمر مختلفًا، مختلفًا تمامًا. لقد عشقك، وأعتقد أنه ظن أنك ستغيرين كل شيء. والآن...

أنهت كلامه نيابة عنه.

- لقد مات الآن.

- حسنًا، لا أعتقد أنه مات، لكنه في ورطة. كونه يحمل هوية مزيفة يعني أنه لا بد أن يكون قد اقترف شيئًا سيئًا، أو ربما آذاه شخص ما. فلا أحد يغير هويته إلا إذا كان مضطرًّا إلى ذلك حقًّا، إلا إذا كان يائسًا. أود مساعدتك إذا كان بوسعي ذلك.

قالت:

- نعم، رجاءً، من فضلك. لا أعرف أحدًا في هذا البلد، وضابطة الشرطة تكرهني، ولا أحد يريد مساعدتي. لا يبدو أن أحدًا يهتم.

وجدت نفسها تبكي، فتناولت بغضب المنديل الورقي الذي قدمه لها روس، وفركت دموعها بقوة قبل أن يراها أي شخص آخر.

- معذرة.

- لا، لا تعتذري، رجاءً. اسمعي، سأتحدث إلى جو عندما أعود إلى المنزل، لنرى ما يمكننا فعله. ربما نستطيع أن...

توقف عن الحديث، وبدا واضحًا أنه غير رأيه بشأن مشاركتها فكرته التالية.

- حسنًا، سأتحدث معها، وسنفعل كل ما بوسعنا. لا بد أنك تعيشين في جحيم.

أومأت ليلي برأسها بقوة وقالت:

- نعم، نعم في الجحيم، هذا هو مكان وجودي الآن، هذا هو مكان وجودي بالضبط.

١٨

بدوا كأنهم يشكِّلون وحدة أسرية ساحرة حقًّا: أليس وفرانك ورومين. شعرت أليس، التي لم تكن لديها أي خبرة على الإطلاق في أن تكون جزءًا من عائلة تقليدية، كأنها محتالة. أرادت أن تخبر الناس بأنه ليس زوجها، وأن رومين ليست ابنته، وأنها ليست طبيعية إلى هذا الحد، ولا تجيد اتخاذ القرارات الحياتية.

خرج نصف سكان البلدة في هذا الصباح المشمس، وازدحم المكان بالناس. وكانت هناك سوق أطعمة فرنسية في الساحة، فتوقفوا لشراء بعض الكرواسون الطازج، والقهوة بالحليب. أحست أليس بفخر غريب ببلدتها الصغيرة الجميلة، ثم توهجت سعادة عندما أدركت أنها تفكر في هذا المكان الآن باعتباره بلدتها الصغيرة، حيث إنها ظلت فترة طويلة تشعر كأنها دخيلة.

أرادت إطالة ذلك الشعور العابر بالانتماء، فقالت:

- أتدري، لقد صوروا الكثير من الأفلام هنا. ذات مرة، أغلقوا المكان بالكامل لمدة يومين لتصوير فيلم قراصنة الكاريبي. حقًّا، لم يُسمح لنا بالدخول أو الخروج من منازلنا لمدة ثمانٍ وأربعين ساعة، ولم نتمكن حتى من إلقاء نظرة على جوني ديب.

نظرت أليس إلى فرانك وأدركت أنه ليست لديه أي فكرة عن فيلم قراصنة

الكاريبي، أو من هو جوني ديب، وتذكرت أنه يمكن اعتباره كائنًا فضائيًّا في الأساس. صاروا أمام رايدنجهاوس جراند، وهي سينما صغيرة أبعد ما تكون عن الفخامة، مبنية من الطوب الخرساني، وتعرض فيلمًا واحدًا في كل مرة. لاحظت أن فرانك يحدق إلى السينما باهتمام.

سألت:

- هل تتذكر شيئًا؟

أومأ برأسه نصف إيماءة، ثم هز رأسه بتردد.

- لست متأكدًا. أعتقد أنني ربما أتذكر. إنها...

وضع كفيه على صدغيه واستدار فجأة وقال:

- أستطيع رؤية تلك الفتاة مرة أخرى، تلك الفتاة ذات الشعر البني، رأيتها تدخل إلى هناك.

أشار إلى الأبواب الزجاجية الثقيلة، وتحركت يده من رأسه إلى صدره وبدأ في تدليك موضع قلبه. قال:

- أحس أنني... لا أدري، أشعر بالاعتلال. أشعر...

بدا شاحبًا ومتعرقًا، فقادته أليس إلى مقعد وجلست بجانبه. أخذت منه كوب القهوة ووضعته بجانبها، ثم أمسكت يده وقدمت له الكيس الورقي البني الذي اشترت فيه الكرواسون، فدفعه بعيدًا.

قالت:

- ابقَ معي يا فرانك، ابقَ معي. لا نريدك أن تقضي ليلة أخرى على الشاطئ. فلتأخذ نفَسًا، تنفس.

قبض على يدها، وشعرت بأنفاسه تتباطأ.

قالت:

- أجل، هكذا. أنا هنا، كل شيء على ما يرام.

وقفت رومين تراقبه بفضول.

- هل ستتقيأ؟

هز رأسه وأجبر نفسه على الابتسام.

- إذا أردت، يمكنك أن تتقيأ في سلة المهملات تلك.

ارتجف صوته وهو يقول:

- لا، شكرًا لك. لا أعتقد أن ذلك سيكون ضروريًّا.

جلسوا لبعض الوقت وانتظروا حتى يتعافى فرانك من نوبة الهلع، لأنه بدا واضحًا أن هذا ما أصابه. كانت أليس قد عانت العديد منها من قبل، بدرجة تكفي كي تتعرف على أعراضها.

سألته بعد بضع دقائق:

- هل أنت بخير؟

ابتسم وأجاب:

- أنا بخير.

ناولته القهوة، فنهض على قدميه وقال:

- حسنًا، لنواصل المسير.

- هل أنت متأكد؟ يمكننا العودة لاحقًا إذا لم تكن مستعدًّا لذلك.

قال:

- لا، لقد استمر هذا الأمر بما فيه الكفاية. كل شيء موجود بالداخل هنا، ويمكنني الشعور به. إنه موجود هنا، وأريد إخراجه، أريد أن أعرف. لنواصل السير.

أجابت:

- حسنًا إذن.

نظرت إليه عندما مروا أمام السينما مجددًا، ونظره مثبت على الأبواب الأمامية. فكرت في أنه يبدو مرعوبًا، وظهر عليه الاضطراب. ماذا حدث لفرانك في هذه البلدة؟ وما الدور الذي لعبه في كل هذا؟

١٩

١٩٩٣

استمتعت كيرستي ومارك بوقت رائع، بما يتوافق مع الفكرة المبتذلة الأولى الشائعة عن الملاهي، وربح مارك من أجلها لعبة محشوة ضخمة، ناعمة وقبيحة، ضمتها إلى صدرها. كما تناولا أيضًا حلوى غزل البنات، بما يتوافق مع الفكرة المبتذلة الثانية الشائعة عن الملاهي. بعد ذلك، ضرب تلك اللعبة ذات الوزن الثقيل بالمطرقة فأصاب الهدف وجعل الجرس يدق، فحقق الفكرة المبتذلة الثالثة الشائعة عن الملاهي. وفي تلك اللحظة، نعم، كما هو متوقع تمامًا، وفي الوقت الذي بدأ جراي يعتقد أن ذلك لن يحدث، خرجا من نفق الحب وشفاههما ملتصقة ببعضها. حققا الأفكار المبتذلة جميعها.

بالكاد استطاع جراي تحمُّل ذلك.

كانت الساعة التاسعة والنصف، وبدت السماء باللون النيلي مع بعض الخطوط المتبقية من اللون الأرجواني. كانت شقيقته تقبِّل شابًّا، بينما هو ممزق ما بين الذهاب إلى المنزل وإخبار والدته ووالده بما يحدث، وبين عدم رغبته في مغادرة هذا المكان في حال ما إذا حدث شيء سيئ. تساءل عما يعنيه بالسوء. لم يستطع التعبير عن هذا الشعور بوضوح بالكلمات، لكنه كان موجودًا مثل غصة في حلقه.

لم يكن الأمر مجرد كونه غير قادر على التأقلم مع احتمال وقوع أخته في الحب، أو ممارستها الجنس، أو نضوجها، بل كان أكثر من ذلك. كان الأمر أكثر قتامة من ذلك. كان ذلك بسببه هو، بسبب مارك. بدا أن هناك شيئًا غريبًا بشأنه، شيئًا غامضًا وقاسيًا. بدا كأن له أكثر من وجه، وكل إيماءة من إيماءاته مدروسة بعناية، وكل كلمة وكل لفتة. وأحس جراي أن حتى لون شعره يبدو موحدًا بدرجة زائدة، كما لو كان بإمكانه أن يجذبه فيظهر وجه مارك بأكمله ليكشف عن هويته الحقيقية، مثل أحد الأشرار في مسلسل الرسوم المتحركة «سكوبي دو».

شاهدهما ينزلان من عربة نفق الحب، وسارا يدًا بيد، واللعبة القبيحة تحت ذراع مارك. تساءل جراي، ماذا سيفعلان الآن؟ انتهيا من الملاهي، وكانت كيرستي أصغر سنًّا من أن يصطحبها إلى الحانة. كان الظلام قد حل، وسارا متهاديين نحو المخرج. ألقى مارك رأسه إلى الوراء ليطلق ضحكة صاخبة على شيء قالته كيرستي. لم يستطع جراي أن يتخيل ماذا قالت، ثم راقب بشعور متزايد من عدم الارتياح بينما كان مارك يقود كيرستي بعيدًا عن المدينة باتجاه البحر. نزل من على الجرف الذي كان يجلس عليه وتبعهما. كانت الأضواء القادمة من البلدة تضيء ذلك المكان بالكاد، وبدت الموسيقى الصادرة عن معرض الآلات والمحركات البخارية همهمة بعيدة ومخيفة بعض الشيء. لم يضئ الطريق سوى القمر الشاحب، فتراجع جراي وسط الظلال الفضية وحاول الاستماع إلى ما يقولانه، لكن ارتطام الموج وتناثره على الرمال حجبا صوتيهما. في النهاية توقفا عن السير، والقمر معلق بالأعلى وسطهما تمامًا بين الظلال، وراقبهما جراي بفزع وهما يستديران لمواجهة بعضهما قبل أن يشرعا في تبادل القبلات، في البداية برقة ثم بحماسة متزايدة. أدار رأسه قليلًا غير راغب في المشاهدة، لكنه لم يرد أيضًا التوقف عن المراقبة في حال ما إذا فاتته اللحظة التي يفعل فيها مارك شيئًا لإيذاء أخته.

لكن بعد بضع دقائق، ابتعد مارك عن كيرستي، وأحاط وجهها بيديه وقبَّل طرف أنفها واستدار كلاهما. سمعه جراي يقول:

- هيَّا، لقد تأخر الوقت، يجب أن أوصلك إلى المنزل.

وصل جراي إلى المنزل قبل كيرستي بعشر دقائق، وهو يلهث بعض الشيء من الركض طوال الطريق.

قالت والدته وهي ترفع نظرها عن روايتها القديمة السميكة ذات الصفحات الصفراء:

- أين كنت؟

- لم أذهب إلى مكان محدد، كنت أتمشى فحسب.

- كان العشاء لطيفًا، أليس كذلك؟

- كان على ما يرام.

- بدا من الغريب أن نلتقي مارك، من بين كل الناس.

- لم يكن ذلك من قبيل المصادفة، يا أمي.

- ماذا تقصد؟ بالطبع كان مصادفة.

أدار جراي عينيه في محجريهما بسبب سذاجتها، وقال:

- ألا تمانعين الأمر؟

- أمانع ماذا؟

- ذهاب كيرستي معه، في حين أنه يكبرها كثيرًا في العمر.

- أوه، دعك من ذلك، كان لديَّ حبيب في العشرين من عمره عندما كنت في سن كيرستي.

- نعم، لكننا لا نعرفه.

- لقد ذهبنا إلى منزله، يا جراهام! وقابلنا زوجة عمه! وهذا أكثر مما يعرفه الكثير من الوالدين عندما تدخل ابنتهما في علاقة.

- علاقة؟

تفقدت والدته ساعة يدها، وبينما كانت تفعل ذلك أتى صوت ضحكات من خارج الباب الأمامي، وصوت قعقعة صندوق الرسائل وهو يُفتح ويُغلق، فتقدم والد جراي من الباب ووجد هناك كيرستي ومارك ومعهما الدب القبيح.

قال توني:

- ادخلا، ادخلا!

نظر مارك بفضول في أرجاء المنزل، وسأل:

- هل لديك مانع؟ لقد مررتُ بهذه المنازل الصغيرة مرات عديدة ولم يسبق لي أن دخلت أحدها من قبل.

- بالطبع لا، رجاءً تفضل بالدخول.

فتح توني الباب على مصراعيه وأشار لمارك بالدخول.

قال مارك:

- مدهش! إنه يشبه بيت الدمى! كم هو صغير للغاية!

قال توني:

- حسنًا، لقد بُنيت هذه المنازل لأناس صغار الحجم. أتعلم، في القرن السادس عشر، عندما بُني هذا المكان، كنا جميعًا سنعد عمالقة!

خفض مارك رأسه وهو ينتقل من غرفة إلى أخرى. راقبه جراي بفضول، ثم استدار ونظر إلى كيرستي. بدا وجهها متخضبًا وقسماتها ملتوية بما يشبه الحرج.

أطل مارك أعلى الدرج وسأل:

- وماذا في الطابق العلوي؟

قال توني:

- غرف النوم. هل تريد رؤيتها؟

استدار مارك وابتسم قائلًا:

- لا، لقد اتضح لي الأمر.

- هل أحضر لك بيرة؟ أو أي شيء؟

نظر مارك إلى ساعته.

- لا، شكرًا لك. من الأفضل أن أعود. لقد وعدت كيتي بتنظيف المطبخ بعد العشاء، ولم أخبرها حتى بأنني سأخرج!

أطلق ضحكة قاسية بدت كأنها لا علاقة لها به بطريقة ما، ثم تابع:

- لكن ربما أراكم على الشاطئ غدًا؟ تبدو توقعات الطقس جيدة.

أجاب توني:

- ربما في يوم آخر غير الغد. كنا نفكر في القيام برحلة نهارية.

اكفهرت ملامح مارك للحظة، وغامت عيناه بالاستياء، لكنه ما لبث أن تمالك نفسه وقال:

- أوه! رائع! إلى أين أنتم ذاهبون؟

- لسنا متأكدين بعد. ربما إلى خليج روبن هود، أو ربما لزيارة القلعة. سنرى كيف ستسير الأمور.

هز مارك كتفيه وتنهد.

- آه، حسنًا، ربما في وقت آخر إذن.

قال توني:

- نعم، على الأرجح. هل يمكنك العودة إلى هناك بأمان؟

أشار نحو المنزل الكبير الواقع على الطريق الساحلي وتابع:

- هل يمكنني أن أوصلك بالسيارة؟

قالت زوجته:

- توني، ربما لا ينبغي لك ذلك. لقد تناولت كوبين من البيرة.

- أوه، لا تكوني سخيفة هكذا، لقد تناولت نصفَي كوبين فقط، وكان ذلك قبل ساعتين.

- حقًّا، يمكنني المشي. لقد فعلت ذلك مليون مرة، في جميع الأحوال الجوية، في كل الأوقات. لكن شكرًا لكم، أنتم أناس لطفاء جدًّا.

غادر بعد لحظة وسط فورة من المجاملات والقبلات على الوجنات، تاركًا إياهم مرة أخرى في حالة من الاضطراب والارتباك في أعقابه.

سأل جراي أخته في صباح اليوم التالي في أثناء تناول وعاء من حبوب الإفطار «فروستيز»:

- ما الذي تحدثتما عنه طوال الليل إذن؟ أنتِ ومارك؟
- لماذا تنطق اسمه كأنه مُختلق؟
هز جراي كتفيه.
- لا أعرف، إنه يبدو كأنه مُختلق فحسب. كأنه يتصرف وفقًا لنص مكتوب.
عبست كيرستي في وجهه.
- ما الذي تتحدث عنه بحق السماء، أيها الغريب الأطوار؟
أدرك أنه لن يتمكن من شرح الأمر، وقال:
- لا عليك. على أي حال، ما الذي تحدثتما عنه؟
أجابت:
- لم نتحدث عن الكثير، فقط عن المدرسة والأسرة وأشياء من هذا القبيل.
- هل ما زلت تميلين إليه؟
تخضب وجهها وحدقت إلى وعاء حبوب الإفطار خاصتها.
- ربما، لا بأس به.
- لست مضطرة إلى رؤيته مجددًا، كما تعلمين. يمكنك الرفض، إذا طلب منك ذلك.
- نعم، حسنًا، لن يفعل ذلك على الأرجح، لذا...
سألها بفضول لمعرفة ما إذا كانت ستكذب عليه:
- هل حدث أي شيء؟ كما تعلمين، مثل تبادل القبلات أو أي شيء من هذا القبيل؟
أجابت بحدة:
- ما شأنك أنت بهذا الأمر؟
رد بعنف أكثر مما كان ينوي:
- أنا أخوكِ.
قلدته باستهزاء بصوت عميق وهي تهز كتفيها:
- أنا أخوكِ.
ثم ضحكت.

- نعم، حسنًا، كل ما في الأمر هو أنني لا أريدكِ أن ترتكبي أي حماقات.

أدارت عينيها في محجريهما ونهضت قائلة:

- أنت تشعر بالغيرة فحسب، لأنني قبلت شخصًا ما في حين لم تفعل أنت.

كانت مزحة خفيفة، لم تقصد أن تتسبب في أي أذى، لكنها فعلت. لم تكن لدى جراي أي فكرة عن سبب عدم تقبيله فتاةً حتى الآن، بالنظر إلى مقدار الوقت الذي يقضيه مع الفتيات. مر بالكثير من تلك اللحظات الهوليوودية عندما بدا كأنه على وشك تقبيل فتاة، كانت تبتعد، أو يدخل عليهما شخص ما، أو يفقد شجاعته ويحول الأمر إلى مزحة. كانت هناك فتيات معجبات به، وكان يعرف هذا، وأخبره الناس بالأمر. لكنهن كن دائمًا فتيات لا يثرن اهتمامه: فتيات حزينات، ممتلئات الخدود، يرسلن إليه نظرات يائسة عبر كافتيريا المدرسة.

سبق له أن عانق فتيات، كما جلست فتيات على حجره، وأمسك أيدي الفتيات وقبَّل وجناتهن واستمتع بصحبتهن وتبادل معهن الثرثرة وركبن خلفه على دراجته الهوائية، لكن لسبب ما، لم يتمكن من تجاوز الحدود إلى العلاقة الحميمية الجسدية. كان ليتساءل ما إذا كانت لديه ميول شاذة، لولا إدراكه بشكل قاطع أنه ليس كذلك.

قال لأخته التي استدارت لتغادر بالفعل:

- فلتذهبي إلى الجحيم! ما أدراكِ أنت؟

تجاهلته ومضت مبتعدة.

وجدوا مارك جالسًا أمام كوخ رابيت عقب عودتهم من زيارة قصر سليدمير بعد رحلة استغرقت ست ساعات. كان قد جلس جانبًا على حاجز الأمواج في الجهة المقابلة، مواجهًا شمس الظهيرة، مرتديًا قميصًا أبيض ناصعًا وبنطال جينز باهت اللون، وكان يحمل باقة من الورد الزهري.

لاحظ جراي أن كيرستي تصلبت قليلًا عند رؤيته.

قال مارك وهو يتهادى نحوهم:

- يا له من توقيت جيد، لقد وصلتُ للتو.

أجاب توني:

- حسنًا، يا له من حسن حظ.

ناول مارك الورد الزهري إلى كيرستي.

- هاك، لإضفاء البهجة على غرفتك بعض الشيء.

قالت بخجل:

- أوه، شكرًا لك.

ساد صمت محرج، وهو نوع من الفراغ في المحادثة يحتاج إلى ملئه بدعوة للدخول، لكن لم يعرض أحد ذلك.

سأل مارك:

- هل قضيتم يومًا لطيفًا؟

أجاب توني:

- كان رائعًا. لقد ذهبنا إلى هناك مئات المرات من قبل، لكنه دائمًا ما يكون يومًا ممتعًا.

قال مارك بنبرة توحي بأنه لا يمكن أن يفكر في ذلك على الإطلاق:

- لم أذهب إلى هناك قَطُّ.

قالت بام:

- ماذا عنك أنت إذن؟ هل ذهبت إلى الشاطئ؟

هز مارك رأسه.

- ليس اليوم، لا.

بدا أن سحره الفطري المعتاد قد هجره. كشفت لغة جسد كيرستي عن عدم الارتياح التام، ولاحظ هو ذلك.

استدار جراي وتوجه إلى الباب الأمامي لكوخ رابيت. راوده شعور قوي بأن أخته، لسبب غير معروف، تريد أن يتم إنقاذها من هذا الموقف، وأنه يجب أن يكون هو من يفعل ذلك. نادى والده قائلًا:

- المفاتيح يا أبي.

ناوله توني المفاتيح وابتسم لمارك.

- حسنًا، ربما نراك على الشاطئ مرة أخرى؟

نظر مارك إلى كيرستي وهي تبتعد عنه مع وردها الزهري، وقال:

- كنت أتساءل... كيرستي، هل ترغبين في الانضمام إليَّ لمشاهدة فيلم؟ الليلة؟

نظرت كيرستي إلى والديها بتوسل، لكن أمها لم تنتبه لذلك وقالت:

- حسنًا، لا أرى مانعًا من ذلك. ليست لدينا أي خطط لهذا المساء.

اختفت كل الشكوك التي كانت تراود مارك، واستعاد درع ثقته المعتادة وقال:

- رائع، سآتي في السابعة. هل هذا مناسب؟

قالت كيرستي وهي تنظر إلى الأرض:

- نعم، بالتأكيد، أراك لاحقًا.

٢٠

دفعت ليلي الخاتمين عبر المنضدة باتجاه صائغ المجوهرات، وشرعت قائلة:

- من فضلك، هل يمكنك أن تخبرني بقيمة هذين الخاتمين؟

نظر إليها بفضول، وبدا واضحًا أنه يعتقد أنها سرقتهما، ربما من الطاولة الجانبية لفراش رجل متزوج نامت معه. تمكنت من رسم ابتسامة خفيفة على وجهها وقالت:

- شكرًا لك.

وضع الخاتمين على صينية مخملية سوداء، ووضع عدسة مكبرة صغيرة أمام عينه، ثم قال بعد بضع لحظات:

- حسنًا، كلاهما من الذهب عيار ثمانية عشر قيراطًا، وقد تم شراؤهما كزوج معًا، والحجر عبارة عن ألماسة تبلغ نحو قيراط واحد. تبلغ قيمة خاتم الزواج نحو ثمانمائة جنيه إسترليني، وخاتم الخطوبة ما بين ألفين وثلاثة آلاف تقريبًا. هل تريدين بيعهما؟

أجابت بحدة:

- لا! إنهما ملك لوالدة زوجي. إنهما إرث عائلي!

حدق إليها الرجل للحظة، ثم قال:

- أشك في ذلك، لقد وُسم هذان الخاتمان بسنة صنعهما، ٢٠٠٦.

أومأت برأسها كأن هذه الحقيقة لم تفاجئها على الإطلاق. قالت وهي تعدل حقيبة يدها:

- أعلم ذلك. شكرًا لك.

وضعت الخاتمين في حقيبتها وأغلقت السحَّاب وتابعت:

- لقد ساعدتني كثيرًا.

في الطريق الرئيسي، أمام متجر المجوهرات، ضمت ليلي حقيبتها إلى صدرها. كانت قد أخذت الخاتمين لتقييمهما لأنها شكت في أنهما لا يخصان والدة كارل. بدا تصميمهما حديثًا للغاية، لكنها كانت تأمل أن تكون مخطئة. تأكدت الآن أن حدسها كان صحيحًا. وبعد محادثتها هذا الصباح مع روس، أدركت أنه ليست لديها أي فكرة أين كان كارل بين ولادته في ٤ يونيو ١٩٧٥، وبدء عمله في شركة الخدمات المالية في عام ٢٠١٠. خمسة وثلاثون عامًا خاوية. ربما كانت لديه زوجة، أو حتى عائلة؟ ذكر روس أن كارل كان يستغل النساء لممارسة الجنس، وأن ليلي كانت أول امرأة أراد الارتباط بها. لكن روس لم يعرفه إلا لمدة خمس سنوات. لقد جاءه كارل، كما جاء إلى ليلي، ككتاب من دون كلمات. ربما كان شخصًا مختلفًا قبل ذلك، بصفات مختلفة. ربما آذته امرأة أخرى، المرأة التي كانت تملك الخاتمين.

حدقت إلى يدها اليسرى، إلى الخاتمين اللذين ترتديهما في بنصرها: خاتم رقيق من الذهب الأبيض، مقترن بخاتم مرصع بأكمله بالألماس من قَطع الباجيت. كان كارل قد اختار خاتم الخطوبة بنفسه، وتذكرت كيف شعرت بوخزة صغيرة من خيبة الأمل عندما فتحت العلبة المصنوعة من الجلد الصناعي. توقعت الحصول على خاتم سوليتير، به ألماسة من ذلك النوع الذي يعلق بالملابس ويتألق تحت مصابيح الهالوجين، ألماسة من ذلك النوع الذي يبدو كأنه يحوي كل نجوم الكون. لكنها أخفت خيبة أملها، وبينما هي تتساءل بصمت عن ثمنه، ابتسمت قائلة:

- إنه جميل.

ودت لو كان لديها خاتم كهذا الذي وضعته في حقيبة يدها، ذلك الخاتم الذي ربما اشتراه زوجها لامرأة أخرى.

أخذت نفَسًا عميقًا وسارت عبر الطريق الرئيسي مبتعدة عن المحلات التجارية، عائدة إلى صمت وسكون شقتها الخالية.

كانت هناك مجموعة صغيرة من الرسائل على ممسحة الأرجل أمام الباب. جمعتها معًا، وأضافتها إلى الرسائل الأخرى التي وصلت منذ اختفاء كارل قبل أربعة أيام. أحست بالتعب، والإنهاك الشديد. توجهت إلى غرفة النوم مباشرة، حيث كانت المفاتيح لا تزال هناك، بجانب فراشها. التقطتها وأدارت حلقة المفاتيح النحاسية في راحة يدها، وتفحصت أخاديد وسنون المفاتيح. كان لأحدها رأس بلاستيكي وشفرة غريبة ذات وجهين بنمط معقد من النتوءات. كان هناك متجر صانع مفاتيح بالقرب من المحطة، ربما تأخذ إليه المفتاح غدًا، إذا كان مفتوحًا، أو يوم الاثنين. قد يعرف الرجل الموجود هناك، وربما يخبرها بشيء ما من شأنه أن يساعدها. صارت ليلي شبه متأكدة الآن أن هذه المفاتيح هي التي تفتح باب المنزل الذي عاش فيه كارل مع زوجته التي كانت ترتدي الخاتمين الموجودين في حقيبتها.

جلست على جانب الفراش وخلعت حذاءها ذا الكعب العالي الذي ارتدته اليوم لتبدو جميلة أمام صديق كارل الوحيد. جمعت شعرها بعيدًا عن وجهها، وربطته على شكل ذيل حصان، وحدقت من خلال النافذة إلى قمم الأشجار الظاهرة على خلفية السماء الشاحبة.

كان اليوم هو السبت. حاولت تذكر ما كانت تفعله في مثل هذا الوقت من الأسبوع الماضي، وتذكرت فجأة أنهما تناولا الغداء في حانة في الريف. كانت حانة أنيقة، جدرانها مطلية بدرجات اللون الرمادي، وقوائم الطعام مكتوبة على السبورات، والصحف معلقة على أعمدة، وأدوات المائدة في أوانٍ خشبية على الطاولات. تناول كارل برجر، بينما طلبت هي سلطة جمبري آسيوية مع النودلز.

كما شرب كارل نصف لتر من نبيذ التفاح، وشربت هي كأسًا من نبيذ بروسيكو. ما الذي تحدثا عنه؟ لم تستطع التذكر. افترضت أنهما تحدثا عن العمل، حيث كان كارل يتحدث عن عمله كثيرًا. وعن عائلتها أيضًا، فدائمًا ما كان يحب سماع آخر الأخبار عن عائلتها. وكذلك عن الشقة، إذ كانا يخططان لإعادة تزيينها، وطلاء الجدران البيضاء بالألوان، وتخفيف الإضاءة، وشراء بعض الستائر الجديدة. قال كارل: «سنضع بصمتنا عليها»، ولم ترَ ليلي جدوى من إنفاق مزيد من المال على الشقة في حين كانت مثالية بالفعل، لكنها أحبت رؤية ملامح كارل تلين في أثناء نقاش الأمر، وأحبت رؤيته مفعمًا بالحيوية. كما تحدثا عن الطعام بالطبع. كان كارل مهووسًا بالطعام. بدا الكثير من الناس في هذا البلد مهووسين بالطعام. وكانت هناك برامج عن الطعام على شاشة التلفزيون ليلًا ونهارًا، كما امتلأت المتاجر عن آخرها بالطعام الذي قطع آلاف الأميال للوصول إلى هناك. وحتى هناك في الريف حيث كانوا محاطين بالحقول والأبقار والأغنام، كان يُباع ساشيمي التونة في حانة مخصصة في الأساس لتناول الشراب.

هكذا تحدثا بارتياح وضحكا، وتعانقت أقدامهما تحت الطاولة، وأمسكا يدَي بعضهما فوق الطاولة بين كل طبق وآخر، كزوجين طبيعيين متزوجين حديثًا. ثم قاد كارل السيارة في طريق عودتهما إلى المنزل، وتوقف ليجلب بعض قمصانه من المغسلة. بعد ذلك شاهدا فيلمًا وشربا بعض النبيذ ومارسا الجنس. عندما استيقظت في صباح اليوم التالي، وجدت كارل ينظر إليها وهو يبتسم كعادته، وكعادتها في أغلب الصباحات، سألته:

- لماذا تبتسم؟

داعب ملامح وجهها بأنامله وقال:

- بسببكِ أنت.

ثم تبادلا القبلات ومارسا الجنس مرة أخرى. وهكذا مضت حياتهما، في شرنقة ضيقة من الحب، تكاد تكون خانقة. تساءلت ليلي في بعض الأحيان ما إذا كان من اللطيف الذهاب إلى ملهى ليلي أو الالتقاء ببعض الأصدقاء لتناول

العشاء، لكن كما قال كارل نفسه في كثير من الأحيان، كانا «لا يزالان في شهر العسل»، وكان أمامهما متسع لقضاء الوقت مع الآخرين لاحقًا، وتخفيف حدة ارتباطهما. وقنعت ليلي بالانتظار.

بيد أنها شعرت الآن بالوطأة الكاملة لعزلتهما. سحبت اللحاف فوقها، فوق رأسها، حتى باتت محاطة بظلام مكتوم، والتفت في شكل كرة صغيرة.

٢١

عادت أليس وفرانك وروميين بعد ثلاث ساعات بحقيبة ممتلئة بملابس ملائمة تمامًا من متجر الصليب الأحمر، وعبوة تحتوي على ثلاثة سراويل داخلية، ومجموعة من الجوارب الجديدة من متجر M&Co في الطريق الرئيسي. فات وقت الغداء، وكان الجميع يتضورون جوعًا، لذا اشترت أليس كمية وفيرة من السمك والبطاطس المقلية من المتجر الكائن عند الناصية، وضعوها على طاولة المطبخ وأفرغوها في أطباق من الخزف الصيني.

قالت أليس بينما أفرغ كاي نصف زجاجة الكاتشب فوق البطاطس المقلية خاصته ووضع ثلاثًا منها في فمه:

- عادة ما أقوم بالطهو، لكن كل شيء يبدو... مربكًا بشكل ما الآن.

قال:

- أنا آسف.

- لا! ليس عليك أن تعتذر! الأمر هو... أنني لست أكثر شخص منظم في العالم، ولا يتطلب الأمر الكثير حتى يتداعى مني كل شيء. كل ما ينقصني هو ضيف واحد إضافي غير متوقع، حتى تسود الفوضى التامة!

اقترح قائلًا بلا جدوى:

- يمكنني الذهاب للتسوق من أجلك.
- إنهم يطلبون منك دفع ثمن المشتريات هنا.
- أعرف هذا، ظننت فقط...

ضغطت على يده وابتسمت.

- أعرف ما قصدته وهذا لطف كبير منك، لكن يمكنني إرسال أحد هذين للتسوق.

أشارت إلى كاي وجازمين اللذين أدارا أعينهما في محاجرها، وتابعت:

- وما رأيك، كي أثبت لك أنني لا أصلح موضوعًا لبرنامج الإعانات الاجتماعية في بريطانيا(*) كما قد تظنني على الأرجح، سأطهو لنا عشاءً لذيذًا الليلة، من المكرونة أو ما شابه.

أومأ لها برأسه. بدا عرضها صادقًا ودافئًا، لكنه كان لا يزال يشعر بالذنب.

- بمجرد أن أتذكر من أكون، سأصطحبكم جميعًا إلى...

حاول تذكر الاسم. كان يبدأ بحرف الراء، ويستحضر خواطر عن سحر عشرينيات القرن العشرين. اختفى الاسم من ذهنه، فتنهد.

نظرت إليه أليس وضحكت.

- يبدو ذلك رائعًا، لكن حقًّا، ليس عليك أن تفعل أي شيء. تقبَّل الضيافة فحسب.

ثم أضافت بلكنة شمالية:

- هكذا نفعل في الشمال.

تهكم عليها أولادها، الذين كانوا جميعًا يتحدثون بلكنة شمالية.

- حسنًا، سوف أرد لك مقابل الملابس والإيجار.

قالت:

- سأسمح لك بذلك.

(*) سلسلة وثائقية تقدمها القناة الخامسة بالتلفزيون البريطاني. (المترجمة).

ابتسمت له من فوق رأس رومين، وبدت ابتسامتها متعبة ومنهكة وباهتة عند زوايا شفتيها، لكن كان لا يزال بها شيء من البريق المثير، شيء ذهبي ومُسكِر، مثل فندق قديم، على حد اعتقاده، مثل... الريتز.

ابتسم لنفسه برضا عندما تذكر الاسم، وأضافه إلى مجموعة الأشياء التي تذكرها، كعملة معدنية لا تُقدر بثمن استخرجها من الشاطئ.

كانت ديري عند الباب الأمامي، تمسك يد دانيال، وتبدو عليها الصرامة الشديدة. قالت:

- ما الذي يجري؟ قالت جولز إنها رأتكِ في المدينة هذا الصباح، تتسوقين مع ذلك الرجل.

وضعت أليس يدها على قلبها، ورمت ديري بنظرة رعب مصطنعة، وقالت:

- يا للفضيحة!

تجهمت ديري.

- لكن يا آل، إن توفير المأوى له شيء، وإنفاق أموالك اللعينة عليه شيء آخر.

- يا إلهي يا ديري! لقد أنفقت عشرين جنيهًا إسترلينيًّا في متجر الصليب الأحمر.

لم يكن ذلك صحيحًا تمامًا، بل كان المبلغ أقرب إلى الأربعين جنيهًا إسترلينيًّا إذا حسبت السراويل الداخلية والجوارب.

- هل هو هنا؟

تنهدت أليس.

- على حد علمي. إنه في السقيفة، يأخذ قيلولة.

تململت ديري من فرط الإحباط. كان ذلك هو الجانب السلبي للسماح لصديقتها باتخاذ قراراتها نيابة عنها.

أمسكت أليس الباب لتبقيه مفتوحًا، وقالت:

- هيَّا إذن، لننتهِ من هذا الأمر.

ثم أضافت بصوت منخفض وهي تتبع صديقتها إلى المطبخ:

- وللعلم، جريف يحبه، وكذلك رومين، والأطفال والكلاب يمكنهم إدراك حقيقة الناس.

- وماذا عنك أنت؟

- ماذا عني؟

- أنت تعرفين ما أعنيه.

قالت أليس بتحفظ:

- إنه لطيف. ما الذي تريدينني أن أقوله؟

عثر دانيال على رومين في الفناء الخلفي، وشرعت ديري على الفور في ترتيب مطبخ أليس، من دون أن تدرك حتى أنها تفعل ذلك. تمتمت قائلة:

- «لطيف»، حسنًا، أتطلع إلى الفرصة لاستخلاص استنتاجاتي الخاصة.

كورت الأكياس الورقية التي كانت تحوي البطاطس المقلية، وألقتها في سلة مهملات أليس، ثم غسلت يديها وجففتهما. نظرت من خلال نافذة الباب الخلفي إلى الفناء الخلفي وقالت:

- لقد استيقظ.

- استيقظ؟

- نعم، استيقظ رجلك. إنه يلعب مع الصغيرين.

انضمت إليها أليس عند الباب الخلفي، فوجدت أن رومين ودانيال قد أقنعا فرانك بالانضمام إليهما في لعبة تتضمن دميتين ولعبة رثة على شكل كلب، ولعبة على شكل أحد المتحولين، وجثا فرانك على ركبتيه وهو يتبع التعليمات بجدية شديدة.

قالت أليس:

- انظري، إنه رجل طيب.

علقت ديري منشفة مطبخ أليس وشغلت الغلاية وقالت:

- ربما يكون هذا صحيحًا، لكنه مجهول، وبالنظر إلى تاريخك، أعتقد حقًّا أنه يجب عليك الاتصال بالشرطة.

فركت أليس طرفَي مرفقيها. بقدر ما لم ترغب في تغذية جنون الارتياب لدى صديقتها، إلا أنها أرادت مصارحتها، لذا هزت كتفيها وقالت:

- لقد اقترحت ذلك عندما وصل في بادئ الأمر، لكنه شحب وبدا عليه الذعر.

ردت ديري:

- حسنًا، لا يبدو ذلك مطمئنًا على وجه الخصوص.

- كما أن هناك المزيد أيضًا، فقد بدأ يتذكر بعض الأشياء. إنه يتذكر مشاهدة رجل يقفز في البحر ويغرق، كما يتذكر فتاة مراهقة على لعبة دوامة الخيل في معرض الآلات والمحركات البخارية.

سألت ديري:

- هل بحثتِ عن ذلك في جوجل إذن؟

- بحثت عن ماذا؟

- عن رجل قفز في البحر وغرق؟

- ماذا؟ لا، بالطبع لم أفعل. لا أعرف حتى متى حدث ذلك.

تنهدت ديري.

- أين الكمبيوتر المحمول الخاص بك؟

- في غرفتي.

- أحضريه إلى هنا.

فعلت أليس ما طُلب منها. كانت جازمين جالسة إلى مكتبها في غرفتها، والتفتت عندما دخلت أليس.

- معذرة يا عزيزتي، أحتاج إلى جهاز الكمبيوتر المحمول.

أغلقت جازمين المتصفح ووضعت الكمبيوتر المحمول في وضع السكون، وسألت:

- متى سيرحل؟

- فرانك؟

- أيًّا كان اسمه، نعم.

مكتبة
t.me/soramnqraa

أجابت أليس:

- لا أدري، قريبًا، عندما يستعيد ذاكرته.

- لكن ماذا لو لم يستعِدها؟

- سوف يستعيدها يا عزيزتي. قرأت على الإنترنت أن الأمر مؤقت.

نهضت جازمين وعدلت نظارتها ذات الإطار الأسود وهزت كتفيها.

قالت أليس لجازمين التي أدارت ظهرها:

- جريف يحبه.

أجابت جازمين:

- حسنًا، إنه كلب.

صاحت خلف ابنتها التي غادرت الغرفة:

- كلب صعب الإرضاء!

«غرق رجل في خليج رايدنجهاوس».

جلست أليس وديري جنبًا إلى جنب أمام الكمبيوتر المحمول، ورأساهما يكادان يتلاصقان. ضغطت ديري مفتاح الإدخال، وانتظرتا ظهور النتائج.

بدا من المثير للدهشة عدد الرجال الذين غرقوا قبالة خليج رايدنجهاوس.

قالت ديري:

- نحن بحاجة إلى عام محدد.

أجابت أليس:

- لقد أخبرتك، ليست لديَّ أي فكرة.

- لقد قلتِ إنه تذكر فتاة مراهقة، لذا ربما حدث هذا عندما كان مراهقًا. كم يبلغ من العمر في اعتقادك؟

- أواخر الثلاثينيات؟ ربما في الأربعين من عمره؟

- حسنًا، فلنقل إنه كان في الثامنة عشرة، وإنه يبلغ الأربعين الآن. منذ اثنين وعشرين عامًا، أي عام ١٩٩٣ تقريبًا.

قالت أليس:

- بدرجة تقريبية للغاية.

ردت ديري:

- هذا أفضل من لا شيء.

وأضافت إلى بحثها «١٩٩٣»، ثم قالت لأليس:

- فلتلقي نظرة على الطفلين، هلَّا فعلت؟

أطاعتها أليس وتوجهت إلى الباب الخلفي وأطلت من النافذة مرة أخرى. كانت اللعبة لا تزال مستمرة، وفرانك يؤدي صوت الكلب الرث. وضعت رومين ذراعها العارية ذات البشرة الزيتونية حول كتف فرانك على نحو عرضي، ووركها متكئ نحوه. بدا الأمر كما لو أنهما أب وابنته، ولم يكن أحد ليشك في ذلك ولو للحظة.

جلست أليس بجانب ديري، وقالت متصنعة الجدية:

- لقد قتلهما وقطعهما إربًا إربًا، وهو الآن يأكل لحمهما الدافئ من على الأرض مع الكلاب.

وكزتها ديري بقوة وقالت:

- اخرسي.

ثم أدارت الشاشة نحوها وتابعت:

- انظري، إنه ليس رجلًا غريقًا، لكن التواريخ متطابقة.

ظهر على الشاشة موضوع من أرشيف جريدة رايدنجهاوس جازيت.

استُدعي خفر السواحل إلى خليج رايدنجهاوس نحو الساعة الواحدة صباح اليوم بعد ورود بلاغات عن ثلاثة أشخاص عالقين في الماء قبالة الساحل. ولم يتم بعد تحديد مكان اثنين منهم ويُخشى أن يكونا قد غرقا. أما الثالث، وهو سائح يدعى أنتوني روس، فقد أصيب بنوبة قلبية قاتلة بعد لحظات من انجرافه إلى الشاطئ. كما نُقل شاب آخر، يُعتقد أنه ابن روس المراهق، إلى المستشفى لكنه خرج بعد فترة وجيزة. وتتولى الشرطة التحقيق في الحادث.

بدأت ديري البحث على جوجل عن الأسماء: «أنتوني روس»، و«خليج رايدنجهاوس».

لم تظهر أي نتائج أخرى.

سمعتا صوت الباب الخلفي، وركض الطفلان إلى الداخل وهما سعيدان باللعب، وتبعهما فرانك، ثم توقف بخجل عندما رأى ديري جالسة هناك.

قالت أليس:

- فرانك، هذه أعز صديقاتي، ديري داينز.

قالت ديري بنبرة خافتة، لم تكن لتظهر في صوتها لو لم تقرأ للتو حكاية موت والد الصبي المراهق على الشاطئ:

- مرحبًا.

أشارت إلى ابنها وتابعت:

- أنا أم دانيال.

أجاب فرانك:

- سعدت بلقائك. إنهما طفلان رائعان.

تبادلت أليس نظرة مع ديري، التي أومأت برأسها على نحو غير ملموس، وقالت:

- اسمع، لقد بحثنا للتو على الإنترنت لمعرفة ما إذا كان بإمكاننا العثور على أي شيء عن حالات الغرق في هذه المنطقة، وقد وجدنا قصة حدثت منذ عدة سنوات. كان هناك شخصان يُعتقد أنهما غرقا في إحدى ليالي الصيف، كما عُثر على رجل وابنه المراهق على الشاطئ، هنا مباشرة.

أشارت نحو الباب الأمامي وتابعت:

- مات الرجل جراء نوبة قلبية على ما يبدو، لكن الابن نجا. هل يذكرك هذا بأي شيء؟ ١٩٩٣؟ أنتوني روس؟

واصلت الحديث، لأن فرانك لم يحر جوابًا.

- أعني، قد يكون الإطار الزمني خاطئًا تمامًا، لكننا أجرينا محاولة فحسب.

لقد ذكرتَ الفتاة المراهقة، كما تعلم، لذا اعتقدنا أنه ربما وقع شيء ما عندما كنت مراهقًا. هذا إذا وقع أي شيء على الإطلاق، بالطبع.

ظل فرانك من دون إبداء استجابة، واتكأ على طاولة المطبخ. لكن عندما راقبته أليس، أدركت أنه لا يتكئ عليها، بل إن الطاولة تدعم جسده الذي شرع ينزلق، وأن وجهه شاحب تمامًا. رأت يديه تتشبثان بجانبَي الطاولة، ومفاصل أصابعه بيضاء ومتصلبة.

- فرانك؟

وثبت ديري على قدميها وقالت:

- إنه يفقد الوعي، أسرعي، علينا أن نجلسه، ساعديني!

لكن الأوان فات، وانهار فرانك على الأرض كشجرة مقطوعة.

٢٢

١٩٩٣

عاد مارك بعد ساعتين، مرتديًا سترة، سترة بالفعل، للذهاب إلى سينما رايدنجهاوس جراند.

سأل توني وهو يودعهما عند الباب:

- ما هو الفيلم المعروض؟

أجاب مارك وهو يضع يده أسفل ظهر كيرستي:

- نهاية مشوقة.

قال توني:

- أوه، نعم، من المفترض أن يكون مثيرًا.

قال مارك:

- هكذا سمعت.

اتجهت كيرستي نحو الباب، وبدت متحمسة للذهاب. وكانت قد ادعت تحت استجواب مكثف من جراي أنها حقًّا تريد الذهاب إلى السينما، وأن جراي كان واهمًا عندما لمَّح إلى أنها لم تبدُ متحمسة بدرجة كبيرة في وقت سابق.

عند سماع صوتيهما يتلاشيان عبر الطريق المتجه إلى البلدة، وثب جراي

ناهضًا على قدميه. كانت والدته تعد السباجيتي في المطبخ، فأطل من الباب ليبلغها أنه سيخرج لشراء زجاجة كوكاكولا.

قالت:

- لدينا سبرايت.

- أريد كوكاكولا.

- حسنًا إذن، هل يمكنك أيضًا إحضار بعض جبنة الشيدر؟

كانت كيرستي ومارك يسيران ببطء، وتمكن من اللحاق بهما في منتصف الطريق إلى الطريق الرئيسي من دون أن يركض. توقفا للنظر إلى نافذة متجر للتحف، حيث عُرضت مجموعة من الدمى الخزفية القديمة، وكانا يتحدثان عن كم تبدو مخيفة. وضع مارك يده مرة أخرى أسفل ظهر كيرستي وقادها برفق نحو السينما.

شاهدهما جراي من بعيد بينما مارك يفتح الباب لشقيقته بشهامة ويدعوها للدخول، ثم اختفيا.

أعاد مارك كيرستي إلى المنزل في العاشرة، وسمعهما جراي من غرفة نومه المطلة على الشارع. كان هناك نوع من التوتر في صوتيهما، كأنهما على وشك الجدال. رفع الستارة قليلًا، وأطل على رأسيهما من الأعلى. شاهد مارك يحاول تقبيلها، ورأى كيرستي تنحني لتجنب القبلة.

سمع مارك يقول:

- أوه، دعك من هذا، لم نتبادل قبلة واحدة طوال ذلك الفيلم السخيف. ألن تسمحي لي بقبلة صغيرة الآن حتى، أمام بابك؟ هذه قسوة منك.

أجابت:

- معذرة، أنا متعبة حقًّا، وأريد الذهاب للفراش فحسب.

قال وهو يقترب منها مجددًا بشفتين مزمومتين:

- ستتمكنين من الذهاب إلى الفراش قريبًا، قريبًا جدًّا، أعدك بذلك.

انحنت مبتعدة مرة أخرى وقالت:

- صدقني، أنا منهكة تمامًا.

أجاب بنبرة متشككة:

- حقًّا؟

وسمعه جراي يتذمر بصوت مكتوم، قبل أن يضيف:

- ماذا عن الغد؟

وكاد يبدو غاضبًا ووقحًا وهو يقول:

- أم أنكم ستذهبون في رحلة نهارية أخرى؟

أدرك جراي أخيرًا لب المشكلة، وسبب شعوره بعدم الارتياح طوال ذلك الأسبوع. كان مارك يعدهم قرويين على نحو مثير للسخرية، ويعتقد أنه أفضل منهم، ومع ذلك، كان يطارد أخته كأنها حب حياته.

سمع كيرستي تجيب:

- لا أدري، لا أعتقد ذلك.

- حسنًا إذن، هل آتي لزيارتك؟ يمكننا قضاء اليوم في منزل زوجة عمي، وسأعد لك الغداء.

كررت قائلة:

- لا أدري، يجب أن أسأل أمي وأبي.

بدت نبرته حادة ونافدة الصبر.

- هل يمكنكِ سؤالهما الآن؟

- سأسأل غدًا.

- لماذا لا تسألين الآن؟

- لقد تأخر الوقت، وأنا متعبة.

سمع مارك يتذمر مجددًا قبل أن يقول:

- حسنًا، سآتي صباح الغد، ويمكنكِ إبلاغي حينها.

ترددت شقيقته ثم قالت:

- حسنًا. أراك غدًا.

أغلقت الباب خلفها، وسمعها جراي تتحدث بهدوء مع والديهما قبل أن تتوجه مباشرة إلى الفراش. من خلال نافذة غرفة نومه، شاهد جراي مارك الذي ظل واقفًا لبضع لحظات أمام كوخ رابيت ويداه في جيبيه وهو يحدق متجهمًا إلى الباب الأمامي وعضلات وجنتيه الغائرتين ترتعش بعض الشيء. ثم استدار وعبر الشارع الضيق المرصوف بالحصى، ونظر إلى البحر للحظة، قبل أن يركل حاجز الأمواج بشدة فجأة، مرة ومرتين وثلاث مرات، ثم ابتعد أخيرًا عن الكوخ، واختفت هيئته النحيلة الغاضبة عن الأنظار وسط ضباب الليلة الصيفية.

٢٣

جفلت ليلي وهي تستيقظ من قيلولتها. كان الظلام سائدًا، واللحاف ملفوفًا حول ساقيها. نظرت إلى الساعة المجاورة للفراش، فوجدتها تشير إلى الثامنة وتسع دقائق، وللحظة لم تكن لديها أي فكرة ما إذا كان الوقت صباحًا أم مساءً، ثم تذكرت أنها لا تزال مساء السبت. كانت تحلم بعائلتها، فرفعت سماعة الهاتف واتصلت بوالدتها.

قالت والنعاس يغلب على صوتها:

- أمي، إنه لا يزال غائبًا.

قالت والدتها:

- ارجعي إلى الوطن.

- لا يمكنني الرجوع إلى الوطن، في حال ما إذا عاد.

- إذا عاد، فسيعرف مكانك، وهو يعرف كيف يصل إلى هنا.

- لا يمكنه الوصول إلى هناك، حيث إن جواز سفره لا يزال بحوزة ضابطة الشرطة.

- يمكنه الاتصال بك، ويمكنك العودة.

- لكن ماذا لو كان مصابًا؟

- ليلي، إنه في وطنه، وإذا أصيب بأذى، فهناك أشخاص يمكنهم العناية به.
- لست متأكدة يا أمي، لقد جاءوا بالأمس وأخذوا جهاز الكمبيوتر خاصته. قالوا إنه حصل على جواز السفر المزور الذي كان بحوزته من عصابة إجرامية، لذا قد يكون على علاقة ببعض الأشخاص الخطرين. ربما يكون قد أثار غضبهم.

أصدرت والدتها صوتًا غريبًا مكتومًا.

- يا إلهي، يا ليلي! يجب أن تغادري! أنت وحدك في تلك الشقة. ماذا لو جاءوا من أجلك؟ ماذا لو جاء يبحث عنك وهؤلاء الناس يتبعونه؟ أنت في خطر!
- ليس لديَّ مكان أذهب إليه يا أمي! لا أعرف أحدًا!
- أوه، كنت أعلم. كنت أعلم أن هذا الأمر برمته خطأ. كان يجب أن أمنعك. كان يجب أن أجعلك تتريثين.
- كنت سأتزوجه على أي حال، وكان سيستمر في الكذب عليَّ.
- لا، مع مرور الوقت كنت ستدركين حقيقته. الأمر أشبه بالبصل، فالناس يكشفون لك حقيقتهم طبقة تلو الأخرى. ولهذا يجب عليكِ الانتظار، انتظري حتى تصلي إلى الطبقات القريبة من القلب، فهذا هو المكان الذي تكمن فيه أسوأ الأمور عادة. وحينها، إذا لم تكن أسوأ الأمور بالغة الفظاعة، يمكنك الزواج.
- كارل ليس رجلًا سيئًا يا أمي! نحن لا نعرف قصته! أعتقد أنه من الممكن أن يكون قد تزوج من قبل، حيث عثرت على خاتمين. ربما آذته تلك المرأة الأخرى، وربما حدث له مكروه. وقد تكون لديه هوية مزيفة للاختباء من تلك المرأة! نحن لا نعرف شيئًا.

سمعت والدتها تتنهد.

- أريدك أن تعودي إلى الوطن، ويمكنني دفع ثمن التذكرة.

صمتت ليلي. لم تستطع إنكار رغبتها في أن تكون في وطنها الآن. أرادت الوجود مع أمها وإخوتها وكلبها وأصدقاء الجامعة، والذهاب إلى الحانات

واستعادة أمسيات السبت الضائعة. أرادت أن تمشط شعرها في المرآة في غرفة النوم التي تركتها خلفها، والتي لا تزال مزينة بصورها وصور أصدقائها. أرادت أن تعقد ذراعيها بأذرع هؤلاء الأصدقاء، وتمشي في شوارع مألوفة، وتتحدث لغة مألوفة، وترى وجوهًا مألوفة. أرادت الوجود في مكان تستطيع فيه التحدث إلى شخص غريب من دون أن يُساء فهمها أو يعاملها أحد بشك.

لكن كارل كان بمنزلة تذكرة دخولها إلى المملكة المتحدة، ومن دون كارل، أيًّا كانت هويته الحقيقية، ربما لا يُسمح لها بالعودة. ولسبب ما، وعلى الرغم من وحدتها وخوفها، أرادت أن يُسمح لها بالعودة. أرادت الاحتفاظ بمفتاح باب هذه الحياة التي سنحت لها الفرصة لتذوق القليل منها.

قالت:

- لن أعود، ليس بعد، ليس قبل أن أعرف على وجه اليقين ما حدث لكارل.

تنهدت والدتها، وسمعتها ليلي تطقطق بلسانها بين أسنانها، قبل أن تقول بحرارة:

- لا أعرف كيف تغيرتِ هكذا، وصرتِ هذه المرأة القوية، هذه المرأة الوحيدة في بلد أجنبي. أنت شجاعة وحمقاء، لكن لا يمكنني أن أمنعك.

أجابت:

- لا، لا يمكنك هذا.
- أشتاق إليك، وأحبك.
- أنا أيضًا أحبك.
- وسوف آتي قريبًا، عندما أنتهي من هذا المشروع الكبير الذي تعاقدت عليه، اتفقنا؟
- نعم، أرجوك.
- بعد أسبوع، أو عشرة أيام.
- حسنًا، شكرًا لك.
- وبحلول ذلك الوقت ربما تكونين قد عرفت مكان زوجك.

- نعم، أرجو ذلك.
- إذا كان لرأيي أي أهمية، أعتقد أنه رجل طيب.
- إنه كذلك بالفعل، نعم، أنا متأكدة من ذلك.

تزايدت مقاطع حديثها اقتضابًا أكثر فأكثر عندما شعرت بدموعها تندفع إلى عينيها.

- أحبك.
- وأنا أيضًا أحبك.

بعد ذلك انقطع الاتصال الهاتفي، وعم الغرفة الصمت، وكان مصدر الضوء الوحيد هو ذلك الذي تسلل من شق باب الحمَّام. أسقطت ليلي الهاتف على حجرها، وانخرطت في البكاء.

٢٤

نام فرانك طوال فترة ما بعد الظهيرة، وعندما استيقظ بعد السادسة بقليل شعر كأنه يفيق من غيبوبة. كان الظلام قد حل بالفعل، وأضواء السقيفة مطفأة. وبينما تكيفت عيناه مع الظلام، رأى الوهج الدافئ للضوء المنبعث من خلف كوخ أليس. أتت موسيقى صاخبة مع ضجيج أحاديث المراهقين من إحدى الغرف في الطابق العلوي. حفزت هذه الأصوات عقله الباطن على نحو غريب، فأغمض عينيه محاولًا تحديد مصدر ذلك الإحساس، لكنه لم يتوصل إليه. تذكر وجوده في مطبخ أليس مع أليس وتلك المرأة، صديقتها. ديبي؟ دخل، فاستدارتا ونظرتا إليه بنفس تعبير القلق والانزعاج، ثم أخبرتاه عن رجل يُدعى أنتوني روس تُوفي على الشاطئ، هناك، في نفس المكان الذي جلس فيه طوال تلك الساعات هذا الأسبوع. أصابه الاسم كالرصاصة الطائشة، ثم فقد وعيه. نهض من الفراش القابل للطي، وحاول استعادة تأثير الاسم. أنتوني روس، تمتم لنفسه. أنتوني روس. لكن لم يحضره شيء.

قرقرت معدته، وحاول تجاهلها، فلا يمكنه الاستمرار في الذهاب إلى منزل أليس متوقعًا الحصول على الطعام. قضى بضع دقائق وهو يحلم بكل الأشياء التي سيقدمها لأليس بمجرد أن يستعيد حياته مرة أخرى: سيرسلهم لقضاء عطلة،

وسيصطحبهم لتناول الوجبات في المطاعم. ويا إلهي، إذا تبين أنه ثري حقًّا، فسوف يسدد لهم الرهن العقاري على المنزل.

بعد لحظة، رأى الحديقة تضاء، وسمع وقع خطوات على الحصى. تحسس شعره على نحو غريزي وسواه في مكانه.

طرقت أليس الباب برفق.

- فرانك؟

فتح الباب وابتسم لها.

- يا إلهي، حمدًا للرب، أنت على قيد الحياة. لقد شعرت بالقلق الشديد.

قال:

- أنا بخير، أشعر بأنني مشوش بعض الشيء، لكنني على ما يرام.

كررت مرة أخرى:

- حمدًا للرب.

ثم ناولته كيسًا كبيرًا وتابعت:

- على أي حال، هاك، هذه الأشياء التي اشتريناها في وقت سابق. لقد غسلتها من أجلك، فحتى الأشياء النظيفة تنبعث منها رائحة كريهة في المتاجر الخيرية، أليس كذلك؟

تناول منها الكيس وأجاب:

- رائع، شكرًا لك. لم أتوقع منك أن تفعلي ذلك.

- هذا من أجل مصلحتي في الواقع، فلا أريد ضيفًا آخر كريه الرائحة.

ثم ابتسمت وأضافت:

- اسمع، لقد طهوت وجبة حقيقية، من اللحم وأشياء أخرى. هل تريد الانضمام إلينا؟

أراد الرفض بسبب شعوره بالذنب، لكن معدته تحدثت نيابة عنه.

- سيكون ذلك رائعًا، إذا كنتِ متأكدة أنه لن يمثل لك أي إزعاج.

- يا إلهي، لا، فأنا أتولى إطعام فوج كامل على أي حال، لذا لن يشكِّل فرد إضافي أي فرق. سيكون الطعام جاهزًا في غضون عشر دقائق تقريبًا.

دفعت يديها في جيبَي سترتها الصوفية الضخمة، وأنهت حديثها قائلة:

- لكن تعالَ عندما تكون مستعدًّا فحسب.

انتقى فرانك قميصًا بلون أزرق فاتح وبنطالًا كاكيًّا من الكيس الذي تفوح منه رائحة الملابس المغسولة حديثًا، ثم أخذ زوجًا جديدًا من الجوارب من العبوة، وبدا ارتداؤهما بمنزلة الشيء الأكثر تحضرًا الذي حدث له منذ أن فقد ذاكرته، وعندما اقترب من الباب الخلفي بعد بضع دقائق شعر كأنه شخص طبيعي تقريبًا.

عبق المنزل بالروائح الطيبة، وتكثف البخار على كل نوافذ المطبخ. وقفت رومين على كرسي عند الموقد تحرك قدرًا من الصلصة، وجلست ديري إلى طاولة المطبخ تقطع الجزر، بينما جلس دانيال على الأرض يداعب بطن هيرو.

سمع أليس تنادي من الغرفة المجاورة:

- من هنا، هاك.

ثم ناولته كأسًا كبيرة من النبيذ وقالت:

- ما رأيك؟

كانت قد أزالت أكوام الأوراق والواجبات المنزلية والكتب والأعمال الفنية من على طاولة الطعام، وأعدت المائدة. كانت هناك مجموعة صغيرة من الشموع المشتعلة في منتصف الطاولة، ومناديل من الكتان الأرجواني مطوية على شكل مثلثات فوق أطباق عشاء برتقالية، إلى جانب بعض كؤوس النبيذ السميكة المصنوعة من الزجاج المتصدع، ولها قواعد ذات لون نيلي.

قال:

- تبدو جميلة.

أجابت وهي تتفحص الطاولة:

- نعم، إنها أنيقة للغاية، إذا جاز لي أن أقول ذلك بنفسي.

ثم رفعت كأس نبيذها نحو كأسه، وقالت:

- في نخب كونك لا تزال على قيد الحياة.

ابتسم وقال:

- أعتقد هذا.

- هل أنت متأكد أنك بخير؟ لقد سقطت كجثة هامدة.

شعر بالنبيذ الأحمر يدفئ معدته الفارغة ويتدفق بلطف في عروقه المتجمدة، وقال:

- أنا متأكد تمامًا، أشعر بأنني طبيعي.

أجابت:

- لا يوجد شيء طبيعي بشأنك يا فرانك.

ضحك قائلًا:

- هذا صحيح.

صمتا للحظة، وشعر فرانك بسؤال أليس التالي معلقًا في الهواء بينهما، فابتسم لها.

قالت:

- إذن، أنتوني روس هذا...

- نعم، أدري، من الواضح أنه يعني لي شيئًا ما، ومن الواضح أن له علاقة بي.

أشار نحو الشاطئ وتابع:

- فكوني أتيت إلى هنا، وجلست هناك، وكوني أتذكر شيئًا ما له علاقة برجل في البحر هناك، يعني أنه بالتأكيد جزء من قصتي، أتمنى فقط أن أعرف العلاقة.

- ألا تعرف أي شيء الآن إذن؟ ألا تتذكر أي شيء؟

هز رأسه بأسف، مدركًا العواقب المترتبة على فشله في التذكر بالنسبة إلى أليس.

قالت:

- هذا مؤسف، تمنيتُ سرًّا أن تستيقظ وقد عدت بالكامل إلى إعدادات المصنع.

أجاب:

- وأنا أيضًا.

أومأت نحو زيه وقالت:

- تبدو هذه الملابس ملائمة لك، وتبدو أنت... منتعشًا للغاية.

ألقى نظرة على نفسه.

- شكرًا لكِ، أنا ممتن جدًّا، حقًّا.

أسكتته، وملأت كأسَي النبيذ مرة أخرى. تردد صدى ضحكات صاخبة عبر الدرج، فتذمرت قائلة:

- أخشى أننا تعرضنا لغزو، حيث إن كاي سوف يذهب إلى حفلة لاحقًا، وقد اجتمع في غرفته نصف سكان البلدة الذين تتراوح أعمارهم ما بين الرابعة عشرة والخامسة عشرة. يوجد ما يقرب من ثلاثين منهم هناك في غرفته التي تبلغ مساحتها عشر أقدام في ثماني أقدام. لا أحتمل التفكير في الأمر.

نادت ديري من المطبخ:

- آل! لقد رن جرس شيء ما!

قالت لفرانك:

- ملفوف بروكسل، سأعود بعد لحظة، صب لنفسك مزيدًا من النبيذ.

وقف فرانك لبعض الوقت يراقب الوميض الدافئ للشموع على الطاولة، وأدرك أنها معطرة بطريقة ما. جاهد للتعرف على الرائحة. كانت زهورًا من نوع ما. تصور في ذهنه زهرة بيضاء، لها براعم صغيرة، ثم شاهد الصندوق الموجود على الخزانة الجانبية خلفه.

الياسمين والزنبق.

تردد صوت ارتطام عالٍ عبر سقف غرفة الطعام المنخفض، أعقبه صياح مرح، ثم انفتح باب وانغلق.

- يا إلهي! ما الذي تفعلونه هناك بحق الجحيم؟

أتى وقع خطوات هادئة على الدرج، ثم دخلت جازمين إلى غرفة الطعام، وتوقفت عندما رأته واقفًا هناك.

- أوه.

قال محاولًا تخفيف حرجها:

- والدتك في المطبخ.

أجابت:

- رائع، شكرًا.

بدت ضئيلة الحجم، ورأسها كبير بعض الشيء بالنسبة إلى جسدها. ثبتت شعرها الداكن في كعكتين صغيرتين فوق كل أذن، وكانت ترتدي فستانًا أسود قصيرًا ضيقًا تحت سترة رمادية فضفاضة تتدلى إلى أسفل ساقيها.

سمعها تتذمر قائلة:

- أمي! إنهم يتصرفون بجنون هناك. حقًّا، يجب عليك أن توقفيهم عن ذلك!

لم يتمكن فرانك من سماع رد أليس، لكنها ظهرت مجددًا بعد لحظة، وتبعتها جازمين ورومين وهيرو، وصاحت من أسفل الدرج:

- الطعام! الطعام!

في غضون خمس عشرة ثانية، اندفع أكثر من عشرة مراهقين على الدرج، ثم أبطأوا سرعتهم عند مرورهم بالبالغين، ودخلوا وخرجوا من المطبخ ومعهم أطباق ورقية مكدسة بالنقانق والبطاطس المهروسة وصلصة البصل. أخذوا الأطباق إلى غرفة المعيشة، وأغلقوا الباب خلفهم.

نظر فرانك إلى أليس بدهشة.

- هل أطعمتِ كل هؤلاء الأولاد؟

- عليَّ أن أطعمهم شيئًا ما، وإلا سيخرجون وبطونهم خاوية، وسيتقيأون في كل مكان. علاوة على ذلك، فهي مجرد بعض النقانق الرخيصة، كان عليها عرض خاص. لا أهمية للأمر، لا تقلق.

ثم أضافت:

- أعددت لنا ضلعًا لذيذة من اللحم البقري، مع الخضراوات.

- سأقنع بتناول النقانق الرخيصة.

- نعم، وأنا أيضًا. لكن بعد كل الهراء الذي تناولناه في الأيام القليلة الماضية، اعتقدت أنه حان الوقت لتناول شيء لائق. هل تريد المزيد من النبيذ؟

ظهرت ديري وهي تحمل وعاءين يتصاعد منهما البخار، وضعتهما على الطاولة قبل أن تختفي مرة أخرى في المطبخ. سحبت جازمين وروميين مقعدين وجلستا، وجلست هيرو وسادي على الأرض بجانب الطاولة وقد ملأهما الترقب، وأنفاهما يرتعشان.

- هل يمكنني تقديم المساعدة؟

أجابت أليس:

- لا، لقد تعرضت لصدمة، اجلس فحسب وسأتولى أنا وديري الأمر.

جلبت إلى الطاولة قطعة كبيرة من اللحم، وطبقًا من البطاطس المهروسة بالزبدة، وبرطمانات من الخردل والفجل الحار والكاتشب. ظهر مراهق ومعه كومة من الأطباق الورقية المستعملة، وسأل أليس أين يضعها.

أجابته، ثم نادت خلفه قائلة:

- هناك بسكويت «أوريو» على الطاولة الجانبية، خذ بعض العبوات.

ملأت أليس الكؤوس بمزيد من النبيذ الأحمر، وأرسلت جازمين إلى المطبخ لإحضار زجاجة ثانية. أصدرت إحدى الكلبتين أنينًا خافتًا، يشبه صوت إنذار سيارة بعيدًا.

قالت أليس:

- اخرسي يا هيرو.

رأى فرانك رومين تلقي قطعة من النقانق عند قدميها، وشاهد هيرو تنقض عليها خلسة. التفت إلى أليس، لكنها لم تلحظ شيئًا.

كانتا تتحدثان عن والدَي أليس، اللذين شوهدا من خلال الكاميرا وهما يحاولان تذكر اسمَي ابنتيهما.

- ظل أبي يقول «الفتاة اللطيفة، كما تعلمين، تلك الفتاة الجميلة»، ثم أجابت أمي: «هل تعني أليس؟»، فقال أبي: «لا، ليست هي، بل الأخرى، هل تعلمين؟ ما اسمها؟»، فهزت أمي رأسها فحسب وقالت: «حسنًا، هناك اثنتان، أعرف هذا القدر على الأقل».

ضحكت ديري وقالت:

- على الأقل ما زالا يعرفان أن لديهما ابنتين، سوف ينسيان ذلك قريبًا.

راقب فرانك واستمع إلى الحديث، وتساءل عن والدته، تلك الأم التي يتذكر ذراعيها. هل هي على قيد الحياة؟ هل هي بخير؟ هل هي مصابة بالخرف؟ هل تفتقده؟ هل يفتقده أحد؟ قطع قطعة من اللحم ووضعها في فمه.

قالت ديري وهي تلقي نحو فرانك نظرة ذات مغزى:

- هذا اللحم البقري لذيذ يا أليس.

قال وفمه ممتلئ بالطعام:

- اممم، إنه لذيذ، وطري للغاية.

ابتسمت أليس ولمست يده قائلة:

- حسنًا، يسرني أنه أعجبك.

ساد صمت قصير ومحرج بعض الشيء عندما ضغطت أليس على يده للمرة الأخيرة قبل أن تتركها. وقد لوحظت لفتتها هذه، وأبدت ديري وجازمين استياءهما لذلك.

قال:

- كنت أتساءل، لقد مرت أربعة أيام الآن، هل حدث أي شيء، برأيك؟ هل هناك أي شيء في الأخبار عن رجل مفقود؟ أعني، يبدو أنني رجل محترم، ويبدو من الغريب عدم وجود أحد يفتقدني، أليس كذلك؟

قالت أليس:

- لقد تابعت الأخبار الوطنية، والأخبار المحلية في لندن، لكن لم أجد شيئًا. إلا أن هذا لا يعني أنه لم يتم الإبلاغ عن اختفائك، بل يعني فقط أن الأمر

ليس بمنزلة قصة إخبارية. وكما تعلم، فإن الطريقة الوحيدة التي يمكننا من خلالها معرفة ما إذا كان أي شخص قد أبلغ عن اختفائك هي الذهاب إلى الشرطة.

ارتبكت أصابعه الممسكة بأدوات الطاولة، وسرى في جسده شعور بعدم الارتياح.

- أنا حقًّا... أود حقًّا تذكر المزيد عن نفسي، قبل أن... أتفهمين؟

قالت جازمين بحدة:

- لكن ماذا لو لم تتذكر؟

التفت الجميع لينظروا إليها.

قالت أليس:

- جازمين...

- لا، حقًّا، ماذا لو لم تتذكر أي شيء وكانت هناك، على سبيل المثال، عائلة بأكملها في الجنوب تفتقدك وتتساءل عن مكانك وتشعر بالاعتلال والقلق؟ هذا ليس عدلًا بالنسبة إليهم، أليس كذلك؟

تمتم قائلًا:

- لا أعتقد... لا أدري، لكن لا أعتقد أن هناك أحدًا. أنا فقط لا أشعر...

قالت جازمين:

- لا بد أن يكون هناك أحد، فالجميع لديهم شخص ما يهتم بأمرهم.

قالت أليس:

- حسنًا، ليس بالضرورة.

- ليس هذا هو ما يهم، هذا ليس بيت القصيد، وأنت تعرفين ذلك.

قالت أليس:

- ما الذي يهم إذن؟

- ما يهم هو أن «فرانك» ينتمي إلى مكان ما، ولا يبدو أن أحدًا يبذل أي جهد لمعرفة أين يكون ذلك المكان. ما يهم هو أن «فرانك» لا ينتمي إلى هنا.

أنت تعلمين أنك لو كنت قد وجدت كلبًا ضالًّا على الشاطئ في ذلك اليوم، كنت ستفعلين كل ما في وسعك للعثور على أصحابه. كنت ستأخذينه إلى الطبيب البيطري لمعرفة ما إذا كانت لديه شريحة للتتبع، وكنت ستعلقين الملصقات الإعلانية بشأنه. لم تكوني لتشرعي في معاملته كأنه حيوانك الأليف، ليس من دون التأكد من الأمر.

قالت أليس مرة أخرى وهي تنظر إلى ابنتها بقلق:

- جازمين، عليك أن تثقي بي، لقد عشت حياة طويلة وغريبة، وعرفت ما يكفي من الأشخاص السيئين في حياتي لأتعرف على أحدهم عندما أراه. صدقيني، فرانك هو أحد الأشخاص الطيبين.

ألقت نحو فرانك نظرة مطمئنة، وتابعت:

- أريد مساعدته فحسب، اتفقنا؟ ومن الواضح أن هناك سببًا غامضًا وراء وصوله إلى شاطئنا. وإذا لم يكن مستعدًّا لمواجهة حياته الحقيقية، فعلينا أن نمنحه بعض الوقت حتى يشعر بأنه على استعداد لذلك.

قالت جازمين لفرانك وهي ترمقه بعينيها المحددتين بالكحل بكثافة:

- لا يوجد أي شيء شخصي في الأمر، حقًّا، أنا متأكدة أنك لطيف بالفعل، لكنني فقط...

ابتسم فرانك وقال:

- أتفهم ذلك، أتفهمه بالفعل، وأشعر...

بحث عن الكلمات المناسبة التي لا تجعله يبدو ناكرًا للجميل.

- أشعر بالسوء لوجودي هنا، وأشعر بالسوء لكوني أتطفل على مساحتك الشخصية، وأشعر بالسوء بسبب إنفاق والدتك المال عليَّ. أشعر بالسوء لأنني لست شخصًا حقيقيًّا، ولأنني جعلتك تشعرين بعدم الارتياح في منزلك. كما أشعر بالسوء لضعفي واحتياجي البالغين. أشعر... بدرجة كبيرة... أنني لست هكذا في الحقيقة. لكن في هذه اللحظة، لا أملك الجرأة ولا الشجاعة. أنا مثل... الخرقة البالية. آمل أن يمر كل هذا، وأن تنفتح هذه

الستارة الكبيرة الداكنة الموجودة داخل رأسي، وأستعيد الذاكرة، وحينها سأشعر بالقوة، وآمل أن يحدث ذلك قريبًا جدًّا.

التفت إلى أليس وأضاف:

- أعني، لقد وجدت والدتك شيئًا اليوم...

ردت جازمين:

- أعرف، أخبرتني بذلك، وأنك فقدت الوعي.

- نعم، لذا، لا أدري، قد تكون هذه بداية لكشف قصتي.

أومأت جازمين وقالت ونظرها موجه إلى الأسفل:

- كما قلت، الأمر ليس شخصيًّا.

زفر فرانك. لم يتفوَّه بكل هذا العدد من الكلمات في مثل هذه الفترة القصيرة منذ أن فقد ذاكرته. شعر بالإرهاق والنشوة في نفس الوقت، كأنه بذل جهدًا خارقًا، وقال:

- شكرًا لك.

لاحظ ديري وأليس تتبادلان النظرات ثم قالت ديري:

- بالمناسبة، بعد أن فقدت الوعي، واصلت أنا وأليس البحث. لم نتمكن من العثور على أي شيء آخر بخصوص قضية أنتوني روس، لكنني أرسلت رسالة بريد إلكتروني إلى المحرر، للسؤال عما إذا كانت لديه أي بيانات للتواصل مع الشخص الذي كتب الموضوع، أو إذا كانت لديهم أي معلومات أخرى.

حبس فرانك أنفاسه، وانتظر باقي حديثها.

- لم أتلقَّ ردًّا بعد، لكن كما تعلم فاليوم هو السبت، وربما نسمع شيئًا الأسبوع المقبل.

زفر فرانك. لم يطرأ جديد، لكن كان هناك احتمال على الأقل لمعرفة أخبار جديدة. وعندما تسارعت وتيرة الحديث مجددًا وابتعدت عنه، نظر إلى يديه القابضتين على شوكته وسكينه، وتفحص منحنياتهما وتجاعيدهما، والنمش

والشعر، وتساءل أين كانت هاتان اليدان، ومن لمستا وماذا فعلتا. وبينما مرت هذه الفكرة في ذهنه، انتابه ذلك الشعور مجددًا فجأة، بثقل جسد ما مقابل جسده، وبأنفاس حارة على وجهه ويديه، هاتان اليدان مشدودتان بقوة حول حلق أحدهم، وهو يضغط ويضغط ويضغط. رأى بدايات مشوشة لوجه، وجه رجل، له شعر أسود كثيف، وعينان زرقاوان داكنتان جاحظتان وسط وجه وسيم.

٢٥

١٩٩٣

قال جراي:

- حسنًا، ما الذي حدث الليلة الماضية؟

أجابت كيرستي بنبرة دفاعية:

- لا شيء.

- أنت تعلمين أن نافذتي تقع فوق الباب الأمامي مباشرة، أليس كذلك؟

- بلى، وماذا في ذلك؟

- لقد سمعت ما يدور، وسمعته يحدثك بغضب.

- ما الذي تعنيه بكلمة غضب؟

- صار متجهمًا متعكر المزاج عندما رفضتِ تقبيله، وبعد أن دخلتِ، ركل الجدار بقوة شديدة. لم يبدُ الأمر كأنه أفضل موعد ممكن.

هزت كتفيها.

- لم أكن في حالة مزاجية جيدة في الواقع كما تعلم.

- هذا هو ما أعنيه بالتحديد، ففي هذه المرحلة من العلاقة الجديدة الرائعة

من المفترض أن تلتصقا ببعضكما كما يلتصق الطفح الجلدي بالبشرة، وألا تستطيعا الابتعاد عن بعضكما.

طقطقت كيرستي بلسانها ورفعت حاجبها.

- ما الذي تعرفه أنت عن الأمر؟

- أعرف كيف يُفترض أن تبدو أحلام الحب في سن الشباب، فقد شاهدتُ ما يكفي من الأفلام، ومن المؤكد أن ذلك لا ينطبق عليكما.

- الحياة لا تشبه الأفلام يا جراي.

تنهد قائلًا:

- اسمعي يا كيرست، أنا لا أقول ذلك لإزعاجك، بل أحاول حمايتك فحسب. هذا أول حبيب لك، وتساورني كثير من المشاعر السيئة بشأن الأمر، وبشأنه.

طرفت كيرستي بعينيها وحدقت إلى الأرض.

تابع جراي:

- عليكِ أن تدركي أن من حقك الرفض، فلا يوجد قانون يجبرك على مواعدة شخص ما لمجرد أنه طلب منك ذلك. إنه شاب بالغ ناضج، ويمكنه التعامل مع الرفض، وسيتخطى الأمر. وسوف يأتي إلى هنا في أي لحظة الآن محاولًا إقناعك بقضاء اليوم معه، وعليكِ أن تقرري الآن ما الذي ستقولينه له.

أجابت بحدة:

- أعرف ذلك.

فأدرك جراي أنه أصاب الهدف.

- حسنًا إذن؟

قالت:

- هل يمكنك إبلاغه نيابة عني؟ هل يمكنك أن تخبره بأنني مريضة؟

ها هي ذي قد ظهرت مرة أخرى، شقيقته الصغرى التي اعتادت أن تأتيه بركبة مجروحة.

كبت جراي ابتسامة النصر، وأجاب:

- بالتأكيد، يمكنني ذلك.
- ليس الأمر أنني لا أحبه، فأنا أحبه بالفعل، لكن...
- لكنك لست مستعدة.

نظرت إليه بغضب في البداية ثم هدأت نظرتها.

- نوعًا ما، أعتقد ذلك. أعني، ربما يكون أكبر سنًّا مني إلى حد ما. كما أنه انفعالي للغاية، بشأن كل شيء. وربما يجب أن أكون بصحبة شخص أكثر مرحًا بعض الشيء.
- أوافقك الرأي تمامًا.
- لكنه وسيم للغاية! ولا أستطيع التوقف عن التفكير في صديقاتي، وكم سيشعرن بالغيرة إذا شاهدننا معًا.
- أليست هذه سطحية، أو أي شيء من ذلك القبيل إذن؟

عبست ثم ابتسمت.

- أدرك هذا، وعلى أي حال، فلن يشاهدننا معًا أبدًا.

وافقها قائلًا:

- لا، لا يمكنني تخيُّل مارك مقيمًا في كرويدون بطريقة ما.

بينما كان جراي يتحدث، أدركا وجود حركة خلفهما، وعَبَر ظلٌّ النافذة المطلة على الشارع. شهقت كيرستي ووضعت يدها على قلبها. كان مارك يضع يديه على الزجاج وينظر إليهما، وابتسم على نحو مقيت عندما التقت نظرته بنظرة جراي.

تمتم جراي:

- أوه، اللعنة!

التفت إلى كيرستي، لكنها انزلقت بسرعة الضوء أسفل الطاولة، وجلست القرفصاء على الأرض عند قدميه.

همست قائلة:

- أخبره بأنني مريضة.
- لكنه رآكِ.

- ربما لم يرني.
- بالطبع رآكِ!
- فلتذهب وتخبره فحسب، من فضلك.
تنهد جراي ودفع كرسيه إلى الخلف.
وقف مارك عند الباب مرتديًا بنطال جينز وقبعة بيسبول. بدت قبعة البيسبول كأنها فكرة متسرعة، شيء ارتداه في اللحظة الأخيرة، ربما لاعتقاده بأن شعره لا يبدو مثاليًّا بما يكفي.
- مرحبًا.
- أوه، مرحبًا.
- هل يمكنني التحدث مع شقيقتك؟
- إنها ليست على ما يرام.
- لكنها...
وأشار خلف جراي إلى اليمين، باتجاه غرفة الطعام.
- لقد عادت إلى الفراش.
- أوه، دعك من ذلك...
- لا أعرف ماذا تريدني أن أقول. شعرت بالغثيان، فعادت إلى الفراش.
- هل تتوقع مني حقًّا أن أصدق ذلك؟
- نعم، أتوقع ذلك حقًّا.
ساد صمت ثقيل استمر لبضع ثوانٍ.
- كانت بخير الليلة الماضية.
- نعم، حسنًا، ربما أكلت شيئًا أصابها بالمرض.
أدار مارك عينيه في محجريهما، وحاول دفع جراي عن طريقه والدخول إلى المنزل.
دفع جراي صدر مارك بيديه وقال:
- حسنًا، من الأفضل ألا تفعل ذلك.

قال مارك بنبرة حادة بفعل الانزعاج:

- أريد رؤيتها فحسب.

- لكنها لا تريد رؤيتك.

- كيف عرفت؟ هل سألتها؟

- نعم، سألتها وقالت «لا أريد رؤيته».

- لا أصدقك. كيرستي! كيرستي!

بدأ يدفع جراي عن طريقه مجددًا.

ظهر توني حينها عند الدرجة السفلية من السلم مرتديًا رداء الحمَّام وشعره مبلل بعد الاستحمام، وقال بلطف:

- صباح الخير يا مارك، هل كل شيء على ما يرام؟

أجاب مارك:

- كنت أتمنى رؤية كيرستي، لكن يبدو أن ابنك يعتقد أنها مريضة.

ألقى جراي نظرة تحذيرية نحو والده.

بدا واضحًا أن توني يكذب، لكن جراي لم يكترث.

- أوه، نعم، حلقها ملتهب بعض الشيء.

قال مارك:

- حسنًا، صحيح، كانت تشعر بالغثيان قبل دقيقتين. بحق السماء، أنا لست أحمق.

قال جراي:

- اسمع يا مارك، لا يهم إن كانت كيرستي مريضة أم لا، فحقيقة الأمر أنها لا تريد رؤيتك، هل فهمت؟

تراجع مارك خطوة إلى الوراء، وانتزع قبعة البيسبول من رأسه وفرك شعره ليصلح هيئته. لوى القبعة بين يديه وقال بنبرة كالفحيح:

- حسنًا، لا يهم ذلك حقًّا.

تراجع خطوة أخرى قبل أن يتقدم مجددًا ويتابع:

- فلتبلغها أنني أتيت، وأنني سأنتظرها في منزل زوجة عمي، عندما تشعر بالتحسن.

أجاب توني بنبرة لا تزال مرحة:

- بالتأكيد سنفعل، ويؤسفني أن زيارتك كانت بلا طائل.

رماهما مارك بنظرة غاضبة، قبل أن يغطي شعره بقبعته مرة أخرى ويبتعد عنهما مهمهمًا بغضب بصوت عالٍ.

تبادل جراي ووالده النظرات.

قال جراي:

- أرأيت؟ هل أدركت ما أعنيه الآن؟

هز توني رأسه غير مصدق.

- يا له من أحمق تمامًا!

خرجت كيرستي من مخبئها أسفل الطاولة، وأطلت أمها من أعلى الدرج.

- ماذا حدث؟

قال جراي:

- لا شيء، لم يستطع مارك تقبُّل الرفض فحسب، لكنه رحل الآن.

وقف الأربعة للحظة عند الباب الأمامي، وقد جمعهم مارك وأثر غضبه الغريب معًا مثل أعمدة السياج.

٢٦

أنارت ليلي كل الأضواء، حتى تلك الموجودة تحت شفاط المطبخ، حيث لم تستطع تحمُّل الظلام ولو للحظة إضافية. فتحت التلفزيون، ووجدت فيلمًا يظهر فيه كلب، وحملت نفسها على تناول الطعام. شارفت الساعة العاشرة تقريبًا، ولم تتناول شيئًا منذ الإفطار مع روس. كان الخبز الموجود في السلة متعفنًا، لذا أعدت لنفسها بعض الأرز البسمتي في الميكروويف وتناولته مع الزبدة. شاهدت الفيلم الذي يدور عن الكلب لبعض الوقت، لكن الزوجين الموجودين في الفيلم جعلاها تشعر بالحزن، لذا غيرت القناة واختارت برنامجًا صاخبًا عن المواعدة بدلًا من ذلك. ثم صبت لنفسها كأسًا من النبيذ، واستعدت لما أدركت أنه سيتعين عليها القيام به منذ أن قيل لها إن زوجها لا وجود له في الواقع. رتبت بريد كارل في كومة منتظمة، وحدقت إليها للحظة، ثم التقطت الرسالة الأولى وفتحتها.

كانت إعلانًا من وكالة تسويق عقاري.

كانت الرسالة الثانية عبارة عن كشف بنكي لحسابه الجاري. ألقت عليه نظرة سريعة، فبدا كل شيء مألوفًا لها: مدفوعات وجبات الطعام في كييف، والفندق الذي أمضيا فيه ليلة زفافهما، وثمن المشروبات التي تناولاها في بالي، والتسوق في المطار، ومتجر الخمور بجوار المحطة، ومتجر ماركس آند سبنسر، وشركة

السكك الحديد، ومغسلة التنظيف الجاف، والحانة الريفية التي تناولا فيها غداءهما في نهاية الأسبوع الماضي. تلا ذلك مزيد من النثريات البسيطة من الإنفاق المحلي، نهاية بمبلغ ٢٠ , ٢ جنيه إسترليني دُفع بنظام البطاقة الذكية من دون تلامس في مقهى بمحطة فيكتوريا عصر الثلاثاء، ولم يظهر شيء بعد ذلك، ولم يكن هناك مزيد من النفقات. بدا الأمر كقلب توقف عن النبض.

خفضت كشف الحساب البنكي إلى حجرها وتناولت كأس النبيذ وهي تفكر: ها هو ذا الدليل إذن، لقد مات. وإلا كيف يمكنه العيش من دون إنفاق المال؟

فتحت رسالتين أخريين، وجدتهما مزيدًا من الإعلانات. ثم فتحت فاتورة من شركة الكهرباء، وأخرى من متجر القمصان الذي يشتري منه جميع قمصان عمله. بعد ذلك، فتحت الرسالة الأخيرة، وكانت من شركة الهاتف المحمول. وجدت فاتورة مفصلة، تحدد كل مكالمة برقم الهاتف ومدتها. أخذت نفَسًا عميقًا، وبدأت القراءة.

كانت كل المكالمات والرسائل النصية تقريبًا موجهة إلى رقم هاتفها، ولم يمثل ذلك مفاجأة بالنسبة إليها. بحثت عن المكالمة التي أجراها كارل من منزل والدتها في كييف، اتصاله مع والدته في يوم زفافهما. وجدتها في الساعة ٤٦:٤ مساءً، يوم الحادي والعشرين من مارس. استغرقت المكالمة ثلاث دقائق وخمس ثوانٍ. تناولت قلمًا ووضعت تحتها خطًّا، ثم تفقدت الوقت. شارفت الساعة العاشرة والنصف. افترضت أن الوقت متأخر للاتصال بأحدهم لتبادل الحديث، لكن هل الوقت متأخر للاتصال بامرأة لإبلاغها أن ابنها مفقود؟ اتصلت بالرقم، وحبست أنفاسها بقوة. في مكان ما، ربما شرقًا من هنا، أو ربما غربًا، ربما في قلعة، أو ربما في شقة رطبة، كان الهاتف يرن. وفي مكان ما، كانت هناك امرأة تستمع إلى رنين الهاتف، ولسبب ما لم ترد. ربما كانت نائمة؟ أو ربما خرجت؟ ربما رأت رقم كارل من خلال خاصية تحديد هوية المتصل، واختارت تجاهله. بعد عشرين رنة، أغلقت ليلي الهاتف. ستحاول مرة أخرى في الصباح.

٢٧

ماج هواء الليل بالضباب البحري الذي أضاءته أعمدة الإنارة الصفراء، وركض جريف وهيرو حتى تقدما واختفيا وسط الظلام، بينما سارت أليس وفرانك خلفهما ببطء. وعند الواجهة البحرية بالأعلى، تجول بين الحانات مجموعة من المحتفلين حتى وقت متأخر، وهم يغنون ويتبادلون المزاح وينادون بعضهم. عادت ديري ودانيال إلى منزلهما منذ ساعة، وغادر المراهقون أخيرًا لحضور حفلتهم منذ نحو عشر دقائق. تركا رومين في المنزل مع جازمين وسادي، بينما اصطحبا الكلبين الأصغر سنًّا في نزهة سريعة. بدا الهواء النقي الرطب منعشًا بعد الحرارة الخانقة في الكوخ مع كل هذا الحشد من الناس بالداخل، والفرن مشتعل طوال ساعات، والحطب مشتعل في المدفأة.

ظل فرانك صامتًا تمامًا منذ أن غادرا المنزل، بل منذ منتصف العشاء في الواقع.

قالت أليس:

- أنا آسفة جدًّا بشأن جازمين، لم يكن ذلك من طبعها على الإطلاق.

بدا فرانك مرتبكًا بعض الشيء ثم هز رأسه وقال:

- لا، لا، حقًّا، لم يزعجني ذلك. بل على العكس، لقد جعلني أشعر بتحسن بعض الشيء، وساعدني على الإفصاح عن بعض ما بداخلي. هذا أفضل

من الشعور بأن الجميع يشعرون بالاستياء تجاهك لكنهم أكثر تهذيبًا من أن يقولوا شيئًا.

- نحن لا نشعر بالاستياء تجاهك.

- حسنًا، ربما لا تشعرين أنت بذلك.

سكت مجددًا بعد هذا، وسارا في صمت لبعض الوقت.

شاهد الكلبان شيئًا على الشاطئ، فزادا من سرعتهما، وسرعان ما انعطفا عند الخليج واختفيا عن الأنظار.

قالت أليس:

- أوه، اللعنة! يا إلهي، ما الذي يفعلانه بحق الجحيم؟

ضمت كفيها حول فمها وصاحت:

- جريف! هيرو!

أسرعت خطاها وسرعان ما شرعا في الركض عبر الشاطئ. وبمجرد أن انعطفا عند الزاوية، اتضح على الفور السبب الذي لفت انتباه الكلبين. وقف ثعلب صغير أعلى بعض الدرجات الحجرية المؤدية إلى الواجهة البحرية، يحدق إلى الكلبين بنظرة انتصار وازدراء. بادله الكلبان التحديق، وهما يلهثان ويتبادلان النظرات، كما لو أنهما يقولان: ما الذي سنفعله الآن؟

اقتربت أليس من الكلبين حاملة مقوديهما وقالت:

- أيها الأحمقان!

لكنهما كانا متحمسين بشدة، والقمر مرتفع في السماء، يكاد يكون بدرًا. انقض زوج من طيور النورس، وشرعا يفتشان بين الصخور بالقرب من الموج، فانطلق الكلبان مجددًا. التفتت أليس إلى فرانك وصاحت:

- أنا آسفة حقًّا بشأن هذا. يمكنك العودة إلى الكوخ إذا أردت.

ابتسم وتبعها. شعر طائرا النورس باقتراب الكلبين الضخمين، فطارا مجددًا، وانعكست أشعة القمر على الجانب السفلي الشاحب من جسديهما وهما يحلقان بعيدًا، لكن الكلبين واصلا الركض. صاحت فيهما أليس، وأطلقت صفيرًا من

بين إصبعيها كما علمها والدها. أخيرًا، توقفا عند أبعد نقطة في طرف الخليج، حيث يقام معرض الآلات والمحركات البخارية خلال أشهر الصيف، وحيث يأتي السياح لأخذ حمَّامات الشمس. كان المقهى الكائن عند حاجز الأمواج مغلقًا، وألعاب الأطفال مغطاة ومقفلة، ووصلت من الأعلى قعقعة وضوضاء صالة الألعاب. كان ذلك هو المكان الذي قال فرانك إنه ظل جالسًا فيه طوال يوم الخميس، حيث تذكر الفتاة التي تركب دوامة الخيل، والرجل الذي قفز إلى البحر.

جلس الكلبان يلهثان عند قدمَي أليس بينما أعادت ربط مقوديهما، ثم قالت:

- حسنًا، أعتقد أننا حرقنا بعض السعرات الحرارية من ذلك العشاء الضخم.

التفتت لتبتسم لفرانك، لكنه لم يكن ينظر إليها، بل كان يحدق إلى الجروف الصخرية المنحدرة عند طرف الخليج. عادت إليه مجددًا تلك النظرة التي بدأت تتعرف عليها. تحركت إلى جانبه على نحو غريزي، وسألت:

- ما الخطب؟

كان لا يزال يحدق إلى الأفق، وقال:

- ذلك المنزل، هناك.

أشار إلى المنزل الفخم الواقع عند أقصى طرف من الجرف، ذي السقف المسطح والذي تحيطه أشجار الطقسوس، وتابع:

- لمن ذلك المنزل؟

بدا جسده ثقيلًا بجانبها، وتحملت ثقل وزنه.

- ذلك المنزل الكبير؟ عند طرف الجرف؟

أشار مجددًا:

- ذلك المنزل.

- لا أعرف من يعيش هناك الآن، لكن ديري قالت إن روائية مشهورة كانت تسكن هناك، منذ زمن بعيد.

هز رأسه كأنه يعتقد أنها مخطئة.

قال:

- يوجد هناك طاووس.

ابتسمت أليس وقالت:

- حسنًا، نعم، هذا محتمل على ما أظن.

التفت ونظر إليها، وبدت بشرته شاحبة، وألقى القمر الشاحب ضوءه عليه فبدا كالأشباح.

- لا، يوجد هناك طاووس بالفعل، أذكر ذلك. وأعتقد أن...

رفع كلتا يديه إلى فمه، وبدأ يعض مفاصل أصابعه، وعندما نظر إليها مرة أخرى، امتلأت عيناه بالدموع.

- عندما كنا نتناول العشاء... أعتقد أنني آذيت شخصًا ما، يا أليس. بل أعتقد حتى أنني ربما قتلت شخصًا ما.

أحست بجسده كله يرتجف بجانب جسدها.

- لم أعد أستطيع تحمُّل هذا يا أليس، حقًّا لم أعد أستطيع.

رفع عينيه مجددًا بخوف وتابع:

- أما ذلك المنزل، فأنا أعرفه. أعرف ذلك المنزل أكثر مما أعرف أي شيء آخر. أعتقد أنني كنت أعيش هناك.

٢٨

١٩٩٣

لم يروا مارك لمدة ثلاثة أيام بعد رحيله غاضبًا من كوخهم صباح يوم الخميس. ظلت عائلة جراي متوترة بعض الشيء بينما واصلوا حياتهم، حيث أظهر مارك موهبة في معرفة مكان وجودهم، ومتى سيكونون هناك، والظهور بصمت من وراء الكواليس. قبع المنزل الكائن فوق الجرف منتصبًا بلونه الأبيض، وحملت الريح صياح الطواويس المخيف عبر الشاطئ بين الحين والآخر، لكن لم يظهر أي أثر لمارك.

عندما جلسوا في مكانهم المعتاد على الشاطئ عصر يوم الأحد، اقترح توني قائلًا:

- ربما عاد إلى هاروجيت؟

لم يكن الطقس ملائمًا تمامًا للشاطئ، وكان الرمل لا يزال رطبًا من أثر الأمطار التي هطلت ذلك الصباح، لكن الشمس أخذت تجففه بسرعة، وبدأ الشاطئ يزدحم ببطء.

قالت بام:

- أعتقد ذلك، فلا يوجد سبب حقيقي يدفعه للبقاء هنا إذا لم تبدِ الفتاة التي أُعجب بها اهتمامًا به.

قال توني:

- ربما شعر بالحرج أيضًا.

تطلع جراي إلى المنزل وهز رأسه بعض الشيء، وقال:

- أعتقد أنه موجود، يخطط لخطوته التالية.

قالت كيرستي:

- لا تقل ذلك، أنت تثير خوفي.

التفتت لتلقي نظرة على مقهى الشاطئ خلفهم، الأمر الذي ظلت تفعله كل بضع دقائق.

قال لها جراي:

- أنتِ لم تقترفي أي خطأ، وليس لديك ما يدعو للقلق.

قالت:

- أشعر بالسوء.

- السوء؟

- نعم، أشعر كأنني خدعته.

- أوه، دعك من هذا، فأنتِ لم تخدعيه، بل هو الذي طاردك في كل مكان في الواقع!

عبثت بالشرابة البالية المتدلية من حقيبتها، وقالت:

- أعلم ذلك، لكن كما تعلم، فقد دفع لي ثمن تذكرة السينما، و...

هزت كتفيها.

- وماذا؟

- حسنًا، لا أعرف. ربما جعلته يعتقد أنني معجبة به بالفعل.

- هل فعلتِ؟

- لا أدري، ربما بعض الشيء على ما أعتقد، وكنت معجبة به بالفعل في بادئ الأمر.

قالت أمها:

- هذا هو ما يحدث يا كيرستي، تلتقين شخصًا ما وتشعرين بالانجذاب نحوه، ثم تقضين معه بعض الوقت، وتدركين في بعض الأحيان أن ذلك الانجذاب سطحي فحسب، لذا تمضين قُدمًا.

رمقتهم كيرستي بعينين واسعتين وقالت:

- لقد أخبرني بأنه يحبني.

تذمر جراي قائلًا:

- يا له من فاشل!

- و... قلت له إنني أحبه أيضًا.

تذمر جراي مرة أخرى.

- يا إلهي يا كيرست! أخبريني بأنك لم تفعلي ذلك.

أومأت برأسها في بؤس.

- لم أعرف ماذا أفعل. قالها ثم نظر إليَّ كأنه يريدني أن أجاوبه بالمثل، ففعلت.

- يا إلهي، متى حدث ذلك؟

- عندما ذهبنا إلى الشاطئ، بعد الملاهي.

قال جراي:

- أنت حمقاء تمامًا.

ضربته كيرستي وقالت بغضب:

- كانت أول قبلة لي، كيف كان من المفترض أن أعرف ماذا أفعل؟

- أود القول إن عدم الكذب هو شيء تعرفينه معظم حياتك.

خفضت نظرتها نحو الأرض وقالت:

- لم أرغب في جرح مشاعره، ولم أرِده أن يشعر بالحرج.

حسمت والدتهما الموضوع قائلة:

- حسنًا، لقد انتهى الأمر الآن، ووصلت إليه الرسالة ورحل. كما تعلمتِ كيرستي درسًا ثمينًا. دعونا جميعًا نحاول الاسترخاء والاستمتاع بالأيام القليلة المتبقية من إجازتنا، اتفقنا؟

ألقت كيرستي نظرة بائسة نحو جراي، الذي هز رأسه بخيبة أمل.
ومن طرف الخليج، أتى نداء حزين آخر للطاووس.

*

ذهبوا إلى الحانة ذلك المساء لتناول العشاء، وكانت الحانة نزلًا سابقًا للمهربين بالقرب من الخليج، حيث استقر العديد من قوارب الصيد الملونة مقلوبة فوق الشاطئ المفروش بالحصى، وامتدت الأزقة الضيقة المضاءة بالمصابيح ملتفة أعلى الجرف بين المنازل. ودائمًا ما كانت لديهم عروض موسيقية حية في أمسيات الأحد، ولم تكن عروضًا متواضعة لفرق يرتدي أعضاؤها قمصانًا لامعة ويؤدون أغنيات شهيرة لآخرين كما هي الحال في حانات البلدة، بل كانت عروضًا عالية الجودة: عازف جيتار فلامنكو، أو عازف بيانو جاز، أو مغني أوبريتات. كانت مؤدية الليلة شابة تُدعى إيزي، تغني أغانيها الخاصة بينما تصاحبها شابة أخرى على البيانو.

كانت طاولتهم بجوار المسرح مباشرة، وكان جراي قريبًا بما يكفي لرؤية الدبابيس التي تثبت شعر إيزي الأشقر في كعكة، واللطخة الصغيرة من الكحل تحت عينها اليمنى، والخدش على مقدمة حذائها الذي من دون كعب. كان قريبًا بما يكفي للشعور كما لو أن إيزي تغني له وحده فحسب. انبهر جراي بها. لم تكن تكبره سنًّا بكثير، ومع ذلك بدت هادئة وموهوبة للغاية. ترك شريحة اللحم خاصته من دون أن يمسها تقريبًا، حيث أحس بالحرج الشديد من مضغ الطعام أمام مثل هذه الإلهة.

قالت إيزي في الميكروفون:

- شكرًا لكم جميعًا، سآخذ أنا وهاري استراحة قصيرة الآن، لكننا سنعود قريبًا بمزيد من الموسيقى. وفي هذه الأثناء...

انحنت للحظة لالتقاط جرة صغيرة، مما أتاح لجراي الفرصة لإلقاء نظرة سريعة داخل فستانها على صدرها الذي يكاد يكون مسطحًا تمامًا. تابعت قائلة:

- إذا استمتعتم بموسيقانا، فسنشعر بالامتنان الشديد لأي قطع نقدية فائضة عن الحاجة، أو حتى بعض النقود غير الفائضة عن الحاجة.

ضحك الجمهور ونزلت إيزي وهاري من المنصة.

ناداها جراي قائلًا:

- هاك.

أشار إلى الجرة وابتسمت وقالت:

- شكرًا جزيلًا.

بينما وضع ورقة نقدية بقيمة خمسة جنيهات إسترلينية في الجرة.

قال:

- أنتِ رائعة.

- يا إلهي، رائع! شكرًا لك.

ثم اختفت، بينما حدقت أسرة جراي إليه بدهشة.

قال والده:

- خمسة جنيهات إسترلينية؟

تخضب وجه جراي حتى صار قرمزي اللون.

- نعم، حسنًا، إنها موهوبة حقًّا كما تعلم.

فرك والده ذقنه وضحك قائلًا:

- نعم، موهوبة للغاية، والآن، فلتتناول عشاءك.

تناول جراي شريحة اللحم خاصته من دون أن يتذوقها حقًّا. غمره حضور إيزي في الغرفة الصغيرة، وصوتها المبحوح الأنيق في مكان ما خلفه يقول:

- شكرًا جزيلًا لك، هذا لطف بالغ منك، شكرًا.

بعد بضع لحظات تجرأ على الالتفات ورآها واقفة عند البار، تتناول كوبًا من البيرة مع صديقتها عازفة البيانو وشابين، أدرك فجأة أن أحدهما كان مارك.

تمتم:

- يا إلهي! لا أصدق ذلك حقًّا.

التفتت أسرته لإلقاء نظرة، ثم أداروا رؤوسهم إلى الأمام مجددًا.

قال توني:

- ذلك الفتى أشبه بفيروس لعين.

تخضب وجه كيرستي.
ضغطت والدتها على ذراعها وقالت:
- هل أنتِ بخير يا عزيزتي؟ هل تريدينني أن أصطحبك إلى المنزل؟
قال توني:
- أتدرون، لقد تأخر الوقت، لماذا لا نعود جميعًا إلى المنزل؟
قال جراي:
- لا! لم أنتهِ من عشائي بعد!
نظر إليه والده بدهشة وقال:
- دعك من ذلك، فمن المؤكد أنه صار باردًا تمامًا الآن.
تمتم جراي:
- لا بأس به، فلتذهبوا أنتم، وسأبقى حتى أنتهي منه، حقًّا، سألتقيكم في المنزل.
سألته كيرستي:
- لن تفعل أي شيء، أليس كذلك؟
- أفعل شيئًا؟
- أنت تعرف ما أعنيه، لا تقل شيئًا لمارك.
- أنتِ تمزحين، أليس كذلك؟ كل ما أريده هو الانتهاء من عشائي فقط، وربما الاستماع إلى مزيد من الموسيقى، وتناول مشروب آخر.
- هل تعدني بذلك؟
أدار عينيه في محجريهما وتنهد، ثم قال:
- اذهبي، وسأعود إلى المنزل قريبًا.
راقب والده عند البار وهو يسدد الفاتورة، ورأى نظرته تلتقي بنظرة مارك للحظة، وقد رفع أحد حاجبيه بعض الشيء وأومأ برأسه. رحلوا بعد ذلك، وتبعت عينا مارك كيرستي عبر الغرفة وخارج الباب قبل أن يعود إلى أصدقائه ويضحك بصوت عالٍ ومزعج.

أنهى جراي وجبته ببطء، وأحس بعينَي مارك تخترقان مؤخرة رأسه. مد يده عبر الطاولة ليتناول بقايا البيرة التي تركها والده. جرعها بسرعة، ثم شرب بقايا الجين والتونيك الخاص بوالدته. أخرج محفظته من جيبه الخلفي، لكن لم يبقَ لديه شيء هناك بعد الجنيهات الخمسة التي منحها للمغنية. تحسس جيوبه بحثًا عن العملات المعدنية، وتساءل عما يمكنه شراؤه مقابل ١,٢٠ جنيه إسترليني.

نهض ببطء وتوجه نحو البار. كان هناك بحر من الرؤوس يفصل بينه وبين مارك، لكنه سمعه حيث كان، بثقته العالية بنفسه، والفتيات يضحكن بصوت عالٍ على كل ما يتفوَّه به. بدا ذلك المشهد منطقيًّا بالنسبة إلى جراي: شاب ثري ووسيم يصيح ويضحك في حانة بوهيمية مع صديقاته الثريات الجميلات. بدا ذلك منطقيًّا أكثر من مطاردة مارك لشقيقته الصغيرة الخرقاء.

قال جراي للنادلة:

- بحوزتي جنيه إسترليني وعشرون سنتًا، ما الذي يمكنني تناوله مقابل ذلك؟

عبست وهزت كتفيها.

- كوب من البيرة المرة ثمنه جنيه إسترليني وتسعة عشر سنتًا، وكوب من الجعة الداكنة ثمنه جنيه إسترليني وتسعة وعشرون سنتًا.

فتش جيوبه مرة أخرى بحثًا عن أي عملات معدنية، حتى أخرج ثلاثة بنسات وتنهد.

- كوب من البيرة المرة من فضلك.

بينما كان يتحدث، طار شيء أمامه وسقط على البار. نظر إليه، فوجد عملة معدنية من فئة عشرة بنسات. التفت إلى يمينه، فوجَّه إليه مارك ابتسامة متعجرفة.

تجاهل العملة المعدنية وهز رأسه للنادلة التي نظرت إليه بتساؤل. ابتسم على نحو طفيف وقال:

- بيرة مرة من فضلك.

ألقى نظرة على مارك وهو ينتظر صب البيرة. أشار له مارك، وفكر جراي في تجاهل تلك المبادرة، لكن احتمال وجود عذر مشروع للتحدث إلى إيزي كان

أقوى من أن يستطيع مقاومته. أخذ البيرة خاصته والعملة المعدنية من فئة عشرة بنسات واتجه نحوهما، وقلبه يخفق بقوة.

مد يده بالعملة المعدنية وقال:

- هاك، شكرًا على أي حال.

وضع مارك كفه على كتف جراي وضغط عليه بقوة زائدة بعض الشيء وقال:

- جراهام، تسعدني رؤيتك.

- اسمي جراي، وليس جراهام.

- نعم، دائمًا ما أنسى ذلك. دعني أقدمك.

ترك كتف جراي أخيرًا، وخلفت أصابعه أثرًا على بشرته.

- هذا أليكس، صديقي من هاروجيت، وهذه هاري، شقيقته. وهذه، كما تعلم، هي إيزابيل ماك ألباين الموهوبة بشكل لا يصدق. إنها من هاروجيت أيضًا، وهي ابنة عم أليكس وهاري. وهذا جراي، شاب التقيته على الشاطئ الأسبوع الماضي.

ضحك الجميع، كاشفين عن أسنانهم المثالية. قالت إيزي:

- أوه يا مارك، يا لك من غريب الأطوار! سعدت بلقائك، يا جراي.

مدت له يدًا دافئة رخوة ليصافحها، وواصلت قائلة:

- اسمع، علينا العودة إلى المسرح، لكن مارك سيستضيف بعض الأشخاص في منزل زوجة عمه لاحقًا، ولا بد أن تأتي.

قال مارك بحماسة شديدة:

- نعم، لا بد أن تأتي، وأحضر شقيقتك معك.

قال جراي:

- إنها في الخامسة عشرة من عمرها فقط.

ضحكت إيزي:

- لا بأس بذلك، لن نأكلها!

أراد جراي أن يقول: لست أنت من أشعر بالقلق بشأنه.

نظر إلى إيزي، التي طالعته مشجعة من أسفل رموشها وقال:

- متى؟

أجاب مارك:

- سننطلق من هنا مباشرة، نحو الساعة العاشرة. لماذا لا تبقى معنا؟ يمكننا الذهاب معًا.

- سأحتاج إلى إبلاغ والدَي.

قال مارك:

- لا بأس، يمكننا أن نطرق بابك في طريقنا لنرى ما إذا أرادت كيرستي أيضًا الانضمام إلينا.

قال جراي:

- لن ترغب في ذلك، يمكنني أن أؤكد لك هذا.

ثم نظر إلى إيزي التي كانت تبتسم له. غمزت له بعينها، فتسارع نبض جراي. كانت أجمل فتاة تحدث إليها على الإطلاق. ولم تكن موهوبة فحسب، بل كانت مثيرة أيضًا، وها هي ذي تغمز له. فاتته الحفلة التي أراد حضورها في بلدته، كما سبقته شقيقته الصغرى في تقبيل شخص آخر. بدأت البيرة التي تناولها تشوش على حسن تقديره للأمور، فوجد نفسه يومئ برأسه ويقول:

- حسنًا إذن.

لمست إيزي ذراعه برفق بأصابعها الرقيقة.

- أوه، رائع. سأراك لاحقًا.

استدارت لتعود إلى المسرح، لكنها توقفت والتفتت قائلة:

- أوه، وشكرًا جزيلًا لك على لطفك السابق، لقد رأيت ما حدث في البار للتو، وأقدر كرمك حقًّا.

ابتسمت له، وأدرك أنها ابتسامة مفعمة بالوعود والأمل.

- لقد كسبتِ ذلك بجدارة.

ثم تخضب وجهه عندما أدرك كم يبدو قوله فظًّا، فقال:

- أعني...

لكنها كانت قد رحلت.

ضرب مارك كفيه معًا وقال:

- حسنًا، هل نتناول التكيلا؟

أطلق صديقه أليكس صوتًا غريبًا كالنهيق، وضربا كفيهما ببعضهما.

استدار جراي ليواجه المسرح، وعيناه مثبتتان على الشقراء الرائعة التي تغني أغانيها الجميلة، محاولًا عدم التفكير كثيرًا فيما هو على وشك القيام به.

٢٩

حل يوم الأحد، وأرادت ليلي أن يمر اليوم سريعًا حتى يأتي يوم الاثنين وتتمكن من التحدث إلى ضابطة الشرطة وصانع المفاتيح والعاملين في مكتب كارل. كان كل ما بوسعها فعله في ذلك اليوم هو محاولة الاتصال بهذا الرقم. رن هاتف والدة كارل، واستمر في الرنين، ولم يكن هناك جهاز للرد الآلي ليقطع ذلك الرنين المتواصل على نحو مؤلم. واصل الهاتف الرنين فحسب حتى توقفت الرنات وانقطع الخط بازدراء، كأنه يقول: لا يوجد أحد هنا بحق السماء، ألا يمكنك فهم ذلك؟

بينما جلست ليلي والهاتف تحت ذقنها، وهي تضغط زر إعادة الاتصال مرارًا وتكرارًا، رسمت صورة ذهنية لتلك المرأة التي لا تجيب على هاتفها. تخيلتها بشعر داكن مثل كارل، وعظمتَي وجنتين بارزتين مثله. بدت صغيرة بالنسبة إلى عمرها، وربما كانت ترتدي بلوزة حريرية وبنطالًا أنيقًا. تساءلت مرة أخرى، لماذا لا تعرف شكل حماتها؟ لماذا لم تسأله قَطُّ؟ لماذا لا توجد أي صور في هذه الشقة؟ من هذا الرجل الذي تزوجته؟ وما الذي تفعله هنا؟

بعد ساعة من الجلوس على الفراش متربعة الساقين وهي تحاول الاتصال بوالدة كارل، بدأت ليلي تشعر بالغضب يتصاعد في أعماقها. جاء من نفس المكان الذي نبعت منه دموعها، من أعماق بطنها. ألقت الهاتف عبر الغرفة،

وراقبته يصطدم بالجدار وينقسم إلى نصفين، وطارت منه قطعة من البلاستيك تدحرجت واختفت بعيدًا أسفل الأريكة الفراش. زمجرت في إحباط، وجثت على ركبتيها ويديها، وأصابعها تتحسس الفجوة الضيقة بين السجادة الجديدة السميكة والجانب السفلي من الفراش. لم تستطع العثور عليها، فدفعت الأريكة عبر السجادة حتى كشفت عنها. كانت هناك القطعة البلاستيكية، إلى جانب شيء آخر: واحد من أزرار أكمام كارل الصغيرة الأنيقة المصنوعة من الحرير المعقود، باللونين الأخضر الزجاجي والأحمر النبيذي. أمسكته في راحة يدها وحدقت إليه. تصورته واقفًا هناك، كما يفعل كل صباح، يسحب أساور قمصانه الرسمية النظيفة، ويدخل العقد الحريرية من خلال فتحات الأزرار، وهو يبتسم لها. وتذكرت ما كانت تشعر به: الفخر الشديد بهذا الرجل الوسيم الناضج، وقمصانه الأنيقة.

وضعت العقدة الحريرية على طاولة الفراش الجانبية الخاصة بكارل، وركزت بدلًا من ذلك على إصلاح الهاتف اللعين. بدا أن القطعة البلاستيكية قد انكسرت من مكان ما - لم تستطع تحديد مكانها - ولم يثبت جانبا الهاتف ببعضهما من دونها. ربطتهما معًا برباط شعر مطاطي، وحاولت إعادة الاتصال بوالدة كارل، لكن لم تكن هناك نغمة الاتصال. لقد حطمت الهاتف. تركته يسقط على الفراش وتأوهت. كل من قد يحاول الاتصال بكارل، والدته وشقيقته ومكتبه وروس، كان لديهم هذا الرقم.

استحمت وغسلت شعرها وبدلت ملابسها. ثم التقطت هاتفها المحمول وأرسلت رسالة نصية إلى روس: لقد حطمت هاتف المنزل، وهذا هو هاتفي المحمول. الرجاء استخدام هذا الرقم إذا احتجت إلى التحدث معي. شكرًا لك. ليلي.

ثم أدخلت رقم والدة كارل في هاتفها المحمول، وانتظرت حتى يبدأ الرنين المتواصل مرة أخرى. لكن بدلًا من ذلك، بعد ثلاث رنات، سمعت صوت نقرة، ثم أجابها صوت امرأة متردد وهادئ، يقول:

- مرحبًا؟

٣٠

كانت الساعة السادسة وثماني عشرة دقيقة، وساد الهدوء في المنزل. حاولت أليس العودة إلى النوم، لكن ذلك كان مستحيلًا. كانت مفعمة بالنشاط والبهجة الشديدة لاستيقاظها ويدها متشابكة بيد شخص آخر، ولوجود الدفء المطمئن لجسد مستلقٍ بجانبها: ليس جسد فتاة صغيرة ترتدي بيجامة فضفاضة، وليس الجسد النحيل المتقوس لكلب سلوقي عجوز، بل جسد رجل متناسق وقوي، يملأ فراشها من الوسادة إلى طرف الفراش. انعكس ضوء الصباح على شعره ذي درجات الألوان الخريفية، وعلى البريق الذهبي للحيته الخفيفة التي لم يحلقها منذ خمسة أيام. انتشر على صدره نمش محمر، وطبقة ناعمة من الشعر النحاسي، وكانت ذراعاه ناعمتين، ولديه منخفض عميق في منتصف ظهره حيث انتشر المزيد من النمش. فاحت منه رائحة رذاذ البحر، ومنعم الأقمشة الذي تستخدمه. فاحت منه رائحتهما معًا.

فكرت في الخطوات والمراحل التي جمعت بينهما ليلة أمس: سيرهما في هدوء عبر الشاطئ في طريق العودة إلى المنزل، وهشاشته بعد كشفه عن اعتقاده بأنه ربما قتل شخصًا ما، ويقين أليس الفوري والغريزي تمامًا بأنه كان مخطئًا، وأن هاتين اليدين الكبيرتين الناعمتين لم تكونا لتؤذيا أحدًا قَطُّ، وأنها لم تقترف خطأً

بالسماح له بالدخول إلى حياتها. تذكرت كيف مدت يدها إلى يده كي تطمئن نفسها فحسب، وكيف نظر إليها، مندهشًا ومتأثرًا وخائفًا. لكنه ضغط يدها برفق في يده، ثم رفعها إلى فمه وقبَّلها. ولم يكتفِ بتقبيلها فحسب، بل استنشق رائحتها أيضًا. أخذ يرتجف بعض الشيء، كما يفعل جريف أحيانًا عندما يزعجه صوت غريب. جذبته نحوها فدفن وجهه في عنقها وشد ذراعيه حول خصرها وتمايلا معًا لبعض الوقت. ولم يتعين عليهما قطع كثير من الخطوات من هناك حتى غرفة نومها.

قالت له بعد ذلك:

- عليك العودة إلى السقيفة. لا أريد أن يدخل أحد الأولاد ويراك هنا.

أجاب:

- أعرف هذا، بالطبع.

وبطريقة ما، استغل هذا كدعوة للبدء من جديد. لم تتذكر أنها نامت، ولم تعرف ما إذا دخل أحد إلى الغرفة في أثناء نومهما. لم تسمع صوت كاي وهو يعود إلى المنزل، واشتبهت في أنه لم يرجع. بدا الفجر ورديًّا من خلال ستائرها الرقيقة، وسمعت خدش مخالب خفيفًا خارج غرفتها، وجريف ينتظر بصبر حتى تسمح له بالدخول. كان صباح يوم الأحد. يجب عليها أن توقظ فرانك وتطلب منه الرحيل قبل أن تستيقظ رومين، لكن الدفء الناعم لجسده بدا مغريًا للغاية. نزلت من الفراش وتسللت على أطراف أصابعها ودفعت كرسيًّا أسفل مقبض الباب، ثم عادت مسرعة وهواء الصباح بارد على بشرتها العارية، وألقت نفسها في فراشها الذي لا يزال دافئًا.

همست في أذن فرانك:

- أسرع، عليك أن تذهب.

نهض وعبس قائلًا:

- اللعنة! بالتأكيد، آسف. ما الوقت الآن؟

جذبته فوقها وسحبت اللحاف فوق جسديهما الملتصقين لإخفائهما عن الزوار غير المتوقعين، وقالت:

- إنه وقت ممارسة الحب على عجل، عليك التزام الهدوء التام!

قبَّلها على الرغم من الأنفاس الكريهة صباحًا، فبادلته القبلات كأن حياتها متوقفة على ذلك، وأنها آخر قبلة في حياتها.

عندما استيقظت رومين، كانت الساعة السابعة إلا الربع، وفرانك مختبئ بأمان في السقيفة. استلقت أليس في فراشها الخالي، راضية ومذهولة، وجريف ملتف برضا عند قدميها.

بدا من الصعب الحكم على الجو السائد في الكوخ ذلك الصباح. كان كاي يعاني آثار السُّكر، ورومين منهارة، وجازمين عصبية، وفرانك متوتر. وفي غضون ذلك، كانت أليس مشبعة بالجنس وجسدها بأكمله يفيض به. كانت قد استحمت جيدًا، لكنها أدركت أنها لا تزال تعبق برائحته. ظل عقلها يعيد المشاهد من الليلة الماضية: عيناه البنيتان تحدقان إلى عينيها، وإبهاماه مستقرتان على وركيها، وأصابعه الرقيقة تسحب خصلة شعر منسدلة بعيدًا عن شفتيها الرطبتين، ويداه القويتان تمسكان رأسها وتقربان وجهها نحوه، وهو يهمس باسمها في أذنها بينما القمر يتلألأ كالزئبق من خلال الستائر.

بدت هذه الصور حية ومشتعلة، تنبض بداخلها وهي واقفة عند الموقد تقلب شرائح لحم الخنزير المقدد، وتملأ الغلاية، وتجفف يديها بمنشفة المطبخ البالية، وتتحدث مع أولادها. ألقت نظرة نحو جازمين. هل تعلم بالأمر؟ هل سمعتهما؟ هل يمكنها استشعار الأمر في الجو نفسه؟ هل هي أم سيئة، كما قيل لها مرات عديدة من قبل؟

حمل فرانك كوب قهوته المتسخ إلى الحوض وشطفه وهو يقول:

- سأذهب إلى ذلك المنزل سيرًا على الأقدام.

أجابت أليس:

- ذلك المنزل الواقع أعلى الجرف؟

- نعم.

- أنا على يقين تام من أنه مهجور.
- أعلم، لقد ذكرت ذلك، لكنني أعتقد أن الأمر مهم. أعتقد ذلك حقًّا.
- سأذهب معك.

رأت جازمين ترفع حاجبًا.

- لا داعي لذلك.
- أريد هذا حقًّا.

خرج قولها هذا كأنها تتأوه تقريبًا، إذ كانت لا تزال ممتلئة بالرغبة فيه.

تجاهلت الطاقة السامة المنبعثة من جازمين، وأخذت حقيبتها ومعطفها. لم تمنح أحدًا الفرصة للتفوُّه بأي شيء، ولم تمنح الكلاب الفرصة لإدراك أن هناك فرصة سانحة للمشي، وقالت:

- سنتغيب لمدة ساعة فقط، وسأشتري بعض الخبز الطازج في طريق العودة. إلى اللقاء.

شارفت الساعة العاشرة صباحًا تقريبًا، لكن النهار كان لا يزال يبدو في أوله، وتغطت الأسوار المعدنية بقطرات الندى، وبدا القمر لطخة باهتة في الأفق. أرادت أليس الإمساك بيد فرانك، إلا أن جرأتها وشجاعتها من الليلة السابقة قد تبددتا، وأحست بالضعف والتردد، وتذكرت لماذا تكره مثل هذه الأمور. سارا جنبًا إلى جنب لبعض الوقت، يستنشقان الهواء المنعش ويزفرانه مجددًا في سحب من البخار. أخذته عبر الطريق الخلفي، بعيدًا عن البحر، عبر الأزقة المرصوفة بالحصى والممرات المتعرجة إلى الطريق الرئيسي الذي يؤدي إلى خارج البلدة. مرَّا بحانة هوب آند آنكور، أقدم حانة في البلدة، التي كانت نزلًا للمهربين، وهي موجودة هناك منذ عام ١٦٥١. توقف فرانك عند الحانة.

قال:

- لقد أتيت إلى هذه الحانة من قبل.

نظرت إليه بقلق.

كرر قائلًا:

- لقد أتيت إلى هذه الحانة من قبل.

قالت:

- حسنًا، في هذه الحالة سنأتي إلى هنا لتناول الغداء، اتفقنا؟ إنهم يقدمون غداءً رائعًا يوم الأحد. لديهم بودينج يوركشاير بحجم كرة القدم. أنا لا أمزح.

نظر إليها بوجه خالٍ من أي تعبير.

- أنت لا تعرف ما هو بودينج يوركشاير، أليس كذلك؟

ضيَّق عينيه.

- هل له علاقة بحلوى التوفي؟

- فليباركك الرب.

ضحكت، واختفى الشعور بالحرج، فضحك هو أيضًا وأخذ يدها، وسارا هكذا طوال الطريق المؤدي إلى المنزل على الجرف.

أحس فرانك بالغثيان بفعل قلة النوم، والإفراط في تناول النبيذ الأحمر في الليلة السابقة، والإفراط في تناول القهوة المركزة هذا الصباح، وفوق كل ذلك، الدوار الذي يقلب معدته بسبب الذكريات التي تهاجمه. لم يطمئنه سوى كف أليس الراقدة داخل كفه، وحضورها القوي إلى جانبه وهما يصعدان التل خارج البلدة معًا. صدمه مدى احتياجه إلى هذه المرأة. تساءل ما إذا كانت هذه طبيعته من قبل. هل كانت «شخصيته» السابقة ستبدي أي اهتمام على الإطلاق بهذه المرأة المنهكة بعض الشيء، التي لديها انتفاخات أسفل عينيها ويفيض بطنها من سروالها؟ ربما كان عابثًا في حياته الخاصة، حياته البالغة التي عاشها لمدة عشرين عامًا أو نحو ذلك قبل أن ينجرف على شاطئ أليس. ربما كانت لديه حبيبة شابة، أو ربما أكثر من حبيبة شابة. ربما كان يفضل نوعًا محددًا من النساء فحسب. ربما كانت شخصيته «الحقيقية» ستضحك بصوت عالٍ من فكرة شخصيته «الفاقدة للذاكرة» وهي تتقلب في الفراش مع أم لثلاثة أطفال في الأربعينيات من عمرها. أو ربما كان بلا أي علاقات سابقة.

لا، فكر، وهو يتذكر الليلة السابقة، لا، بالتأكيد لم يكن بلا أي علاقات سابقة.

متى سينتهي كل هذا؟ كان متأكدًا تمامًا من أنه قتل شخصًا ما. وإذا كان الأمر كذلك، فمن المؤكد أنه سينكشف في النهاية، لا مفر من ذلك. ستكون هناك جثة، أو شخص مفقود. سيكون هناك شاهد، وستأتي الشرطة من أجله. ثم ستكون هناك زوجة، أو حبيبة، وربما طفل، أو حتى كلب. ستكون هناك شقة أو منزل به أشياؤه، ووظيفة بها مكتب به المزيد من أغراضه. سيكون هناك والدان، وإخوة. ستكون هناك قضية في المحكمة، وسيذهب إلى السجن. وما الذي سيحدث بعد ذلك لهذا الشيء العذب والحيوي الذي يربطه بأليس؟ إلى ماذا سيؤول؟

أحاط خصر أليس بذراعه وقربها إليه، ووضع وجنته على قمة رأسها. استسلمت له، وتمازج جسداهما وسارا في انسجام.

لم يكن المنزل مهجورًا تمامًا. بدا متربًا، وتناثرت أوراق شجر الخريف من العام الماضي على الممر المرصوف بالحصى، والتمعت شباك العناكب على أسوار الشجيرات المحيطة به. كما تلطخت حجارة الواجهة الباهتة باللونين الأخضر والبني، لكن كانت هناك ستائر في النوافذ، وزهور في الأحواض. بدا منزلًا نسيه أصحابه عن غير قصد، وليس منزلًا هُجر عمدًا.

وقف فرانك لحظة عند المدخل. امتدت سلسلة ضخمة صدئة على جانبَي ممر السيارات، فخطا فوقها وسحقت قدماه الحصى، ثم تبعته أليس.

قالت:

- يا له من منزل جميل!

كان منزلًا جميلًا بالفعل، بدا متناسقًا، بنوافذ واسعة وأبعاد جيدة، وزخارف من الحجر الصناعي وأعمدة من الطراز الدوري، ونافذة مروحية نصف دائرية فوق الباب الأمامي.

فتش فرانك في ذهنه بحثًا عن ذلك الجزء منه الذي تذكر كونه عاش هنا عندما كانا على الشاطئ الليلة الماضية. شعر بالمسارات العصبية تشتعل في دماغه،

تحاول إعادة التشكُّل، تومض كمصابيح كهربائية بتوصيلات غير محكمة، قبل أن تنطفئ، ثم تعاود الاشتعال، ثم تنطفئ مجددًا. بدأ يشعر بالغضب، فركل الحصى بمقدمة حذائه.

- هل أنت بخير؟

أجاب:

- لقد سئمت كل هذا، سئمته بشدة.

- كونك لا تتذكر شيئًا؟

هدأ وهو يقول:

- نعم، لا أتذكر شيئًا. كنت متأكدًا جدًّا الليلة الماضية، لكن الآن...

جذبته برفق من ذراعه.

- تعالَ، لنذهب ونلقِ نظرة. لا أحد يدري، ربما يكون الباب مفتوحًا. وقد يوقظ المنزل من الداخل بعض الذكريات لديك.

تبعها عبر ممر السيارات حتى وصلا إلى الباب. خطا بثبات على الدرجات الحجرية، محاولًا التواصل مع طاقة المكان، كأن الحجر له ذاكرة، وأنه قد يتذكر قدميه. أمسك المقبض النحاسي السداسي الضخم الموجود في وسط الباب، وقبض عليه لبعض الوقت، مغمضًا عينيه. وحينها رآها: زنابق ميتة في مزهرية، وفتاة جميلة ترتدي فستان سهرة أحمر اللون، وشعرها الأشقر الناعم مربوط في كعكة غير محكمة. ابتسمت له، ومدت له يدها وجذبته عبر الباب.

٣١

١٩٩٣

فتح توني باب الكوخ وألقى نظرة على الحشد الصغير من الأشخاص المخمورين الواقفين بالخارج.

قال جراي:

- سأذهب إلى منزل زوجة عم مارك يا أبي، لحضور حفلة أو شيء من ذلك القبيل.

بدا مارك رصينًا على نحو ملحوظ بالنسبة إلى شخص ظل يتناول جرعات التكيلا طوال الساعة الماضية، وقاطعه قائلًا:

- إنها ليست حفلة، بل مجرد تجمُّع لبعض الأصدقاء.

ألقى توني نظرة حيرة تامة نحو جراي، ونقَّل نظره من مارك إلى جراي، ثم نظر خلفه إلى والدة جراي التي ظهرت للتو.

قالت والدته:

- ما الذي يحدث؟

- يرغب جراي في الذهاب إلى حفلة، مع مارك.

- إنها ليست حفلة يا سيدة روس، بل مجرد تجمُّع، نحن فقط. هؤلاء بعض أصدقائي القدامى من بلدتي، وستكون زوجة عمي هناك.

حدق توني إلى جراي غير مصدق، وبادله جراي التحديق بثبات، وفكه مطبق. عزم على الذهاب إلى هذه الحفلة حتى لو تسبب ذلك في هلاكه.

ثم تدخلت إيزي قائلة:

- هل تريد ابنتك أن تأتي أيضًا؟ سيكون أمرًا رائعًا إذا جاءت فتاة أخرى.

ظهرت كيرستي خلف أمها وأبيها، وألقت على جراي نظرة استفهام.

قال مارك:

- آه، ها هي ذي. سنأخذ أخاك إلى تجمُّع صغير في المنزل، وتريدك إيزي أن تأتي أيضًا.

أشارت كيرستي إلى بيجامتها.

- أوه... لا أعتقد ذلك.

لكن جراي رآها تنظر من فوق كتفه إلى الفتاتين الساحرتين اللتين ترتديان فستانَي سهرة أنيقين، وصديق مارك الذي يضاهيه وسامة، بقميصه نصف المفتوح وبشرته المسمرة على نحو رائع. شكَّلوا مجموعة مثيرة للإعجاب.

قالت إيزي:

- هيَّا، سيكون الأمر ممتعًا.

عضت كيرستي الجزء الناعم من شفتها وقالت:

- لكن الوقت متأخر.

- إنها العاشرة فحسب، بل لم تشارف العاشرة حتى. فلتأتي!

- لا أدري.

تبادل توني وبام النظرات.

قالت إيزي:

- أرجوك! سننتظر حتى تبدلي ملابسك. سيكون الأمر ممتعًا.

نظر توني إلى جراي بصرامة، فهز جراي كتفيه. إذا أرادت كيرستي أن تأتي، فالأمر متروك لها تمامًا. لم يكن على استعداد لإقناعها، لكنه لم يكن ليثنيها عن قرارها أيضًا. كل ما أراده الآن هو الرحيل فحسب والوصول إلى المنزل، وتناول مشروب آخر، واستئناف المحادثة التي بدأها هو وإيزي في الحانة للتو، المحادثة التي بالكاد توقفت خلالها عن النظر إليه، وسمحت لكتفيهما وركبتيهما بالتلامس في عدة مناسبات من دون محاولة تغيير وضعيتها، وقالت له إنه «رائع» و«فاتن».

قالت كيرستي:

- حسنًا إذن.

ألقى عليها توني وبام نظرة ذعر.

قالت:

- ماذا هناك؟ سأكون بخير.

ثم التفتت إلى المجموعة وتابعت:

- أمهلوني دقيقتين، بل دقيقة واحدة في الواقع.

قالت إيزي:

- سنعيدها إلى المنزل مبكرًا.

أضاف مارك:

- وفي أمان.

قال توني:

- جراي، أريدكما أن تعودا إلى هنا بحلول منتصف الليل.

وكرر قائلًا:

- منتصف الليل.

أبدى جراي تذمره. لو لم تكن كيرستي قادمة لأظهرا قدرًا أكبر من التساهل، لكنه قال:

- حسنًا.

- وإذا لم تعُد حينها، سآتي إلى المنزل لإحراجك، اتفقنا؟

تمتم جراي:

- يا إلهي، نعم، حسنًا.

ظهرت كيرستي مرتدية قميصًا ورديًّا وسترة بقلنسوة وبنطالًا من الجينز، وصففت شعرها حتى صار لامعًا، ووضعت ملمعًا ورديًّا على شفتيها.

- أنا جاهزة.

رآها جراي تتبادل نظرة محرجة مع مارك، ثم نظر إليه مارك وابتسم.

قال جراي:

- هيَّا، لنذهب.

ذبلت الزنابق الموجودة في المزهرية عند الردهة، وتدلت رؤوسها البيضاء الثقيلة وأسقطت حبوب اللقاح الصفراء على بلاط الأرضية الشاحب، وفاحت منها رائحة خانقة كريهة. لم يخرج أي كلب لاستقبالهم، وعم المنزل الصمت والسكون.

قال جراي:

- أين زوجة عمك؟

أجاب مارك بشرود:

- ماذا؟

- زوجة عمك، أين هي؟

قال:

- يا إلهي، لا أدري.

- لقد ذكرت أنها موجودة هنا.

أجاب مارك:

- حسنًا، ربما تكون هنا. قد تكون نائمة.

تبع الجميع مارك إلى غرفة في الجزء الخلفي من المنزل. كانت غرفة

مربعة صغيرة بها مدفأة وأريكة وكرسيان كبيران بذراعين، وفي إحدى زواياها بار مصنوع من خشب الماهوجني مجهز بالكامل. انحنى مارك، ورفع غطاءً موجودًا فوق الألواح الخشبية، وضغط على مفتاح فأضاء البار بالكامل. كانت هناك زجاجات من المشروبات الكحولية على الجدار، وخلاطات الكوكتيل اللامعة، وأرفف من الكؤوس الزجاجية المزخرفة، ووعاء به مصاصات للشرب وعصي زجاجية للتقليب، ووعاء ثلج به ملقط فضي، وحوض صغير، وثلاجة صغيرة مملوءة بالبيرة والنبيذ، وثلاثة مقاعد بار مكسوة بالجلد الأحمر.

وقف مارك خلف البار ويداه متشابكتان وقال:

- حسنًا، من يريد تناول ماذا؟

طلبت الفتاتان جين وتونيك، وطلب أليكس مشروبًا من الويسكي والليمون، وطلب جراي بيرة.

- ماذا عنك يا كيرستي؟

- هل لديك كوكا...

ضحك مارك.

- مهلًا يا صغيرتي، ما زال الوقت مبكرًا على ذلك!

- كنت أعني... لا، أعني كوكاكولا.

ابتسم لها بتسامح قائلًا:

- أعرف ما تعنينه.

أدخل أسطوانة مدمجة في مشغل أسفل البار وضغط مفتاحًا آخر، فامتلأت الغرفة على الفور بنغمات فريق «أ ترايب كولد كويست». تلفت جراي حوله ورأى أربعة مكبرات صوت، واحد في كل زاوية من السقف. رفع مارك مضخم الصوت الجهير، وترددت الإيقاعات عبر ألواح الأرضية، ومن خلال قدميه. ثم فتح مارك غطاء زجاجة بيرة لجراي باستخدام فتاحة زجاجات مثبتة على جانب البار، وناولها له، فشربها جراي بسرعة. جلست إيزي وهاري على مقعدين

عند البار، تهمسان بالأسرار في أذنَي بعضهما وتضحكان بينما مارك يعد لهما الكوكتيل. وقفت كيرستي بجانب جراي، ترشف الكولا من خلال مصاصة شرب، وتتمايل بخفة مع إيقاع الموسيقى.

همس جراي في أذنها بصوت عالٍ حتى يمكنها سماعه فوق الموسيقى التي تصم الآذان:

- لماذا أتيتِ؟

بادلته الهمس وقالت:

- لأنني أردت ذلك.

- نعم، لكن لماذا؟

- لا أدري. أعتقد أنني لم أرغب في أن تجلس أمامي صباح الغد وتخبرني كم أمضيت وقتًا رائعًا. لم أرغب في أن أكون الفاشلة التي تبقى في المنزل مرتدية بيجامتها.

ثم حدقت إليه بنظرة ثاقبة وقالت:

- لماذا أتيت أنت؟

ألقى جراي نظرة نحو إيزي، في نفس اللحظة التي حولت فيها عينيها عن هاري ونظرت إليه.

أومأت كيرستي برأسها بفطنة.

- إنها بعيدة كل البعد عن مستواك.

أجاب:

- لست متأكدًا من ذلك.

- حقًّا، انظر إليها، إنها أكبر منك سنًّا.

- تكبرني بالكاد، ببضعة أشهر فحسب.

نظرت إليه بتشكك.

قال:

- مجرد سنة واحدة. هذا ليس شيئًا يذكر.

- وأين تعيش؟

أجاب:

- في هاروجيت، مثل مارك. جميعهم يعرفون بعضهم من العالم الراقي الذي ينتمون إليه، حيث يترددون على مباريات البولو وما شابه.

أدارت كيرستي عينيها في محجريهما وقالت:

- حسنًا، أتمنى لك حظًّا موفقًا في هذا.

- أعتقد أنها تظن أنني مختلف.

- حسنًا، هذا مؤكد.

- اسمعي، ليس الأمر كأننا مشردون، كما تعلمين. نحن لسنا مختلفين إلى هذا الحد.

أشارت كيرستي إلى الغرفة ذات السقف المرتفع، والبار المضاء، والأريكة التي من طراز تشيسترفيلد، وسياج المدفأة الذي اكتست قمته بالجلد، والثريا النحاسية المعلقة في الأعلى.

قال جراي:

- أعني جوهريًّا، من الداخل. كما أننا نعيش في منزل جميل، ونرتاد مدارس جيدة تمامًا، ونذهب لقضاء العطلات، ولدينا سيارة لائقة، ويتناول أمي وأبي النبيذ.

- نعم، لكنْ هناك فرق كبير بين هذا وذاك.

قال:

- مهما يكن، لا أعتقد أن الأمر مهم. ليس عندما يكون بين الشخصين نوع من... التواصل.

أدارت كيرستي عينيها في محجريهما.

هتف الجميع:

- في نخبك.

بينما يوزع مارك مشروبات الكوكتيل. استدار جراي، ورفع بيرته إلى

كوكتيل إيزي. نظرت إليه للحظة وابتسمت، ثم أشاحت عنه مرة أخرى، وتبع نظرتها إلى مارك، الذي شرع يرتب صفًّا من الأقراص البيضاء الصغيرة على سطح البار.

فركت إيزي يديها معًا وقالت:

- أوه! رائع!

كتم جراي تأوهه. كان عليه أن يخمن ذلك، فمن المتوقع أن يتعاطى الشباب الأثرياء المخدرات.

عندما دفع مارك قرصًا نحوه بطرف إصبعه، قال:

- لا، شكرًا لك.

نظر إليه مارك باستياء، وقال:

- أوه، دعك من هذا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

- لا، حقًّا، أنا قانع بالبيرة.

لكزته إيزي وقالت:

- هيًّا، إنها حبوب النشوة فحسب. يمكنك أن تتقاسم قرصًا معي إذا أردت.

- حقًّا، لا أجد متعة في ذلك.

- أوه يا جراي، أنت فاتن جدًّا.

هذه المرة، لم تبدُ له كلمة «فاتن» كأنها مجاملة.

قالت كيرستي وهي تلمس ذراعه برفق:

- سأشاركك قرصًا.

- ماذا؟ لا يمكن! أنتِ في الخامسة عشرة من عمرك! لا يمكنني إعادتك إلى أمي وأبي وأنت منتشية بالمخدرات.

مال مارك إلى الأمام وهو يسند مرفقيه إلى البار وقال:

- ما رأيك لو تشاركتما في نصف قرص، بحيث يتناول كلٌّ منكما ربعًا؟ لن تلحظ أي شيء تقريبًا، وستعود إلى طبيعتك بحلول وقت عودتك إلى المنزل.

- ما الهدف من ذلك إذن؟

- سيخفف من حدة الشعور بالتوتر فحسب، كما تعلم، وسيجعل العالم يبدو ألطف قليلًا لبعض الوقت.

أمسكت إيزي ذراعه، ثم جذبته نحوها وقربت وجهها من وجهه.

- أوه، من فضلك يا جراي، أرجوك.

شم رائحة شعرها، وشعر بنعومة بشرتها، وذراعها العارية حول خصره.

قال مارك:

- حقًّا، سيكون الأمر بمنزلة ساعة رائعة جدًّا من حياتك، تعود بعدها آمنًا إلى فراشك في المنزل.

هز جراي كتفيه، مدركًا أنه يخسر المعركة، وشعر بجزء صغير غير مألوف منه يخبره بأن الأمر قد يكون ممتعًا في الواقع، وأن هذا المنشط الكيميائي قد يكون كل ما يحتاج إليه في النهاية لمساعدته على اجتياز الخط الفاصل بين كونه «فاتنًا»، وكونه شابًّا قد ترغب إيزي في تقبيله.

أومأ برأسه فابتسم مارك، وقسَّم قرصًا إلى نصفين، وأعطى نصفًا لإيزي، ثم قسَّم النصف الآخر إلى نصفين وأعطى كلًّا من كيرستي وجراي قطعة صغيرة.

همس جراي إلى كيرستي:

- هل أنت متأكدة؟

أومأت له برأسها، فابتلعا فتات القرص.

ناول مارك بيرة أخرى لجراي، كما ناول كيرستي زجاجة أخرى من الكولا، ورفع صوت الموسيقى أكثر وأطفأ الأنوار، بحيث لم تَعُد الغرفة مضاءة إلا بأضواء البار، وشمعة ضخمة مشتعلة على طاولة القهوة خلفهم.

راقب جراي وكيرستي الآخرين لبعض الوقت: الإيماءات شبه المسرحية في محادثاتهم، والصياح المتبادل، والنكات التي يطلقونها والتي لا يفهمها سواهم، ومزاحهم. بدأ جراي يعتقد أنه تخيل الانجذاب المتبادل بينه وبين إيزي، عندما التفتت إليه ابنة عم إيزي فجأة وقالت:

- هل لديك حبيبة إذن يا جراي، في كرويدون؟

لكزت إيزي هاري في أضلعها وألقت نحوها نظرة ذعر مصطنعة.

- هاري!

قالت هاري:

- ماذا هناك؟ كنت أسأله فحسب.

تدخلت كيرستي قائلة:

- لا، ليست لديه حبيبة، وفي الواقع لم تكن له حبيبة قَطُّ...

كتم جراي فم شقيقته بيده ودفعها حتى كادت تسقط أرضًا، لكنها قاومته وانتصبت مجددًا، وثبتت ذراعَي جراي قائلة:

- إنه حتى لم يقبِّل أحدًا قَطُّ، باستثناء والدتنا.

دفعها أرضًا مرة أخرى وقال:

- هذا غير صحيح، حقًّا، إنها تقول ذلك لأنها تكرهني فحسب.

قال أليكس، الشاب قليل الكلام الذي يعاني حوَلًا طفيفًا:

- أتدري، لا أعتقد أنني قبَّلت فتاة حتى بلغت السابعة عشرة من عمري. أم هل كنت في السادسة عشرة؟ في الواقع، ربما كنت في الثالثة عشرة. لا أدري، لكني أذكر شعوري بأنني انتظرت فترة طويلة للغاية على أي حال.

التفتت إيزي إلى جراي قائلة:

- سأُقبلك أنا.

ترك جراي كيرستي، وطرف بعينيه.

- ماذا؟ انظري، ليس صحيحًا أنني لم أقبل فتاة من قبل، لذا ليس عليك أن تقبليني من باب اللطف فحسب.

- أوه يا جراي، أعدك أن اللطف لا علاقة له بالأمر.

وحينها، قبل أن يتمكن من الاحتجاج أو حتى أن يقرر ما إذا كان يريد الاحتجاج، قبَّلته أمام الجميع، وذراعاها مشدودتان حول عنقه، ولسانها في فمه، وثدياها الصغيران يضغطان على صدره.

قاوم حضنها للحظة وجيزة، لكن سرعان ما تضافر الإيقاع الوحشي للموسيقى، والعتمة الذهبية، والجو الحميمي، والتكيلا، والبيرة، وحبوب النشوة، وهذه الفتاة هنا بين ذراعيه، وطعم فمها، والرغبة الصادقة المنبعثة منها نحوه، واجتمع كل هذا ليقوده إلى حالة بات معها مغيبًا، حتى لم يعُد هناك وجود لسواهما. دارت برأسه صور متعددة الألوان، تتغير وتتحرك وتتباعد وتتقارب، وتنبض على إيقاع الموسيقى، وتشكَّلت في هيئة أدرك فجأة أنها مروحة ذيل الطاووس المفرود. تألق في مخيلته بامتداده الواسع، والطبقات المتقزحة من اللون الأخضر والنيلي والأرجواني، وهي تتراقص وتتمايل. نسي نفسه للحظة وسط ذلك الجمال، غافلًا عن كونه يقبِّل إيزي، وأن يديها وسط خصلات شعره، بينما الآخرون يراقبون ويهتفون ويصفقون، وأن هذا جنون، ما يحدث هذا محض جنون فحسب. عندما ابتعدا أخيرًا عن بعضهما، نظر في عينيها ورأى علامات الطاووس هناك، في قزحية عينيها، فمال إلى أذنها وقال:

- أنت جميلة.

فاقتربت من أذنه وردت:

- أنت أيضًا جميل.

على الجانب الآخر من البار، أخرج مارك كيسًا صغيرًا من جيبه، ووضع مجموعة أخرى من الأقراص على سطح البار. مرة أخرى، قسَّم أحدها إلى نصفين، ودفع نصفًا نحو جراي، والنصف الآخر نحو إيزي.

هذه المرة، لم يكن جراي بحاجة إلى الإقناع.

٣٢

كادت ليلي تهمس وهي تقول:

- مرحبًا، هل هذه السيدة مونروز؟

أجابت المرأة بهدوء شديد:

- لا، أعتقد أنك اتصلت برقم خطأ.

- لا، معذرة، أعلم أن هذا ليس اسمك بالطبع. اسمي ليلي، لقد تحدثت معك منذ بضعة أسابيع، بعد زواجي من ابنك.

ساد صمت قصير متوتر، ثم قالت المرأة:

- معذرة، ما زلت أعتقد أنك أخطأت في الرقم. ليس لديَّ ابن، ولا أعرف أحدًا باسم ليلي.

- لكن هذا الرقم... إنه موجود في فاتورة هاتف زوجي. إنه الرقم الذي اتصل به عندما تحدثت مع والدته بعد زفافنا. إنها أنت.

قالت المرأة:

- أعتقد أنه وقع اختلاط في الأمر، ربما يكون خطأً مطبعيًّا. ليس لديَّ ابن، بل ليس لديَّ أي أولاد على الإطلاق.

- لكنني أعرف صوتك!

أجابت المرأة بشرود:

- لا، لا أعتقد ذلك.

سمعت ليلي صوتها يتلاشى وهي تبعد الهاتف عن أذنها، فصاحت:

- أنت أمه! لماذا تكذبين؟

ثم توقفت عن الحديث وسيطرت على أعصابها قبل أن تتابع:

- إنه مفقود، هل تعرفين ذلك؟ لقد اختفى منذ خمسة أيام. رجاءً، عندما أنهي المكالمة، هل يمكنك أن تسجلي رقمي على الفور؟ دونيه في مكان آمن، من فضلك. وإذا سمعتِ منه، لا بد أن تبلغيني.

طن الخط، وانقطعت المكالمة. أغلقت المرأة الهاتف.

٣٣

كان باب المنزل مغلقًا، فتوجهت أليس وفرانك نحو البوابة الموجودة على جانب المنزل والتي تؤدي إلى الحدائق. كانت مغلقة هي أيضًا، بقفل صدئ ولفائف من الأسلاك الشائكة في الأعلى. عادا إلى الباب الأمامي، وأطلَّا من النوافذ على كلا الجانبين من بين أيديهما المضمومة، فشاهدا ردهة منحنية بأرضية مبلطة، ودرجًا واسعًا يؤدي إلى بسطة تغمرها أشعة الشمس. كانت هناك أبواب مزدوجة ضخمة على كلا الجانبين، إلى جانب مزيد من الأبواب خلف الدرج. تنهد فرانك.

قالت أليس:

- هل أنت بخير؟

أجاب:

- نعم، أنا بخير.

- ألم يأتِك مزيد من الذكريات؟

- ليس بعد.

تسلقا عبر حوض الزهور خارج النافذة الأمامية اليسرى، وانحنيا بصعوبة للنظر داخل الغرفة وراء النافذة. كانت غرفة طعام، بها مائدة طويلة مغطاة بالكتب وأكوام من الورق، وثريا نحاسية، ومدفأة أمامها كراسي جلدية متطابقة على كلا

الجانبين، وقطع أخرى من الأثاث لم يتمكنا من تحديدها، كانت مختفية أسفل ملاءات لحمايتها من الغبار. كررا ما فعلاه على الجانب الأيمن من المنزل، حيث كانت هناك غرفة جلوس كبيرة، بها ثلاث أرائك على شكل حرف U مغطاة بملاءات للحماية من الغبار، ومدفأة مزخرفة تعلوها مرآة مذهبة، والمزيد من الملاءات للحماية من الغبار، وصناديق من الورق المقوى. كاد الأمر يبدو كأن ساكن المنزل كان في منتصف الطريق للانتهاء من ترتيب الأمور للانتقال إلى منزل جديد، قبل أن يرحل.

أخرجت أليس هاتفها الذكي عندما سمعت نغمة رنين قريبة، ونظرت إلى الشاشة، لكنها وجدتها مطفأة، فأعادت الهاتف إلى جيبها، وجفلت بعض الشيء عندما سمعت هاتفًا يرن مرة أخرى. أخرجت هاتفها من جيبها مجددًا، وطالعت الشاشة المطفأة مرة ثانية. واصل الهاتف الرنين من دون توقف، فنظرت إلى فرانك.

سألته:

- من أين يأتي ذلك الصوت؟

أدار أذنه نحو المنزل.

- يبدو كأنه قادم من الداخل.

وقفا لبعض الوقت وسط حوض الزهور، ساكنين كالتماثيل، يستمعان إلى رنين الهاتف. توقف الهاتف أخيرًا، ثم استأنف الرنين مجددًا بعد لحظة.

سرت قشعريرة في جسد أليس، ونظرت بقلق إلى فرانك. بدا واضحًا أنه أدرك أهمية رنين الهاتف في المنزل المهجور. ففي غضون أيام قليلة من وصول فرانك إلى خليج رايدنجهاوس، وبعد ساعات من تذكره وجوده في هذا المنزل، رن هاتف خلف الباب المغلق. لا يمكن أن يكون الأمران غير مرتبطين ببعضهما.

قرعا جرس الباب مرة، ومرتين، وثلاث مرات. ثم ابتعدا عن المنزل لينظرا نحو النوافذ في الطوابق العليا. بحثا عن أي وجود للظلال المتحركة، أو أي علامات تدل على الحياة، لكنهما لم يجدا شيئًا. كانت الستائر مسدلة، والنوافذ

مظلمة، وهذا الرنين المزعج والمؤرق للهاتف الذي لم يرد عليه أحد، يتردد في الفراغ.

أمسكت أليس كتف فرانك وقالت:

- هيَّا، لنعد إلى المنزل.

توقف للحظة، وبدا مترددًا في مغادرة المكان. لكن بعد ذلك، ارتخت كتفاه، واستدار نحو أليس وابتسم قائلًا:

- نعم، حسنًا.

- دائمًا ما يمكننا العودة لاحقًا.

- نعم، يمكننا ذلك.

كان الهاتف لا يزال يرن بينما هما يسيران فوق الحصى، عائدين في طريقهما عبر ممر السيارات، وتحول إصراره اليائس إلى شكوى بعيدة عندما تجاوزا السلسلة الصدئة، ثم تلاشى وابتلعه تمامًا هدير السيارات المارة عندما عادا إلى الرصيف.

سارا في صمت لفترة من الوقت، حيث بدا من الصعب معرفة ما يجب قوله.

حاولت أليس الحديث عندما انعطفا حول الزاوية، وشاهدا الفوضى المريحة للبلدة بالأسفل.

- هل لديك أي رأي بخصوص ما يحدث؟

بدا فرانك شاحبًا ومذهولًا، وهز رأسه.

حاولت أليس الحديث مجددًا.

- هناك من يرغب بشدة في التحدث إلى شخص ما في ذلك المنزل.

أومأ برأسه في شرود، ثم التفت إلى أليس فجأة، وعلى وجهه تعبير من الألم والذعر، وقال:

- أعتقد أنه يجب علينا التوجه إلى الشرطة. أعتقد أنه يجب علينا الذهاب الآن، حقًّا.

- ماذا؟

- كلما طال بقائي هنا، ازددت يقينًا بأنني ارتكبت شيئًا فظيعًا حقًّا. ذلك الهاتف الذي كان يرن... كان من أجلي. أعرف هذا. كان شخص ما يتصل بشأني، شخص ما يعتقد أنني سأكون هناك. وربما كان شخصًا يحبني. أو ربما كان شخصًا يريد قتلي. أو قد يكون شخصًا آذيته. لكنهم يتصلون هنا، بمكان قريب منك، ولا يمكنني البقاء في منزلك بعد الآن، ليس من دون أن أعرف من أكون، لأنني بدأت أعتقد يا أليس، بدأت أعتقد حقًّا، أنني شخص سيئ. أرجوك يا أليس، خذيني الآن. خذيني واتركيني هناك، ودعي الشرطة تحل هذا الأمر. أنا أعني ما أقول، أعني ذلك حقًّا.

شهقت أليس بحدة، وأحست كما لو أن أحدهم ركلها في أمعائها، وانتابها شعور طفيف بالغثيان.

حدقت إلى فرانك لبعض الوقت، وعيناها مثبتتان على عينيه. بدا مرعوبًا حقًّا. أرادت أن تحتضنه، لكنها شعرت بأنه لا يرغب في ذلك، وأنه يريد الهروب. تنهدت بهدوء وقالت:

- لا توجد شرطة هنا، وأقرب مركز شرطة يبعد ثمانية أميال، وسوف يكون مغلقًا يوم الأحد. يمكنني الاتصال بالشرطة، لكنني لست متأكدة مما سأقوله لهم: مرحبًا، هناك رجل في منزلي يعتقد أنه ربما فعل شيئًا لشخص ما في مكان ما، أرجو منكم الحضور على الفور.

ابتسمت بتوتر وهي ترغب بشدة في أن تكون محقة بشأن شخص ما ولو لمرة واحدة في حياتها، وترغب بشدة في بقاء فرانك، وأن تثبت لنفسها وللعالم أن هذا لم يكن خطأً. وحتى لو كان على حق، وإذا قتل شخصًا ما، فلا بد أن يكون هناك سبب وجيه لذلك، وهي متأكدة من هذا. تابعت قائلة:

- اسمع إذن، ابقَ معنا ليلة أخرى من فضلك، ليلة واحدة أخرى، وبعد ذلك في الصباح، بعد أن أوصل رومين إلى المدرسة، سآخذك إلى الشرطة، حسنًا؟

لم يبدُ عليه الاقتناع.

واصلت الحديث وقالت:

- وهل تذكر تلك الحانة؟ كنا سنذهب إلى هناك لتناول الغداء، ولتجربة بودينج يوركشاير الشهير، ولنرى ما يمكنك تذكره. حسنًا؟

خفض رأسه قليلًا وأومأ لها.

- هيَّا إذن، سنعود إلى المنزل ونحجز طاولة. يوم الأحد يكون المكان هناك مزدحمًا بالناس، ونحن مجموعة كبيرة.

لمست مرفقه وشرعت تقوده بلطف نحو البلدة.

- سنأخذ سادي فقط، ونمنحها بعض الوقت الممتع من دون هذين الأحمقين الآخرين. وإذا أسعفنا الحظ، فقد يكون هناك عرض موسيقي حي. غالبًا ما تكون لديهم موسيقى حية. أتساءل أي نوع من الموسيقى تحب يا فرانك. أعتقد وفقًا لمظهرك، أنك تفضل فرق الجيتار المستقلة.

أخذت تثرثر عامدة، حيث لم ترغب في منح فرانك الفرصة للتفكير أو التحدث، ولم ترِده أن يتذكر أنه لم يعُد يرغب في الوجود هناك بعد الآن، لأن أليس لم ترغب حقًّا في رحيل فرانك. لم ترغب في تركه في مركز الشرطة، لتتلقى منه مكالمة فظة بعد بضعة أيام يقول خلالها: شكرًا على كل شيء... أنا وزوجتي ممتنان لك للغاية. أو مكالمة من الشرطة تقول: لقد قتل شخصًا ما بالفأس، ونحتاج إلى استدعائك للاستجواب.

لم تكن تريد أي شيء آخر سوى الاستيقاظ بين ذراعيه كل صباح من الآن وحتى نهاية الزمان.

قال بشرود:

- إلبو.

- ماذا؟

كرر بحماسة أكبر:

- إلبو.

نظرت إلى مرفقه(*) متسائلة:

- ماذا؟ هل تعني...؟

- هذا هو نوع الموسيقى الذي أحبه، أحب فريق «إلبو». هل هو فريق حقيقي؟ هل هي موسيقى حقيقية؟

ابتسمت قائلة:

- نعم، نعم إنه فريق حقيقي، وهو جيد للغاية.

- هل يمكننا الاستماع إلى بعض أغانيه لاحقًا؟

أمسكت أليس يده وقالت:

- بالتأكيد، يمكننا ذلك.

قال وقد أشرقت ملامحه بالكامل:

- رائع! لا أصدق أنني تذكرت ذلك.

ضغطت أليس يده وابتسمت له، وقالت:

- المعجنات.

- ماذا؟

- بودينج يوركشاير، إنه نوع من المعجنات. قطع ذهبية كبيرة من المعجنات.

أجاب:

- آه، أعتقد أنني أتذكر هذا، أظن ذلك.

ثم أحاط كتفيها بذراعه وجذبها نحوه، وسارا معًا متوجهين نحو قلب البلدة، وتلاشى خلفهما الظل الداكن للمنزل الكائن أعلى الجرف.

(*) «إلبو» (Elbow): تعني «مرفق» باللغة الإنجليزية. (المترجمة).

٣٤

١٩٩٣

وصل مزيد من الناس نحو الساعة الحادية عشرة، قادمين من حانة هوب آند آنكور. فتح لهم مارك الباب الأمامي، ودخلوا إلى المنزل. راقبهم جراي من باب البار، وانتابه الشك في هيئة هذه المجموعة، حيث كانوا أكبر سنًّا، مسمرين من أثر الشمس، أقوياء البنية وتبدو عليهم الفظاظة، وكان معظمهم في حالة سُكر، بيد أن مارك لم يبدُ منزعجًا من وصولهم.

صافحهم وضرب قبضته بقبضاتهم وأخذ منهم أكياسًا ممتلئة بالبيرة، وأشار نحو مدخل الباب، حيث وقف جراي، وصاح قائلًا:

- ادخلوا، ادخلوا، الحفلة هناك بالداخل.

تأمل الوافدون الجدد المنزل في طريقهم للدخول، وتفحصوا ارتفاع السقف والثريات البلورية المتلألئة. بدا أن شابًّا ضئيلًا له شعر مربوط إلى الخلف في شكل ذيل حصان طويل هو المسؤول عن إحضار الجميع إلى المنزل. نادى قائلًا لمارك من فوق أكتاف الشباب الذين أمامه:

- آمل ألا تمانع، لقد التقطنا بعض المتلكئين خلال الطريق.

قبض مارك على يد الشاب بإحكام، وصافحه على نحو ملتوٍ ومعقد وقال:

- لا، لا، لا، كلما زاد العدد زاد المرح، بكل تأكيد. ادخلوا، ادخلوا.

أشار إلى العدد القليل الباقي من الأشخاص للدخول. كان هناك ما يقرب من عشرين منهم، معظمهم من الشباب، وفتاتان أصغر سنًّا، وامرأة بدت في الخمسين من عمرها تقريبًا لها رأس حليق وترتدي أقراطًا في حاجبيها.

نظرت الفتيات الثلاث حولهن بفضول عندما وصل الضيوف الجدد، ووقف أليكس بلباقة وقال:

- مساء الخير، سيداتي وسادتي! مرحبًا بكم!

اصطفوا أمام البار بينما قدم لهم مارك المشروبات، ووقف جراي في جانب من الغرفة، وحدق إليهم. كان الشاب ذو ذيل الحصان يلف سيجارة حشيش على البار، بينما أخذت المرأة ذات الرأس الحليق تدخن واحدة صنعتها في وقت سابق. وكان اثنان من الشباب الأصغر سنًّا يغازلان إيزي وهاري، اللتين لم يبدُ عليهما الاستياء من ذلك على الإطلاق. التفت جراي ليرى ما تفعله كيرستي، فرآها جالسة على حاجز المدفأة وتحدق إلى الجمر المطفأ.

انضم إليها وقال:

- تعالي، لنعد إلى المنزل.

استدارت لتنظر إليه، ورأى على الفور أن هناك شيئًا ما على غير ما يرام. ابتسمت له بمودة، وعيناها تلتمعان. جذبته نحوها وأمسكت وجهه بين كفيها وقالت:

- أخي الجميل، انظر إلى نفسك، انظر إلى وجهك الجميل. يا لك من شخص طيب! يا لك من شخص رائع!

جذبته نحوها وعانقته بقوة.

ابتعد عنها ونظر في عينيها، وسألها:

- يا إلهي! كيرست، هل تناولت مزيدًا من حبوب النشوة؟

أسندت رأسها إلى كتفه وقالت:

- نعم، فعلت، حقًّا فعلت.

- أوه، اللعنة يا كيرستي! كيف يُفترض بي أن أعيدك إلى المنزل الآن، بحق الجحيم؟ لا يمكنني إعادتك إلى المنزل هكذا. أوه، بحق الجحيم! كم يبلغ مقدار ما تناولته؟

- واحد فقط.

- واحد ماذا؟ ربع؟ نصف؟

- قرص واحد كامل.

- تناولتِ قرصًا كاملًا! بالإضافة إلى الربع!

- يا إلهي، لا أدري. من عساه يكترث؟ يبدو كل شيء جميلًا للغاية: هذا المنزل، وهؤلاء الناس، وأنت يا جراي، أخي الجميل. دعنا نذهب ونرَ الطاووس! هيَّا!

نهضت كيرستي، وحدق إليها جراي، ثم قال معتقدًا أن بعض الهواء النقي قد يكون ما تحتاج إليه بالفعل:

- حسنًا، سنذهب لرؤية الطاووس. وبعد ذلك سأحضر لك القهوة وكوبًا كبيرًا من الماء وآخذك إلى المنزل. لكن اللعنة يا كيرستي، عليك أن تعديني أنك لن تأخذي أي شيء آخر. أوه حقًّا، إنه أمر خطير.

- إنه ليس خطيرًا يا أخي الجميل. كيف يمكن أن يكون خطيرًا؟ انظر ماذا حدث لك! لقد قبَّلت تلك الفتاة! حقًّا يا جراي! إنه الحل لكل شيء!

التفت جراي لينظر إلى إيزي، التي جلست الآن وساقاها ملتفتان فوق ساقَي أحد الشباب من الحانة، وهي تعبث بشعر هاري التي أراحت رأسها على حجر إيزي. بدا الشاب القادم من الحانة كأنه يخشى الحركة، أو حتى التنفس. وفي تلك الأثناء، انشغل مارك بتوزيع البيرة ومشروبات الكوكتيل عبر طاولة البار، وتوزيع المزيد والمزيد من أقراصه البيضاء. أخذت الموسيقى تعلو أكثر فأكثر، والمحادثات تزداد صخبًا، وامتلأ الجو بالدخان وظلال الناس الذين يرقصون، وصار جراي على اقتناع تام الآن أن زوجة عم مارك غير موجودة بالمنزل.

قال:

- تعالي إذن، فلنذهب ونبحث عن الطاووس.

كان الهواء بالخارج منعشًا، أشبه بشهر أكتوبر منه بأول أيام أغسطس. طفا ضباب خفيف بين الأرض والسماء، والتمعت الحدائق باللون الفضي في ضوء القمر. وكان صوت الموسيقى الجهير لا يزال مرتفعًا هنا بالخارج، بإيقاع قوي ثابت، ورقصت كيرستي ودارت أمامه. تنفس جراي بعمق، محاولًا تصفية ذهنه. لم يدُم تأثير أقراص النشوة طويلًا، وفي الواقع، وبصرف النظر عن النشوة المحمومة للقبلة التي تبادلها مع إيزي منذ نصف ساعة، لم يكن متأكدًا من أنها أثرت فيه على الإطلاق.

فتش الحدائق بحثًا عن الطاووس، حتى لمح بعيدًا وميضًا واندفاعًا، تلاه صياح وحركة مفاجئة. قال لكيرستي:

- هناك، ها هو ذا.

وضعت كيرستي يديها على فمها وهمست:

- أوه، انظر، انظر إليه، انظر إليه يا جراي!

تسللا على أطراف أصابعهما عبر العشب الناعم، ثم جلسا جنبًا إلى جنب على بعد أقدام قليلة منه وراقباه. أسندت كيرستي رأسها إلى كتف جراي، الذي شعر بموجة من الحنان تغمره. لم يسبق أن تصرفت معه على نحو عاطفي من قبل، ولطالما حافظا على مسافة مهذبة بينهما، لكن ها هي ذي الآن وقد فتحت قلبها على مصراعيه، وهي تحتضنه وتظهر حبها له. أحاط خصرها بذراعه وقربها منه وهمس في أذنها:

- أحبك يا أختي الصغيرة.

فهمست إليه:

- وأنا أيضًا أحبك، يا أخي الكبير.

وفجأة، استدار الطاووس أمامهما نحو ضوء المنزل، مواجهًا جمهوره، وفرد

ريش ذيله كالمروحة وهزه على إيقاع الموسيقى، ففتحت كيرستي فمها على اتساعه وقالت:

- رائع! إنه يرقص! الطاووس يرقص!

ضحك جراي وقال:

- إنه يرقص! إنه يرقص بالفعل!

وبينما قال هذا، رأى شعاعًا من الضوء يسقط عبر الحديقة وظل رجل يمتد أمامهما. استدارا وشاهدا مارك قادمًا نحوهما، وهو يحمل عدة زجاجات من البيرة.

قال بصوت عالٍ:

- مرحبًا، أنتما الاثنان.

كتم جراي تأوهه.

تابع مارك:

- ما الذي تفعلانه هنا؟

أجابت كيرستي:

- نشاهد الطاووس فحسب، إنه يرقص!

جلس مارك بجانبهما وناول كلًّا منهما زجاجة بيرة.

- الطاووس يرقص إذن؟

- نعم، انظر!

لكن الطاووس اختفى.

قالت كيرستي:

- أوه!

بدا واضحًا أن مارك غير مهتم بالطاووس الراقص، ونظر إلى جراي قائلًا:

- حسنًا، من الواضح أنك فقدت إيزي التي استسلمت لسحر أحد الأوغاد المحليين.

هز جراي كتفيه.

- لم أفز بها في الأساس.
- بدا الأمر كأنك فزت بها تمامًا في وقت سابق.
- كان هذا تأثير المخدرات فحسب، أليس كذلك؟ لم يكن الأمر حقيقيًّا.

أومأ مارك برأسه.

- مثل الطاووس الراقص؟

تجاهله جراي.

- من يكون كل هؤلاء الأشخاص الذين بالداخل، على أي حال؟
- إنهم من السكان المحليين، كما تعلم، الناس الذين يعيشون هنا على مدى العام. يا إلهي! هل يمكنك تخيُّل ذلك؟
- هل تعرفهم؟
- أعرف بعضهم بالتأكيد، فقد ظللت آتي إلى هنا طوال حياتي كما تذكر، منذ أن كنت طفلًا.

ساد صمت طويل، قطعته الضحكات القادمة من داخل المنزل.

قال مارك بعد فترة:

- حسنًا، ما الذي حدث في صباح ذلك اليوم بحق الجحيم؟
- ماذا تقصد؟
- أنت تعرف ما أعنيه. أعني أنني تعرضت للطرد من قبلك أنت، علاوة على والديك، على عتبة منزلكم، ولم يكن ذلك لطيفًا على الإطلاق.

لم يتفوَّه جراي أو كيرستي بشيء.

- أعني، أفترض أن هذا هو ما حدث، أليس كذلك؟ أنني تعرضت للرفض بالوكالة؟

قرب جراي كيرستي إليه وقال:

- كانت تشعر بالاعتلال فحسب، ولم تكن في حالة مزاجية جيدة.
- حسنًا، هل أنا وأنت ما زلنا على علاقة يا كيرستي؟

لم ترد كيرستي، بل اقتربت أكثر من جراي.

أصر مارك قائلًا:

- هل تشعرين بتحسن الآن؟ هل أنت بخير بما يكفي للخروج معي مساء غدٍ؟

قطع العشب بأصابعه وهو يتحدث، وكان صوته حادًّا، وبدا مفعمًا بالطاقة على نحو محموم.

أجابت كيرستي:

- لا أدري، لست متأكدة.

- ماذا يعني هذا؟ إما أن تكوني معجبة بي وإما ألا تكوني. إما أن تريدي الخروج معي وإما لا. إما أن نكون على علاقة وإما أن ننفصل.

لم تقل كيرستي شيئًا.

- حسنًا؟

- اسمع يا مارك، لقد تأخر الوقت، كما أنها منتشية بالمخدرات، وأحتاج إلى اصطحابها إلى المنزل. دعنا نجرِ هذه المحادثة في يوم آخر، هلَّا فعلنا؟ عندما نكون جميعًا أقل... تأثرًا بالمخدرات.

- لكن ألا ترى؟ لهذا السبب بالتحديد يجب أن نجري هذه المحادثة الآن، بينما كل المشاعر لا تزال تتدفق على السطح، وبينما نشعر جميعًا بالواقعية.

تنهد جراي.

- مارك، كل هذا ليس واقعيًّا.

- بل هو واقعي بالطبع، كل هذا واقعي. أيًّا كان ما تشعر به، وأيًّا كان ما تراه، فهو واقعي.

أشار إلى رأس جراي وقال:

- إنه يأتي من هنا.

ثم أشار إلى قلبه وتابع:

- ويأتي من هنا. يتطلب الأمر فقط بضعة مفاتيح صغيرة لتحريره، مفاتيح صغيرة مثل الكحوليات وحبوب النشوة.

التفت بحدة حتى أصبح على بعد بوصات من وجه كيرستي.

- لذا هأنذا أسألك الآن يا كيرستي، أسألك أنت، ما الذي يحدث؟ هاه؟

وقف جراي، وسحب كيرستي كي تنهض هي أيضًا، وقال:

- حقًّا، هذا ليس الوقت ولا المكان المناسب يا صديقي. سأعيدها إلى المنزل، اتفقنا؟

أمسك مارك ذراع كيرستي، وأعادها إلى الأرض على العشب، فسقطت على مؤخرتها بقوة.

دفع جراي كتفَي مارك وقال:

- ابتعد عنها، اللعنة!

شرع يجذب كيرستي كي تنهض مجددًا، فألقى مارك نفسه فجأة على ساقَي جراي، وأسقطه على العشب وألقى نصف جسده فوقه. واصطدم الجزء العلوي من جسد جراي بكيرستي التي صرخت من الألم، فرفع نفسه وضرب مارك الذي أمسك قبضته في يده وقبض عليها. وبذراعه الأخرى جر مارك كيرستي نحوه وشدد ذراعه حول عنقها. جذب جراي ذراعَي كيرستي، لكن هذا دفع مارك إلى تشديد قبضته حول عنقها فحسب، لذا أمسك جراي معصم مارك وحاول إبعاد ذراعه. ركل مارك بكعب قدمه اليمنى، وسدد ضربة بين ساقَي جراي، فكاد يصيبه في خصيتيه. تدحرج جراي إلى الخلف، ثم جلس مجددًا وكان على وشك شن هجوم آخر على مارك، لكنه توقف عندما التمع القمر على نصل سكين جيب فضية.

كانت السكين عند حلق كيرستي، وكان مارك يلهث، واتسعت عيناه عن آخرهما وهو يلعق شفتيه.

قال لجراي:

- فلتنظر الآن، انظر ما الذي دفعتني إلى فعله.

٣٥

استحمت ليلي وبدلت ملابسها، وبدا بنطالها الجينز فضفاضًا حول خصرها. كان عليها أن تتناول الطعام، لكن لم يكن هناك شيء صالح للأكل في المطبخ، لذا قررت الذهاب للتسوق.

كان يومًا صافيًا مشمسًا، يكاد يكون دافئًا عندما تسقط عليها أشعة شمس الصباح. خلعت نظارتها الشمسية، واستمتعت بإحساس الشمس على وجهها. مرت أمام موقع البناء المجاور، ورفعت نظرها إلى النافذة التي يومض فيها الضوء كل ليلة. بدا المكان غير خطير على الإطلاق بالنهار، ولم تستطع أن تفهم لماذا أخافها إلى هذا الحد في ذلك اليوم. أحست برئتيها تمتلئان بالهواء وتفرغانه مرارًا وتكرارًا في أثناء سيرها، والشمس على بشرتها، وخطواتها واسعة وطويلة، وأحجار الطريق صلبة تحت قدميها. لبعض الوقت، تحرر عقلها من كل ما كان يثقله طوال خمسة أيام. قبل اختفاء كارل، اعتادت قضاء أيامها في الانتظار، تحيا من أجل رسائله النصية، تتخيل القطارات في ذهابها وإيابها، وتكاد تحبس أنفاسها حتى يعود إلى المنزل. والآن، وللمرة الأولى منذ أن أتت إلى هذا البلد، تشعر كأنها ربما تعيش هنا. ليس فقط في تلك الشقة، وليس بين ذراعَي كارل فحسب، بل هنا، في هذا البلد.

توردت وجنتاها بعض الشيء وهي تسير في طريقها إلى البلدة، وتدفقت الدماء في عروقها. التقطت سلة عند مدخل السوبرماركت في الطريق الرئيسي، وتجولت بين الممرات لجمع المشتريات: عبوات حبوب الإفطار الغنية بالألياف، وعلب الحساء، والبيتزا، والخبز، وعلبة من كعك الدونات، والحليب، ولفائف ورق التواليت، والبسكويت، والشوكولاتة القابلة للفرد، واللحوم الباردة والجبن، والصابون وجل الاستحمام. لم تشترِ أي سلطات ولا مشروبات صحية، ولا خضراوات، حيث إنها لن تأكلها. اختارت ما تحتاج إليه فقط، وما تعرف أنه سيشبع جوعها من دون أن تضطر إلى التفكير في الأمر.

عند الخروج، ابتسمت لموظفة الكاشير وقالت:

- الجو لطيف اليوم، أليس كذلك؟

بادلتها الموظفة الابتسام بحرارة وقالت:

- أتمنى أن يستمر هكذا حتى انتهاء ورديتي. من المؤكد أن هذا الجو ملائم للذهاب إلى حانة مفتوحة!

لم تعرف ليلي بالتحديد ما الجو المناسب للذهاب إلى حانة مفتوحة، لكنها استطاعت التخمين، لذا ابتسمت وقالت:

- آمل ذلك أيضًا!

أخذت أكياس المشتريات من عند باب الخروج، وشرعت تتوجه إلى المنزل، لكنها رأت متجرًا للملابس لم تلاحظه من قبل على بعد بابين فقط، في نافذته فستان أخضر مصنوع من قماش حريري، له كُمَّان قصيران وتنورة واسعة. لم يكن ليلفت نظرها من قبل، حيث بدا ملائمًا لامرأة أكبر سنًّا. لكن خطر ببالها فجأة أنها لا تملك ملابس صيفية، وأنها وصلت إلى هذا البلد في نهاية الشتاء، ولم تجلب معها سوى الجينز والسترات الصوفية وبعض الملابس القصيرة الضيقة التي ترتديها ليلًا. ذكرها الطقس اليوم بأن شهر مايو سيحل قريبًا، وكانت تحمل معها في حقيبتها بعض المال الذي أخفاه كارل.

وقفت عند باب متجر الملابس ويدها على الباب.

ثم فكرت في المستقبل، وفكرت في أن كارل قد مات على الأرجح، وأنها بمفردها، وقد يكون هذا المال هو كل ما لديها لتعيش به لفترة طويلة جدًّا. فجأة، اختفى صفاء وهدوء اللحظة، وعادت إلى واقعها المظلم. سارت عائدة إلى المنزل ببطء، وأكياس المشتريات ثقيلة بين يديها، والغيوم تتجمع أمام الشمس.

أفرغت أكياس التسوق بسرعة، ثم أكلت دونات وشربت كوكاكولا. بعد ذلك، أعادت ترتيب وسائد الأريكة، وجلست على حافتها بعناية واتصلت بروس.

بدا واضحًا أنه سجل رقمها في هاتفه، وقال:

- ليلي، كيف حالك؟

- لست في أحسن حال.

- لا أثر له بعد، إذن؟

- لا، بالطبع لا.

كرر قائلًا:

- لا، بالطبع لا.

ثم أضاف:

- هل هناك أي جديد؟

- حسنًا، نعم، لقد تحدثت إلى والدته هذا الصباح.

- يا إلهي! حسنًا، هذا تطور كبير.

- لا، إنه ليس كذلك للأسف. لقد تظاهرت بأنها ليست والدته، وقالت إنها ليس لديها أولاد.

قال:

- آه، فهمت.

- أريد منك الاتصال بها، من فضلك. اتصل بها نيابة عني، وتظاهر بأنك عامل من شركة الغاز، كما تعلم، أو من شركة التلفزيون الكابلي.

كان هذا هو ما طرأ ببالها في أثناء سيرها في الطريق الرئيسي هذا الصباح، وهي تشعر بالخفة والصفاء الذهني. صارت تعرف شخصًا ما في هذا البلد، ويمكنه مساعدتها. تابعت قائلة: مكتبة سُر مَن قرأ

- اطرح عليها بعض الأسئلة، وربما تتمكن من معرفة اسمها، من فضلك.

ساد صمت قصير على الطرف الآخر من الخط.

- يا إلهي.

- أرجوك.

التزم الصمت.

وتركته يفكر للحظة.

ثم قال:

- أعطيني الرقم. أول ما سأفعله هو البحث عنه على جوجل، وسأرى ما يظهر، ثم أعاود الاتصال بك.

أجابت:

- حسنًا.

بيد أنها لم تكن مقتنعة في الواقع. أرادته أن يفعل ما طلبته منه فحسب. لكنها أعطته رقم المرأة، وجلست وانتظرت. أحست بالألم في معدتها من أثر القلق، ومن أثر تناول السكر على نحو مفاجئ بعد أن ظلت طوال ثلاثة أيام لا تأكل إلا الخبز والأرز.

بعد لحظة، رن الهاتف.

قال:

- حسنًا، بحثت عن الرقم على جوجل وحصلت على العنوان الكامل.

- ماذا؟

- لقد ظهر الرقم على أحد مواقع بيع وشراء الأشياء المستعملة. كان هناك شخص ما في ذلك العنوان يعرض بيانو للبيع. كان ذلك منذ عامين، لكنها لا تزال معلومة مهمة على أي حال.

- أين هذا المكان إذن؟
- في مكان ما يُسمَّى خليج رايدنجهاوس، في شرق يوركشاير.
- أين يقع؟
قال:
- شمالًا، على بعد أربع أو خمس ساعات من هنا.
- هل يمكننا الذهاب إلى هناك؟
- معًا؟
- نعم، أنت وأنا.
تبع ذلك صمت ثقيل.
واصلت قائلة:
- لا يزال الوقت مبكرًا، يمكننا الذهاب الآن.
- حسنًا، يا إلهي، لا أدري. إنه يوم الأحد، وأنا مع عائلتي. لدينا خطط.
- أي نوع من الخطط؟
- الغداء، سنتناول الغداء.
أخذت ليلي نفَسًا عميقًا، وكبتت رغبتها في الصراخ: الغداء! الغداء! هل هذه هي خطتك؟ الغداء! بدلًا من ذلك قالت:
- قد يكون موجودًا هناك يا روس. قد يكون في ذلك المنزل، مع تلك المرأة.
صمت مرة أخرى، ثم قال:
- نعم، هذا صحيح.
- كنت سأذهب بمفردي، لكن في الحقيقة أنا أجنبية، ولا أعرف كيف أذهب إلى مكان بعيد إلى هذا الحد.
- إنها رحلة طويلة للغاية يا ليلي، ولا أعتقد أنه يمكننا القيام بها في يوم واحد.
كانت الساعة الحادية عشرة، فأجرت بعض الحسابات في ذهنها. إذا غادرا الآن، فسيصلان في الرابعة، ويبقيان لمدة ساعة، ويمكنهما العودة بحلول العاشرة مساءً.

- يمكننا ذلك يا روس، وسنعود بحلول العاشرة مساءً.

تنهد روس.

- ليلي، ليلي، أنا آسف جدًّا، حقًّا آسف، لكنني لا أعتقد أن...

قالت:

- اسأل زوجتك، اسألها الآن. أخبرها بأن صديقك في خطر. أخبرها بأنها مسألة حياة أو موت. أرجوك!

- سأعاود الاتصال بك خلال دقيقة يا ليلي، اتفقنا؟

قالت:

- نعم، شكرًا لك يا روس، أشكرك.

أغلقت الخط وابتسمت.

بعد ساعة، كان روس في موقف السيارات بالأسفل، في سيارة عائلية كبيرة. ركبت ليلي بحذر، إذ كانت السيارة متسخة وممتلئة بالفتات وأكياس أغذية أطفال فارغة، ومناديل مبللة مستعملة، وبها مقعد أطفال ملطخ باللعاب في الخلف.

قال روس وهو ينفض بعض الفتات من فوق مقعد الراكب:

- كنت سأنظف السيارة لو أنني علمت أننا سنفعل هذا اليوم، معذرة.

- لا، لا بأس. هاك.

أظهرت له محتويات كيس بلاستيكي وتابعت:

- لقد أعددت لنا بعض الشطائر، ولديَّ دونات ومشروبات. وانظر! «برينجلز».

أخرجت علبة أسطوانية من رقائق البطاطس.

ابتسم حتى تغضنت زوايا عينيه، وأراها علبة بلاستيكية ممتلئة بالمكرونة النيئة، وقال:

- رائع. لقد أعطتني جو هذا، أم هل يجب عليَّ القول إنها ألقته في وجهي؟

قالت: «هذا غداؤك، عليك أن تطبخه بنفسك».

قالت ليلي وهي تربط حزام الأمان:

- أوه، هذا لا يبدو جيدًا.

أدار المحرك ووضع السيارة في وضع الرجوع إلى الخلف.

- لا، لا، الأمر ليس جيدًا بكل تأكيد، أنا في ورطة كبيرة.

قالت ليلي:

- آه، حسنًا، عندما تعود إلى المنزل وتخبرها بأنك عثرت على صديقك المفقود وأنك بطل، فسوف تسامحك.

قال وهو يوجه السيارة نحو مخرج موقف السيارات:

- لنأمل أن تكوني على حق، حسنًا؟ وإلا سأظل على مقعد التأديب لفترة طويلة.

- مقعد التأديب؟ ما هذا؟

- إنه...

ضحك، ثم تابع:

- إنه مكان يقضي فيه الأطفال المشاغبون بعض الوقت.

اتسعت عيناها وقالت:

- حقًّا يا روس؟ هل ستجعلك زوجتك تجلس هناك؟ مثل الطفل؟

انفجر في الضحك على نحو صاخب جعلها تجفل، وقال وهو لا يزال يضحك:

- لا، لا، إنه مجرد تعبير، أسلوب في التعبير فحسب.

- لن تفعل إذن؟

- لا، لن تفعل، لكنها ستغضب كثيرًا، ومن المرجح أنني سأقضي الليلة نائمًا على الأريكة.

أومأت ليلي برأسها وتوقفت عن الحديث للحظة، ثم التفتت إلى روس وتفحصت ملامحه، وذقنه الغائر بعض الشيء، ولحيته الخفيفة التي لم يحلقها يوم الأحد، ويديه الشاحبتين الخاليتين من الشعر الموضوعتين على عجلة القيادة، وقالت:

- أنا آسفة جدًّا، وأقدِّر كثيرًا ما تفعله من أجلي. أنت رجل طيب للغاية.

التفت وابتسم لها قائلًا:

- العفو يا ليلي، حقًّا، لا أهمية للأمر.

لكن ليلي أدركت أن الأمر ليس بالهين، وأنه اضطر إلى الجدال مع زوجته التي تبدو امرأة قوية ومخيفة، كي يتمكن من الوجود معها هنا. وأدركت الآن سبب رغبة كارل في صحبته، حيث بدا واضحًا أن هذا الرجل الهادئ أكثر شجاعة مما يبدو.

٣٦

في اللحظة التي وطئت فيها قدماه حانة هوب آند آنكور، أدرك فرانك الأمر. أدرك أنه كان هنا من قبل، ولم تومض المسارات العصبية في دماغه وتشتعل هذه المرة، بل ظلت واضحة وقوية. نعم، كان هنا من قبل، وكانت هناك مغنية ذات شعر أشقر وفتاة تعزف على البيانو، وكان هناك... امتلأ حلقه بحموضة طعمه... كان هناك تكيلا، وساد الشعور بالتوتر، كما كانت تلك الفتاة موجودة هناك، الفتاة ذات الشعر البني، والآن، من العدم، أتاه اسمها، وهبط عند قدميه كصخرة. كيرستي، كانت الفتاة تُدعى كيرستي، وكان يحبها، يحبها من كل قلبه.

جاهد فرانك للبقاء واعيًا، وتمكن من إبقاء قدميه ثابتتين على الأرض، ولم يتقيأ. وصل إلى الطاولة المحجوزة باسمهم في غرفة صغيرة خارج قاعة الحانة الرئيسية، وتوجه إلى كرسيه وارتمى فوقه بتثاقل. أغمض عينيه محاولًا مطاردة الذكرى وهي تفلت منه بعيدًا في زوايا عقله المظلمة. تمكن من متابعة الأمر لبضع ثوانٍ، بما يكفي لرؤية عينين خضراوين لطيفتين، ومعطف واقٍ من المطر، وحذاء رياضي رخيص، وابتسامة خرقاء. آلمه قلبه بشدة، حتى إنه اضطر إلى الضغط عليه بكلتا يديه وتدليكه.

لم تلحظ أليس تغيُّر حالته المزاجية، حيث انشغلت بوضع سادي على بساط متسخ من جلد الغنم جلبته معها من الكوخ، ومحاولة معرفة ما تريد رومين اختياره من قائمة الطعام («إنهم لا يقدمون عجة البيض في أيام الأحد، أيتها الانتقائية في الطعام»)، علاوة على محاولة إقناع جازمين بخلع سماعتَي أذنيها وإغلاق هاتفها. وعندما حاز فرانك انتباهها مرة أخرى، كانت اللحظة قد انقضت، وأحس أنه عاد إلى طبيعته مجددًا.

قالت أليس:

- لحم البقر أم لحم الخنزير أم الدجاج؟

أسرع بتوجيه انتباهه إلى قائمة الطعام والتفت إلى رومين التي اختارت الجلوس بجانبه وقال:

- ماذا ستأكلين؟

- بطاطس مشوية.

- بطاطس مشوية فقط؟

- نعم.

بدا عليها الغضب، وعقدت ذراعيها أمام صدرها.

رفعت أليس حاجبيها وتنهدت قائلة:

- لا تطلق عليَّ الأحكام، فهي تزعم أن طعم اللحوم يشبه الدم، ما لم تكن مغطاة بالبقسماط، أو مقدمة في الخبز مع الجبن، أو مفرومة ومطهوة مع الطماطم.

أومأ فرانك برأسه وقال لرومين:

- حسنًا، كنت سأطلب ما تطلبينه أنت، لكنني أفكر الآن في طلب الدجاج.

هزت رومين كتفيها كأنها لا تهتم، وتبادلت أليس وفرانك الابتسامات فوق رأسها.

همست أليس:

- إنها متعبة.

أومأ فرانك برأسه ونظر إليها، وقال بينما استأنف الأولاد الثلاثة الحديث:

- لقد تذكرت شيئًا ما.

- هل أنت بخير؟

ابتسم قائلًا:

- نعم، أنا بخير، كان الأمر مختلفًا هذه المرة، وبدا واضحًا وصافيًا.

أشار إلى القاعة الرئيسية وتابع:

- رأيت مغنية تقف هناك، مع عازفة بيانو. كما تذكرت الفتاة، تلك الفتاة ذات الشعر البني. تذكرتها بوضوح.

وأضاف بنبرة مبتهجة:

- وقد تذكرت اسمها يا أليس!

رفعت أليس حاجبيها.

- حقًّا؟

- نعم! كيرستي! اسمها كيرستي!

غام وجه أليس حينها، وقالت:

- أوه، رائع! هذا مدهش يا فرانك!

أجاب:

- أعرف هذا، وأعتقد أن هذه قد تكون البداية، أعتقد أنني سأتذكر كل شيء، شيئًا فشيئًا، تمامًا كما قلتِ.

قالت أليس وهي مستغرقة في التفكير:

- ومن تلك الفتاة؟ هل تذكر من تكون؟

أجاب:

- ليس تمامًا، لكنني تذكرت أنني أحببتها، أحببتها كثيرًا، وأنني...

ضغط على قلبه مرة أخرى، وقد عاوده الألم عندما فكر في تلك الفتاة ذات الوجه العذب من ماضيه.

- أنني أفتقدها، أفتقدها بشدة.

مدت أليس ذراعها عبر ظهر كرسي رومين وضغطت على كتفه برفق، وسألت بصوت هامس تقريبًا:

- هل كانت زوجتك؟

أجاب:

- لا أعرف، حقًّا لا أعرف.

- يبدو من المضحك التفكير في هذا، أليس كذلك؟ في أنه قد تكون لديك زوجة؟

هز كتفيه، فلم يكن الأمر مضحكًا في الواقع، بل كان فظيعًا. تذكر ما قالته جازمين الليلة الماضية في أثناء العشاء، بشأن مدى قسوته لعدم محاولة اكتشاف هويته، وأنه قد يكون هناك أشخاص قلقون بشأنه. حتى ذلك الحين، لم يكن يدرك حقًّا ما يعنيه ذلك، حيث إنه لم يحمل أي مشاعر تجاه أحد سوى الأشخاص الموجودين معه في الغرفة. لكن ها هو ذا الآن فجأة يحب شخصًا من الماضي، يحب كيرستي.

رأى أليس تجبر نفسها على الابتسام، وفركت كتفه، ثم أعادت يدها إلى حجرها بسرعة.

وصلت النادلة وهي تحمل مفكرة، والتفت إليها فرانك ليمليها طلبه، لكن ليس قبل أن يلاحظ أن أليس تحدق أمامها بشرود وعيناها غائمتان بالدموع.

لم تمسك أليس يد فرانك في طريق العودة إلى المنزل، حيث إن ذلك سيصيب الأولاد بالصدمة، لكن علاوة على هذا، لم تشعر بالرغبة في ذلك. أدركت أن النهاية قادمة، تلوح في الأفق، ولم يعجبها ذلك على الإطلاق. بدا لها الأمر قاسيًا ومؤلمًا. رأت نفسها تجلس وحيدة في غرفتها، تقص الخرائط لتصنع منها أعمالًا فنية ليقدمها الناس لأحبائهم. رأت نفسها تشاهد التلفزيون وهي جالسة على أريكة تناثر فوقها الفتات، محاطة بالكلاب كريهة الرائحة والمراهقين متقلبي المزاج، ثم تذهب إلى الفراش مع الكلب السلوقي وتستيقظ في الصباح التالي بشعر دهني مشعث من دون أن تكترث، قبل أن تبدأ الأمر برمته من جديد.

رأت هذا الرجل الوسيم ذا الشعر الخريفي والعينين الحانيتين والنفس الدافئ واليدين القويتين يغادر منزلها، ويتركها لتستأنف وحدها هذه الحياة التي كانت قانعة بها تمامًا قبل ظهوره على الشاطئ منذ خمسة أيام. رأت أفضل شيء يمكن أن يحدث لها في هذه اللحظة بالذات في حياتها وهو يُنتزع منها قبل أن تحظى حتى بفرصة الاستمتاع به.

ظلت أليس صامتة خلال طريق العودة إلى المنزل. تعثرت سادي في سيرها بجانبها، وعاودت جازمين الاستماع إلى موسيقاها وهي تمضي قُدمًا في طريقها، وقد بدت عليها الهشاشة وتقلب المزاج، وهو المظهر الذي افترضت أليس أنه مصطنع. أمسك كاي يد رومين وهما يتحدثان عن هذا الأمر وذاك، وحلقت طيور النورس وانقضت عبر الأفق حيث التمعت على نحو باهت باخرة سياحية عملاقة، بعيدة كل البعد عن خليج رايدنجهاوس الصغير الذي يعود تاريخه إلى قرون مضت، حتى بدت كأنها آتية من كوكب آخر.

نظر فرانك إلى أليس بعينين حنونين وقلقتين وسألها:

- هل أنتِ بخير؟

أجابت:

- أنا بخير، لكنني مستغرقة في التفكير وحسب، كما تعلم.

أومأ برأسه، وشرد بنظره في الأفق، ثم التفت إليها مجددًا وقال:

- ربما تكون قد ماتت، كما تعلمين، تلك الفتاة، كيرستي. ربما كانت حبيبتي عندما كنت صغيرًا. أعني، أنها تبدو صغيرة جدًّا، مراهقة. ومن غير المرجح أن أكون لا أزال مرتبطًا بها، حتى لو كنا نحب بعضنا في عام ١٩٩٣، أو أيًّا كان العام الذي كنت موجودًا فيه هنا.

لم تعرف حقًّا ماذا تقول. يمكن أن تكون «كيرستي» أي شخص: زوجته، أو ابنته، أو حبه الأول، أو شقيقته. لم يكن هذا هو ما يهم، بل المهم هو أنه يحبها، يحبها في الزمن الحاضر. وهذا يعني أنه لم يَعُد بوسعها التظاهر بأن فرانك موجود داخل فقاعة. لم يَعُد بوسعها التظاهر بأنه ملكها حصريًّا.

تنهد وقال:

- حسنًا، أيًّا كان الأمر، سنكتشف ذلك غدًا، ولست متأكدًا ما إذا كنت سترغبين في أن تكون لك أي علاقة بي بعد ذلك على أي حال، سواء كنت متزوجًا أم لا.

توقفت واستدارت لتواجه فرانك. فكرت في أنه لا يفهم شيئًا، حقًّا لا يفهم شيئًا، وقالت:

- دائمًا ما سأرغب في أن أظل على علاقة بك يا فرانك، بطريقة أو بأخرى. لكن السؤال الحقيقي هو ما إذا كنت أنت سترغب في أن تظل على علاقة بي.

٣٧

١٩٩٣

تركت سكين مارك علامة على عنق كيرستي، وجذبت أصابعها ذراعه حيث كان يضغط بإحكام على صدرها.

قال مارك بحدة:

- لا تتحركي بحق الجحيم، وابقي ساكنة فحسب، حسنًا؟

انحنى جراي إلى الأمام، وحاول الإمساك بالسكين، لكن مارك ركله إلى الخلف مرة أخرى.

- هل تريدني أن أقتلها؟ لأنني سأفعل ذلك حقًّا.

ألقى جراي نظرة يائسة نحو الجزء الخلفي من المنزل، على أمل أن يخرج شخص ما الآن، أي شخص. شرع في النهوض، فلو أنه تمكن من الدخول إلى المنزل فحسب وإبلاغ الآخرين بما يدور، فلن يقتلها مارك. لن يتمكن من ذلك.

- لا تفكر حتى في الذهاب إلى أي مكان، أيها التافه. أنت جزء من هذا الأمر، أليس كذلك؟ وستبقى هنا، وإلا سأقطع عنقها، من دون أن يطرف لي جفن حتى، حسنًا؟

أومأ جراي برأسه. سيفعل أي شيء يطلبه مارك في الوقت الحالي، ما دام طرف سكينه مغروسًا في عنق شقيقته على ذلك النحو المؤلم.

سأله جراي:

- ما الذي تفعله بحق الجحيم؟ أنت مجنون!

أجاب مارك بعنف:

- لا، أنا لست مجنونًا على الإطلاق، أنا عاقل تمامًا. أنت السبب في حدوث هذا، أنت وكل عائلتك اللعينة.

قال جراي:

- ماذا؟ ما الذي فعلناه؟

- أنت تعرف ماذا فعلتم. لقد رأيتكم جميعًا على الشاطئ تتحدثون عني، ورأيت الطريقة التي نظرتم بها جميعًا إليَّ، وأنتم تتفحصونني وتتساءلون ما إذا كنت جيدًا بما يكفي لأميرتكم الصغيرة الغالية. لقد فعلت كل ما بوسعي، وخبزت كعكة لكم جميعًا، كعكة لعينة، لكنكم جميعًا جلستم هناك كأنني قدمت لكم مجرد فضلات.

- ماذا؟

- أنا لست غبيًّا، يا جراهام. لقد كرهتني في الحال، وكان هدفك هو التأكد من أن عائلتك بأكملها تكرهني أيضًا. لقد حرضتهم جميعًا ضدي، بمن في ذلك كيرستي أيضًا.

فتح جراي فمه ليقول شيئًا، ليخبر مارك بأنه هو الذي جعل كيرستي تنقلب ضده من خلال تصرفاته الغريبة اللعينة، لكنه رأى السكين تضغط بقوة أكثر فأكثر على جلد كيرستي، وعيناها تزدادان اتساعًا ورعبًا، فقرر أن يجرب إظهار التعاطف.

قال بهدوء:

- يؤسفني أنك تظن ذلك، وأعتقد أنني تصرفت كأخ أكبر يفرط في حماية شقيقته فحسب. وكما تعلم، لم يسبق أن كان لكيرستي حبيب من قبل، ولم أشعر بالارتياح حيال ذلك.

تابع مارك بعنف:

- هذا علاوة على ما حدث الأسبوع الماضي، عندما أتيت لرؤية كيرستي لأطلب منها الخروج، فوقفتم جميعًا هناك عند المدخل كمجموعة من الحراس الشخصيين الجهلة. كان الأمر مهينًا للغاية، ولم أتعرض في حياتي كلها من قبل لمثل هذه المعاملة على الإطلاق. كان ذلك مثيرًا للاشمئزاز.

كبت جراي رغبته الشديدة في لكم مارك في وجهه، وقال:

- أعتذر مرة أخرى إذا شعرت بذلك. أخبرتني كيرستي أنها تشعر بأنها ربما تكون أصغر سنًّا من أن تدخل في علاقة، وأنها قلقة بشأن جرح مشاعرك. طلبت مني أن أقول إنها تشعر بالاعتلال، كي يسنح لها الوقت الكافي للتفكير فيما إذا كانت تريد الاستمرار في العلاقة أم لا. كنت أحاول حمايتها فحسب، وأحقق رغباتها. ظننت أنك ستحترم ذلك، ولم أتوقع أن تحاول فرض نفسك بالقوة. لقد فاجأتنا جميعًا.

زمجر مارك قائلًا:

- اسمع يا هذا، لا أحد يتصرف معي على ذلك النحو، حسنًا؟ لا أحد يتصرف كأنه أفضل مني، ولا سيما شخص ضئيل بغيض قذر مثلك.

- أنا آسف يا مارك، حقًّا، لم أعاملك بإنصاف، وأعتذر لذلك. والآن أرجوك، من فضلك، هلَّا تركت شقيقتي؟ إنك تخيفها.

- هل تعلم ما مررت به في حياتي، أيها الحقير؟ هل لديك أي فكرة؟ بالطبع لا. فأنت تعيش في فقاعتك الصغيرة المريحة المؤلفة من الأب والأم والأخ والأخت، والأكواخ المريحة، والعشاء في الحانات، والرحلات النهارية. لذا، اعذرني لأنني وقعت في حب شقيقتك. أوه، واعذرني لأنني لم أفهم كيف يمكن لشقيقتك...

هز كيرستي بعض الشيء، مما زاد من ضغط ذراعه على صدرها، وتابع:

- أن تقف معي في لحظة على الشاطئ وتخبرني وهي بين ذراعَي بأنها تحبني، ثم تقرر في اللحظة التالية أنها «غير مستعدة» للدخول في علاقة. هاه؟

هز كيرستي مرة أخرى، فأطلقت أنينًا.

قال مارك وهو يجر كيرستي لتقف على قدميها:

- هيَّا، انهضي.

- إلى أين ستأخذها؟

- آخذها؟ لن آخذها وحدها، بل سآخذكما معًا. قم أيها التافه، انهض!

لم يستطع جراي التحرك.

التوت قسمات مارك من الاشمئزاز، وللحظة وجيزة أبعد السكين عن عنق كيرستي ليهدد جراي.

- انهض أيها اللعين!

أمسك جراي معصم مارك، وللحظة قبض عليه بإحكام، وصاح بصوت مبحوح:

- كيرستي! الآن، اركضي الآن!

حاولت كيرستي الإفلات من تحت ذراع مارك، لكنه جذبها من شعرها وأعادها تحت ذراعه. ثم تخلص فجأة من قبضة جراي على معصمه، وبدأ يلوي ذراع جراي إلى الخلف، ويثني يده للأعلى نحو معصمه أكثر فأكثر، وبدا العالم كأنه يتحطم إلى ألف شظية سوداء وحمراء عندما انكسر العظم، وهبط الألم على أطراف وعيه وقبع هناك مثل طائر رهيب مظلم ينتظر الانقضاض كي يحمله بعيدًا. نظر جراي إلى ذراعه، إلى الزاوية المرعبة بين كفه ومعصمه، والنتوء العظمي الرهيب الذي يلوح تحت جلده. بدا الأمر كأن السماء أظلمت حوله، وظن للحظة أنه سيفقد وعيه. لكن الألم ضربه وجعله يفيق تمامًا على نحو صادم.

أعاد مارك السكين إلى حلق كيرستي.

زمجر قائلًا:

- إذا حاولت الهرب مجددًا فسأكسر يدك الأخرى. انهض أيها اللعين، وتعالَ معي.

٣٨

غادرت ليلي وروس الجنوب الشرقي، وصارا على الطريق السريع متجهين شمالًا.

قالت ليلي:

- حسنًا، كيف التقيتَ أنت وجو؟

- أوه، يا إلهي، هل تطرحين عليَّ هذا السؤال الآن؟

أجابت:

- نعم، هأنذا أسألك.

ابتسم وقال:

- في العمل.

- نفس المكان الذي التقيت فيه كارل؟

- لا، في الشركة التي عملت بها سابقًا. كانت مديرتي.

قالت ليلي:

- آه، نعم، يبدو هذا منطقيًا.

- هل يبدو كذلك بالفعل؟

- نعم، لأنها متسلطة.

ضحك روس بصوت عالٍ.

- إنها ليست كذلك!
- بل هي كذلك بالفعل! فهي لم ترغب في أن تتناول الإفطار معي، ولم ترِدك أن تأخذني إلى يوركشاير، ورمت غداءك في وجهك!
- أوه، حقًّا، هذا مجرد... إنها متعبة للغاية، هذا هو كل ما في الأمر. وخلال أسبوع العمل، تصاب بالجنون نوعًا ما كأسد حبيس...
- أسد حبيس؟
- كأسد حبيس داخل قفص، كما تعلمين، تتوق إلى الخروج. فهي تحيا في انتظار عطلات نهاية الأسبوع، عندما أكون في المنزل، كي أتمكن من المشاركة في رعاية الطفلة، والقيام بأشياء لطيفة معًا، وقضاء الوقت مع دارسي.

ارتجفت ليلي بعض الشيء. لم ترغب في طفل حتى تبلغ الخامسة والثلاثين من عمرها. أخبرت كارل بذلك، وقال إنه سوف ينتظر ما دامت أرادت الانتظار. صار بوسعها التعاطف مع هذه المرأة، جو، على نحو أفضل الآن. فقد أحست هي أيضًا بالجنون «كالأسد الحبيس» في بعض الأحيان خلال الأسبوعين الماضيين. وكانت ستبتئس بشدة لو تركها كارل طوال اليوم في عطلة نهاية الأسبوع ليرافق امرأة أخرى في رحلة عبر البلاد. ولم يكن لديها طفل حتى لتعتني به. أومأت برأسها وقالت:

- أتفهَّم ذلك. من فضلك هل يمكنك أن تخبرها بأنني آسفة للغاية؟ وأنني ممتنة بشدة، وسأشتري لها هدية.
- أوه، هذا ليس ضروريًّا، لا داعي لذلك، لكنني سأخبرها. إنها ليست مخيفة حقًّا، بل هي لطيفة جدًّا. إنها أفضل امرأة في العالم، وأنا محظوظ جدًّا لوجودي معها.
- كيف تبدو؟

قال:

- إنها جميلة.

فتساءلت ما إذا كان يعني جميلة مثلها، أم مجرد جميلة مقارنة به. تابع قائلًا:

- لديها شعر أحمر، وعينان خضراوان. إنها مذهلة.

نظرت ليلي إلى روس، إلى الوهج الذي ينبعث منه عندما يتحدث عن زوجته. كان هذا نفس شعورها عندما تتحدث عن كارل، كأنها مسحورة.

مد يده إلى جيب سترته الداخلي وأخرج محفظة.

- هاك، توجد صورة لها بالداخل، ألقي عليها نظرة.

تناولت منه المحفظة وفتحتها. ظهرت في الصورة امرأة جميلة ترتدي نظارة وتحمل رضيعة. أعادت إليه المحفظة وقالت:

- إنها جميلة جدًّا، أنت محظوظ للغاية.

بحثت داخل جيب معطفها عن المفاتيح التي وجدتها في خزانة الملفات الخاصة بكارل، والكرة النحاسية الصلبة المريحة. ثم عثرت أصابعها على لفافة الأوراق النقدية من فئة العشرين جنيهًا التي أحضرتها، تحسبًا في حال ما إذا احتاجت إلى حجز غرفة في فندق أو شراء تذكرة قطار للعودة إلى المنزل. كما حملت في حقيبتها ألبوم صور الزفاف لتريه لوالدة كارل، وبعض الصور لعائلتها في كييف. تمسكت بالأمل في أن تلين المرأة بمجرد وصول ليلي إلى عتبة بابها، وأنها ستدعوهما للدخول، وتصب لهما الشاي من إبريق، وتبدي اهتمامها.

قال روس:

- ماذا عنك؟ كيف تعرفت على كارل؟

- ألم يخبرك؟

- نعم، لم يخبرني إلا ما أحتاج إلى معرفته فحسب، كما هي الحال بشأن كل شيء.

ضحك وأضاف قائلًا:

- لقد عاد من أوكرانيا وأخبرني فحسب بأنه التقى إنسانة مميزة.

قصت عليه حكاية المؤتمر الذي عُقد في فبراير الماضي، وعن الوظيفة

الصغيرة التي عملت بها لمساعدة والدتها، وعن المرة الأولى التي رأته فيها ووقعت في حبه على الفور.

- متى طلب منك الزواج إذن؟ هل كان ذلك حينها؟

- لا. لا، لقد عاد بعد أسبوع.

لانت ملامحها وهي تتذكر الأمر.

- كان معه خاتم، وكانت أسعد لحظة في حياتي بأكملها.

- وكيف...؟

تردد، ثم تابع من جديد قائلًا:

- كيف هو؟ أتفهمين ما أعنيه؟ في الحياة اليومية العادية؟ أنا فقط... أجد صعوبة في تخيُّله في الحياة العائلية.

- إنه رائع في الحياة اليومية العادية، فهو يحضر لي شيئًا كل يوم: حلوى الشوكولاتة، أو وردة، أو دبوسًا للشعر. ويرسل إليَّ رسائل نصية تحوي كلمات حب. وعندما يعود إلى المنزل، يعتني بي، ويطهو لي الطعام، ويجهز لي الحمَّام ويحضر لي المناشف. إنه يعشقني.

نظر روس إلى المرآة الجانبية الخارجية ومرآة الرؤية الخلفية قبل الدخول إلى المسار الأوسط بالطريق، وقال:

- يا إلهي، هذا مدهش! لا أستطيع أن أتخيله.

قالت:

- لا أستطيع تفسير ذلك، فهو لا يشبه أي شيء مررت به من قبل. إنه أكثر من مجرد حب، إنه هوس.

- يمكن أن يكون ذلك... حسنًا، هناك جانب مظلم لهذا، أليس كذلك؟ أعني الهوس؟

- هناك جانب مظلم لكل شيء، يا روس.

ابتسم قائلًا:

- هاه! نعم، أظن أن هذا صحيح، أعتقد ذلك.

- أنا شخص ذو طبيعة مظلمة للغاية.
- أوه، لا أعتقد ذلك...
- لا، لأنك لا تعرفني، لكن هذا صحيح. طبيعتي مظلمة، لكن هذا لا يعني أنني لا أستطيع قضاء وقت ممتع. يمكنني الاستمتاع بوقتي كثيرًا، لكن عندما أكون وحدي، بمفردي، لا توجد أي بهجة.

أومأ روس برأسه، وأعاد السيارة إلى المسار السريع بالطريق، وقال:

- حسنًا، هذا مثير للاهتمام.

أجابت ليلي:

- نعم، إنه كذلك بالفعل.
- أعتقد أن كثيرًا من الناس في هذا البلد يقضون وقتًا طويلًا في القلق بشأن الظلام. جميعنا نريد أن نكون سعداء، ونشعر بالخوف إذا لم نكن كذلك.
- أنت تتمتع بطبيعة مبتهجة.
- نعم، أنا كذلك بالفعل، أو على الأقل أحاول أن أكون كذلك. لكن هذا لا يعني أنني لا أمر بلحظات من... التأمل الذاتي.
- هذه الكلمة... هل تعني النظر بداخلك؟
- نعم، أنظر بداخلي، وأتساءل عمن أكون، وعن سبب وجودي هنا. أتساءل عن كل شيء.

استوعبت ليلي الأمر، ثم أومأت برأسها، وقالت بعد لحظة:

- أعتقد أن كارل أيضًا يتمتع بطبيعة مظلمة للغاية.

هز روس رأسه بقوة وقال:

- نعم، أعتقد أنك على حق على الأرجح.

التفتت حينها لتنظر من خلال نافذتها، وبدا المشهد عبارة عن كتلة ضبابية من الحقول الخضراء والسماء الزرقاء، وانفجارات عرضية من حقول السلجم ذات اللون الذهبي. كانت هناك لافتة طريق خضراء ضخمة كُتب عليها «**الشمال**». فكرت في طبيعة كارل المظلمة، وفي اللحظات التي كان يلتزم فيها الصمت،

ويدفع يدها بعيدًا، أو يتجاهل إجابة سؤالها. تذكرت الليالي التي كان يتحدث فيها في أثناء نومه، ويتقلب بعنف من جانب إلى آخر وهو يصيح. وقد خنقها ذات مرة خلال نومه، حيث استيقظت لتجده فوقها، وعيناه لا تنظران إليها، وذراعاه مرفوعتان، ثم التفَّت يداه حول عنقها، وظل يضغط ويضغط، حتى امتلأت عيناها بالدموع، وأحست بالدم ينبض في صدغيها، فضربته بركبتها في عانته. ثم ظهرت الصدمة في عينيه عندما استيقظ ونظر إليها، وعبرت وجهه نظرة من الاشمئزاز حينما أدرك ما اقترفه، وارتخت يداه حول عنقها، ولمس وجهها بأصابعه وهو يئن قائلًا:

- أنا آسف، أنا آسف جدًّا، لقد كان كابوسًا، كنت أعاني كابوسًا.

ثم قبَّلها وعانقها ومارس معها الحب بحنان أكثر من أي وقت مضى.

في اليوم التالي، أهداها قلادة بها دلاية بسيطة مرصعة بالألماس.

لم تكن تعرف شيئًا عن طفولته، أو ماضيه، كما لا تعرف شيئًا عن ندوبه التي يعانيها، لكنها تعلم أنها موجودة.

كانت الشمس ساطعة عندما غادرا الطريق السريع باتجاه البلدة المُسمَّاة «خليج رايدنجهاوس». لكن السيارة كانت مريحة، والراديو مضبوطًا على بعض الأغاني اللطيفة، والتدفئة تنفث هواءً دافئًا. كانت صحبة روس ممتعة للغاية، وأحست ليلي بالارتياح معه، كأنها تستطيع إخباره بأي شيء. عند المنعطف التالي، لاحت البلدة في هيئة مجموعة من البيوت الصغيرة المائلة باتجاه البحر، والتي تناثرت في شكل حرف C، وبعض القوارب الصغيرة الطافية في الميناء المتلألئ. لكنهما ابتعدا عن البلدة، ونزلا عبر طريق معتم يختفي تحت غطاء من الأشجار المتمايلة التي التقت قممها الداكنة بالأعلى مشكِّلة ما يشبه الممر.

قال صوت السيدة من تطبيق خرائط جوجل: «بعد خمسين ياردة، جهة اليسار، ستصل إلى وجهتك».

انتاب ليلي شعور بالتوتر، وأمسكت كُمَّ روس قائلة:

- أنا خائفة.

أجاب:

- سيكون كل شيء على ما يرام، فعلى الأرجح لن يكون هناك أحد، ومن المحتمل أن نعود أدراجنا ونتوجه إلى المنزل مرة أخرى.

- هذا يخيفني أيضًا.

خرجا عن الطريق واضطرا إلى التوقف، نظرًا إلى وجود سلسلة صدئة عبر ممر السيارات. ترجلت ليلي من السيارة وفكت السلسلة، وسحبتها جانبًا، ثم تراجعت إلى الخلف لتسمح لروس بإدخال السيارة إلى الممر. لم ترَ مثل هذا المنزل الجميل من قبل. بُني بحجر ذي لون كريمي، أو ربما طُلي بهذا اللون، وزُين بغراغيل(*) وتماثيل نصفية جصية، وأعمدة مزخرفة، ومجموعة من الدرجات الحجرية المقوسة على شكل ابتسامة، تؤدي إلى باب خشبي أسود ضخم في وسطه مطرقة باب نحاسية ضخمة. وامتد البحر خلف المنزل، تحت سماء زرقاء زاهية ممتلئة بسحب ذهبية شاحبة.

توجهت ليلي إلى باب سيارة روس، وانتظرته حتى يخرج.

قالت:

- هذا المنزل جميل للغاية، لم أرَ منزلًا مثله من قبل.

أجاب روس وهو ينفض فتات الشطائر عن حجره ويمد ذراعيه:

- إنه على الطراز الجورجي، أو ربما النيو جورجي، لكنه يبدو مهملًا بعض الشيء.

تبعته نحو الباب الأمامي وقلبها ينبض بقوة، ويدها تقبض بإحكام على الحقيبة التي تحوي ألبوم الصور. لم يكن هناك أي أثر لكون المنزل مأهولًا، وبعد أن اقتربا منه تمكنت ليلي من رؤية حالة المنزل السيئة والمتهالكة، وكيف أن النوافذ

(*) غراغيل: مفردها «غرغول»، ويعني في فن العمارة ذلك المخلوق القبيح المنحوت المدمج به مزراب لتسريب مياه الأمطار بعيدًا عن سطح المبنى. (المترجمة).

والجدران ذات اللون الكريمي متسخة، وامتلأت أحواض الورد الموجودة بالخارج عند النوافذ الأمامية بالأعشاب الضارة والأوراق الذابلة.

لم يكن قصرًا من الحكايات الخيالية، لكنه كان لا يزال منزلًا جميلًا. عجزت عن تخيُّل سبب عدم رغبة كارل في إحضارها إلى هنا كي تشاركه هذا المكان.

ضغطت زر جرس الباب، فرنَّ كما تخيلته تمامًا، بصوت أنيق أشبه بقرع أنابيب نحاسية. لم يأتِ أحد، ولم تشتعل أي أضواء، ولم يأتِ أي صوت. ضغط روس الجرس مجددًا، ثم نظر إليها وعبس وضغطه مرة ثانية. استمرَّا في المحاولة لمدة خمس دقائق، حتى بدا لهما أنه لا يوجد أحد هناك، أو في حال وجود شخص بالفعل فإنه لا يريد فتح الباب. حينها وضعت ليلي يدها في جيبها، وأخرجت سلسلة المفاتيح.

قالت لروس وهي تمدها نحوه في راحة يدها:

– كانت هذه في خزانة الملفات الخاصة بكارل.

تناولها منها وتفحص المفاتيح، ثم نظر إلى ثقب المفتاح المحفور في الباب الخشبي الضخم وقال:

– هذا محتمل.

أخذ المفتاح غريب الشكل، الذي كانت ليلي تنوي أخذه لصانع المفاتيح عند المحطة غدًا، وأدخله في قفل الباب وأداره، فصدر صوت نقرة خفيفة عندما انفتح.

تبادلت ليلي وروس النظرات، ثم أومأت ليلي برأسها فدفع روس الباب.

٣٩

تركت أليس فرانك وشأنه في ذلك المساء، حيث توجه إلى السقيفة مباشرة عقب عودتهم من تناول الغداء، زاعمًا الشعور بالتعب. لكنها أدركت أنه يسعى إلى الانفراد بنفسه فحسب، والحصول على مساحة لتأمل الذكريات التي عاودته اليوم.

صعدت إلى غرفتها كي تتفقد والديها على جهاز الآيباد، فوجدتهما يجلسان متجاورين على أريكتهما الجميلة التي اشترياها من متجر جون لويس، يحدقان إلى التلفزيون. أدركت أن لا أحد منهما لديه أي فكرة عما يشاهدانه، وإذا اتصلت بهما الآن وسألتهما: ما الذي تفعلانه؟ فسيواجهان صعوبة في العثور على إجابة. لكن حتى في ضباب ذاكرتهما الآخذة في التلاشي، أمسك كلٌّ منهما يد الآخر. جلسا ويداهما متشابكتان بينهما. لم يكونا على دراية بمن يكون رئيس الوزراء، كما لم يكونا على دراية بأي يوم هو في الأسبوع، ولا حتى الشهر أو السنة. ولم يكن بوسعهما تذكر اسمَي ابنتيهما، وبالتأكيد لم يكن في استطاعتهما تذكر ما إذا تناولا الغداء اليوم، أو ما الذي سيتناولانه على العشاء الليلة. لم يكونا على دراية بأي شيء ذي أهمية على الإطلاق، لكنهما كانا يدركان أنهما يحبان بعضهما.

التفتت أليس لتتفحص فراشها. تشابكت أغطية الفراش في عقدة غريبة بعد الجماع، وبدت الملاءة مجعدة كتموجات الشاطئ بفعل المد والجزر. لم تستغرق

في تأمل ذكريات الليلة السابقة، وبدلًا من ذلك، انتزعت أغطية الفراش ولفتها في هيئة كرة كبيرة، تركتها على بسطة الدرج خارج غرفتها كي تأخذها لسلة الغسيل مباشرة. أخرجت مجموعة من أغطية الفراش النظيفة من الخزانة وأعادت ترتيب الفراش بسرعة وكفاءة. ثم تناولت من ركن الغرفة الوسائد المطرزة التي اشترتها منذ فترة طويلة لتزيين فراشها، لكنها لم تضعها على الفراش قَطُّ لأنها لم تشعر بالرغبة في وضعها وإزالتها مرارًا وتكرارًا، علاوة على أنها لم تكن في الواقع من ذلك النوع من الناس الذين يفضلون تزيين الفراش بالوسائد. رتبت الوسائد الجميلة في صف واحد مقابل وسائد الفراش المنتفخة، وسوت اللحاف، ثم تأملت المنظر. بدا لطيفًا، ولم يبدُ كأنه فراش ملائم لممارسة الجنس الحار الذي من شأنه أن يغير حياتها بأكملها، مع غريب قد يكون قاتلًا محتملًا. بدا كفراش امرأة عزباء، كمكان ملائم لقراءة الروايات، وطمأنة الأولاد، والتحدث إلى الكلاب كأنها تفهم ما يقال.

سمعت صوت والديها وهما يتحدثان، آتيًا من شاشة جهاز الآيباد.

قال والدها لأمها:

- أحبك.

فقالت أمها لأبيها:

- أنا أيضًا أحبك.

ثم أضافت:

- أتساءل ما إذا كنا سنتناول أي غداء اليوم؟

استلقى فرانك على ظهره، ويداه معقودتان فوق بطنه، وعيناه تتأملان تفاصيل السقف الخشبي فوق رأسه: شباك العناكب، وعقد الخشب وتجزيعاته، والأفاريز والفواصل. بدأ عقله يصفو، وكل شيء يتضح بسرعة. استطاع الآن تذكر المكان الذي يعيش فيه: كانت شقة في منزل كبير، يصل إليها بعد نزول بضعة سلالم، والمرور من خلال باب، ثم نزول بضعة سلالم أخرى. كانت غرفة المعيشة عند

المدخل، وغرفة النوم جهة اليمين، وممر جهة اليسار يؤدي إلى مطبخ وحمَّام. وقد طُليت الجدران باللون الأصفر، وتكومت أحذيته بجانب الباب الأمامي. كان يمتلك حذاءً رياضيًّا، وحذاءً للمشي، وحذاء كرة قدم بألوان زاهية، وعدة أزواج من الأحذية الجلدية ذات الأربطة، معظمها باللون البني، ومعاطفه معلقة فوقها. كما كانت هناك سلة تحوي مظلة، وطاولة عليها بعض المفاتيح. وكانت الأرضية من ألواح الخشب الصناعي باللون المشمشي الباهت، وغرفة المعيشة مربعة الشكل، غير مرتبة، بها أريكة ضخمة متهالكة ذات لون كريمي - اعتقد أنه ربما يكون قد حصل عليها من والدته - وطاولة قهوة طويلة رفيعة مغطاة بأوراق وأكواب فارغة. وكانت هناك نافذتان متحركتان تطلان على جدار وبعض من أثاث الحدائق البلاستيكي الأبيض، ورقعة ممتدة من العشب الأخضر.

ظل يفتش ذهنه ويبحث في هذا المكان الذي تذكره حديثًا عن علامات تشير إلى وجود عائلة أو امرأة، لكنه لم يجد شيئًا. أراد أن يهرع إلى الطابق العلوي ويقول لأليس: لا توجد امرأة! أعيش بمفردي! لكن كان هناك الكثير مما يحتاج إلى معرفته قبل أن يؤكد لها أي شيء.

استطاع أن يتذكر وظيفته: كان يعمل في مدرسة، ويقوم بتدريس الطلاب الذين تتراوح أعمارهم بين الثالثة عشرة والرابعة عشرة. فتش في ذهنه بين وجوه الأولاد الجالسين في صفوف أمامه، باحثًا عن الفتاة المدعوة «كيرستي». لم يستطع العثور على وجهها، لكنه تمكن من رؤية كتاب على مكتبه، وما هو مكتوب على السبورة خلفه، وبدا أنه مدرس رياضيات، وهو الأمر الذي وجده مروعًا إلى حد ما.

لم يشعر بأنه مدرس رياضيات عندما كان في الفراش مع أليس الليلة الماضية. أحس الليلة الماضية أنه يمكن أن يكون أي شيء، وأي شخص، كان على طبيعته ومفعمًا بالحيوية، متجردًا من كل شيء سوى جوهر نفسه. أحب نفسه في الفراش مع أليس، لكن الآن، مع كل ذكرى تعاوده، شعر بالضآلة أكثر فأكثر: كان مجرد مدرس رياضيات، يعيش بمفرده في شقة حقيرة.

سمع موسيقى قادمة من نافذة غرفة نوم جازمين المطلة على الفناء، وسمع نباح أحد الكلاب، وضوضاء شخص ما يطهو في المطبخ. بدا من المغري للغاية اختيار عدم التذكر، وإيقاف تلك العملية في التو والحال، والتسلل إلى فراش أليس مجددًا ليعود فرانك الغامض المصاب بفقدان الذاكرة، المحتاج إلى الأبد، ولا يكتشف عن نفسه أبدًا أي شيء آخر مخيب للآمال.

نزل من الفراش وفتح باب السقيفة. وقف مرتديًا جوربيه فحسب وضرب هواء المساء البارد بشرته. رفع نظره إلى نافذة جازمين، وبينما هو يطالعها ظهرت هناك محاطة بإطار النافذة، وبشرتها شاحبة كالشبح، على نحو مباين لعينيها وشعرها وشفتيها. حدقت إليه للحظة، ثم رفعت يدها ولوحت له قبل أن تبتعد وتغلق ستائرها خلفها.

استدار فرانك وعاد إلى السقيفة، وهو يفكر قائلًا لنفسه: لا، أنا لا أنتمي إلى هنا، ولا يمكنني البقاء هنا مهما تمنيت ذلك. هذا ليس من الإنصاف في شيء بالنسبة إلى أليس، ولا إلى أولادها. ستوضح لي الشرطة من أكون، وبعد ذلك يمكننا تولي الأمور انطلاقًا من تلك النقطة. انهار على الفراش مرة أخرى بتثاقل، وأحس بغصة مؤلمة في حلقه عند التفكير في الرحيل، عند التفكير في فقدان أليس. وفجأة، تراءت له في مخيلته قطة برتقالية. قطة برتقالية اسمها... بريندا. رأى وعاءً بنيًّا صغيرًا على أرضية المطبخ، مغطى ببقايا الطعام الجافة، ورأى قطة متكورة فوق الأريكة المتسخة ذات اللون الكريمي. أدرك بشيء من الدهشة أنها قطته. لماذا أطلق على قطته اسم بريندا؟ ثم اجتاحته موجة من القلق: من يتولى إطعام قطته؟ ومن يعتني بها؟

جعله هذا، أكثر من أي شيء آخر، يحسم قراره. لقد انتهى الأمر، وسيعرف كل شيء غدًا.

٤٠

١٩٩٣

حبس مارك كيرستي وجراي في غرفة ضيوف في مكان ما بالقرب من الطابق العلوي بالمنزل، حيث كانت الأسقف منخفضة، والأثاث رثًّا ومتهالكًا. كان لا يزال بوسعهما سماع الموسيقى من مكانهما ذاك، فقد تردد صداها من خلال باطن أقدامهما، وجعلت زجاج النوافذ غير المناسب يرتجف ويهتز. وكان الصوت عاليًا جدًّا، إلى درجة أن مارك تمكن من إجبارهما على صعود طابقين من السلالم من دون أن يسمعهما أحد. جلست كيرستي متكومة فوق الفراش، فيما أخذ جراي يركل الباب محاولًا كسره، لكنه كان على الطراز الفيكتوري، متين الصنع، ولم يكن لركلات جراي أي تأثير. توجه إلى النافذة وحاول فتحها بيده اليسرى، لكنها كانت مغلقة أيضًا، فضرب الزجاج بقبضته على أمل أن يكون هناك أحد في الحديقة.

شرعت كيرستي في البكاء.

انضم إليها جراي على الفراش وقال:

- اسمعي، لقد شارف الوقت منتصف الليل. هل تذكرين ما قاله أبي؟ قال إنه إذا لم نعُد إلى المنزل بحلول منتصف الليل، فسوف يأتي إلى هنا لإحراجنا. أليس كذلك؟ إذن سيصل إلى هنا قريبًا، حسنًا؟ اتفقنا.

أومأت برأسها ومسحت أنفها وقالت:

- لكن مارك سيقول إننا لسنا موجودين فحسب، سيدعي أننا رحلنا.

- حسنًا، إذن، سيذهب أبي ويحاول العثور علينا. وعندما لا يستطيع العثور علينا سيعود إلى هنا. حسنًا؟

- لكن ماذا لو فات الأوان يا جراي؟

التفت جراي وابتسم لكيرستي:

- لن يؤذينا يا كيرست، سأمنعه من ذلك.

- لكن انظر إلى معصمك! لقد آذانا بالفعل!

ألقى جراي نظرة على معصمه، الذي تدلى من ذراعه في زاوية مروعة.

- لقد فاجأنا حينها، لكننا مستعدان له الآن، حسنًا؟ نحن نعلم ما هو قادر عليه الآن، وسنكون مستعدين لمواجهته.

نهض من الفراش، وبدأ يفتح أدراج طاولات الفراش الجانبية، ثم التفت إلى كيرستي قائلًا:

- هيَّا! اذهبي وتفقدي خزانة الملابس. لا بد أن تكون هناك أشياء في هذه الغرفة يمكننا استخدامها.

- أي نوع من الأشياء؟

- أي شيء! أدوات خياطة، فرشاة أسنان، بطانية قديمة. لنخرج كل شيء، ثم نرى كيف يمكننا استغلاله.

تصبب العرق من جبين جراي إلى عينيه، حيث خفف الأدرينالين المتدفق في جسده من ألم معصمه المكسور، لكن على الرغم من ذلك كان جسده لا يزال في حالة من الصدمة. شهق بدهشة عندما وجد أن أول شيء عثر عليه في الدرج العلوي كان علبة من أقراص «أنادين» المسكنة، انتهت صلاحيتها عام ١٩٩٠، لكنه لم يكترث. وضع أربعة أقراص في فمه، وابتلعها من دون ماء. كما وجد في نفس الدرج أيضًا كتيبًا سياحيًّا للمنطقة المحلية يعود إلى أغسطس ١٩٨٨، وبعض تذاكر القطار القديمة، وملصقين من مغسلة التنظيف الجاف لا يزالان

متصلين بدبابيس الأمان. أخرج الدبوسين ووضعهما بعناية فوق الطاولة الجانبية، ثم فتح الدرج التالي.

وجد بداخله بعض أقراص «ديورالايت» لمعالجة الجفاف، ومجموعة من بطاقات اللعب، وبعض المناديل المستعملة، وعبوة نصف فارغة من مستحضر تنظيف «هاندي آندي»، وكتيبًا دعائيًّا عن قصر سليدمير، وفي زاوية في مؤخرة الدرج، كان هناك حزام جلدي رفيع من النوع الذي يناسب فساتين النساء، ملفوف في شكل دائرة.

وضعه فوق الطاولة مع الدبوسين، ثم توجه إلى الطاولة الجانبية على الجهة الأخرى من الفراش.

وجد هناك أشياء متفرقة أخرى تركها الضيوف الفوضويون: سدادات الأذن، والبطاريات القديمة، ومجلة كلمات متقاطعة، ورباط شعر مطاطي، وقناع عينين من شركة طيران «فيرجن أتلانتيك»، وبعض أغلفة الحلوى المغضنة. تنهد وعبَّر عن انزعاجه.

سأل شقيقته:

- ماذا وجدت؟

قالت:

- شماعات معدنية، الكثير منها.

همس وهو يكز على أسنانه، منتظرًا أن تبدأ الأقراص المسكنة في إحداث مفعول:

- ممتاز، ماذا أيضًا؟

- بنطال رجالي قديم قذر، وبطانيات، ومجفف شعر، وبعض كرات النفتالين، وسخان كهربائي، وبعض القبعات.

بدأ يخرج الشماعات المعدنية من الخزانة.

- حسنًا، أعتقد أننا نستطيع إصابته بشدة بهذه. عليك كسر الخطافات، اثنيها إلى الأمام وإلى الخلف، نعم، هكذا، حتى تنكسر. ممتاز. والآن ضعي

اثنين منها في جيبيك، ويمكنك استخدامهما لقلع عينيه. يمكن أن تجعلي الخطاف التالي أطول بعض الشيء، نعم هكذا، رائع.

تلفت حوله في أرجاء الغرفة مرة أخرى، فوجد كرسيًّا خشبيًّا صغيرًا في الزاوية. حاول رفعه بيد واحدة، لكنه كان أثقل من أن يضرب به رأس شخص بيده اليسرى فقط. ثم لاحظ وجود مصباح مكتب فوق إحدى طاولات الفراش الجانبية، كانت له قاعدة صلبة، ثقيلة بما يكفي بكل تأكيد للتسبب في ارتجاج في المخ. بدأت خطته تتبلور. طلب من كيرستي الإمساك بالمصباح حتى ينتزع منه السلك، ثم حرك الكرسي نحو الباب. همس إلى شقيقته بسرعة وهو يمسح العرق عن جبينه بظهر يده:

- ستقفين هنا ومعك هذه.

ناولها بطانية مطوية وتابع:

- عندما يدخل، أسقطيها على رأسه، وسأتولى الباقي، حسنًا؟

أومأت كيرستي، ثم هزت رأسها مرة أخرى، وقالت:

- لكن ماذا لو لم أنجح في ذلك؟ ماذا لو فشل الأمر؟

- لا يمكن أن يفشل، وإذا حدث ذلك، فسأكون هنا ومعي هذا...

أشار نحو المصباح، ثم أشار نحو السلك المخلوع من المصباح والحزام البلاستيكي وتابع:

- وهذا أيضًا. وفي أسوأ الأحوال، انزلي من فوق الكرسي فحسب واضربيه به، ثم استخدمي الخطافات المعدنية لإصابته. استخدمي أي شيء وكل شيء فحسب، اتفقنا؟ أهم شيء هو أن نخرج من هذه الغرفة. بمجرد خروجنا يمكننا الحصول على المساعدة، لذا علينا أن نقاتل كالوحوش يا كيرستي، حسنًا؟ كالوحوش.

أومأت برأسها بتردد، فأخذها بين ذراعيه واحتضنها بقوة وقال:

- أحبك يا كيرست، مهما حدث، أريدك أن تعلمي ذلك. أنت أفضل أخت يمكن للمرء أن يتمناها، وأنا فخور بك للغاية، وأحبك.

قربت وجهها من صدره، فأسند ذقنه أعلى رأسها وحدق إلى السقف بالأعلى. لم يكن للأقراص المسكنة أي مفعول، وصرخ فيه معصمه كأن ألف صدمة كهربائية تنتشر خلال ذراعه. أراد الاستلقاء والبكاء، لكنه كان بحاجة إلى البقاء متيقظًا. كان بحاجة إلى الحفاظ على سلامة أخته.

سمعا صوتًا عند الباب، فابتعدا عن بعضهما. صعدت كيرستي فوق الكرسي وفردت البطانية، ووقف جراي جانبًا حاملًا المصباح بإحكام في يده اليسرى، وقد اختفى الألم فجأة في يده اليمنى.

٤١

خطت ليلي ببطء وحذر عبر الردهة المبلطة.

- مرحبًا! مرحبًا! مرحبًا، هل يوجد أحد هنا؟

تبعها روس، وفتش الجدران بحثًا عن مفاتيح الإضاءة. وجد واحدًا، وعندما حركه أضاءت ثريا بلورية بالأعلى ببطء، كاشفة عن شبكة سميكة من أنسجة العنكبوت المتربة.

تلفتت ليلي حولها قائلة:

- رائع!

بدا منزلًا فخمًا، مثل المباني الفخمة في وسط كييف: البنوك وشركات التأمين. توزعت الأبواب عند أربع نقاط في الردهة الرئيسية، أبواب مزدوجة جهة اليمين واليسار، ثم أبواب أصغر خلف الدرج. وكانت هناك قبة زجاجية بالأعلى، رأت من خلالها السحب الذهبية اللامعة. عبق الهواء برائحة مكتومة عفنة، لكنه لم يكن رطبًا. اتجهت يمينًا، ودخلت من الباب المزدوج هناك، فقادها إلى غرفة معيشة ضخمة، ممتلئة بالأثاث الأنيق المتهالك وصناديق نصف ممتلئة من الورق المقوى. وكان هناك باب في الطرف الآخر يؤدي إلى غرفة انتظار، بها مزهرية من الزهور المجففة المغبرة على حافة النافذة، وكرسي مخملي أكلته العثة. مرَّا عبر

تلك الغرفة بهدوء وتوتر، حتى وصلا إلى غرفة رائعة مبنية بالكامل من الزجاج والحديد المزخرف، وممتلئة بأشجار النخيل اليابسة والصخور المتربة، وأشجار فيكس المطاط الميتة، والشجيرات الذابلة، وعبقت برائحة الأرض والعفن. لكن في الطرف الآخر، كانت هناك مجموعة من الأثاث الجميل المصنوع من الخيزران، وطاولة قهوة ذات سطح زجاجي، ومصابيح ذات أغطية ممزقة، مما يوحي بأن هذه كانت ذات يوم غرفة جميلة للجلوس والاستمتاع بالخضرة.

قادهما الباب الكائن جهة اليسار إلى مطبخ طويل وضيق به خمس نوافذ تطل على الحديقة المزروعة بالعشب. كان مزينًا على طراز السبعينيات، به أسطح طاولات من الفورميكا بلون الصدأ، وأبواب من خشب الصنوبر، ومصابيح بلاستيكية برتقالية اللون معلقة على مستوى منخفض، وكراسي بار بلاستيكية عند طاولة الإفطار. وكان كل شيء مغطى بطبقة رقيقة من الشحم والغبار.

وجدا نفسيهما عائدين إلى الردهة، واستكشفا الغرف الكائنة على الجانب الآخر من المنزل. كانت هناك غرفة طعام كبيرة، وغرفة أصغر بها كراسي جلدية أنيقة وبار مدمج في إحدى الزوايا، وحمَّام به حوض من الخزف المطلي وصهريج مرحاض بسلسلة مثبت في أعلى الجدار.

عندما خرجا مرة أخرى إلى الردهة، قال روس:

- حسنًا، أنا متأكد تمامًا من عدم وجود أحد يعيش هنا.

أجابت ليلي:

- لكن تلك المرأة! لقد ردت على الهاتف!

- هذا صحيح، لكن حقًّا، انظري إلى هذا المكان، كما ترين، إنه يبدو مهجورًا.

قالت:

- هيَّا، لنصعد إلى الطابق العلوي.

أمسكت الدرابزين المصنوع من خشب الماهوجني، ونظرت إلى الأعلى. بدا كسلم من أحد الأفلام الأمريكية القديمة، يرتفع نحو الأعلى في منحنيين كبيرين باتجاه القبة الزجاجية. كان الطابق الأول يؤدي إلى أربع غرف نوم كبيرة،

بينما يؤدي الطابق الثاني إلى غرفتَي علية. انفتح كل باب بمجرد لمسه، وكانت كل الغرف خالية. ومع ذلك، وجدا بابًا مغلقًا في الطابق العلوي. تبادل روس وليلي النظرات، وحاول روس فتح المقبض بعد ليلي، لكنه اهتز في مكانه من دون أن ينفتح.

صاحت ليلي من خلال الباب:

- مرحبًا! مرحبًا! سيدتي! أنا ليلي! تحدثنا سابقًا على الهاتف. سيدتي؟ هل أنت هنا؟ مرحبًا؟

ألصقت أذنها بالباب، لكن ساد صمت تام على الجانب الآخر.

التفتت إلى روس وقالت:

- اركل الباب وحطمه.

- ماذا!

- اركل الباب وحطمه، من فضلك.

- لا أستطيع فعل ذلك يا ليلي. هذه جريمة إتلاف، ويمكن أن يُلقى القبض عليَّ، وقد...

أبعدته ليلي وألقت نفسها على الباب.

- ليلي!

حاول منعها، لكنها دفعته بعيدًا عنها.

بدا الباب صلبًا، لكن ليس منيعًا. ألقت نفسها عليه مرارًا وتكرارًا، وأحست بالكدمات تتشكَّل على وركها. ثم استخدمت قدميها، وسددت الركلات مرة تلو الأخرى، وأحست بالارتجاج ينتقل من باطن قدميها إلى مفاصل ركبتيها.

- ليلي! حقًّا! لا يمكنك فعل هذا!

التفتت إلى روس بغضب وقالت بحدة:

- بل يمكنني فعل هذا! قد يكون زوجي بالداخل، أو قد يكون أي شخص بالداخل. لقد سافرنا بالسيارة لمدة خمس ساعات للوصول إلى هنا، ولن أغادر حتى ندخل هذه الغرفة، حسنًا؟

شرعت تركل الباب مجددًا، ثم انضم روس إلى جانبها.

قال:

- هيَّا إذن، عند العد إلى ثلاثة... واحد... اثنان... ثلاثة.

ركلا الباب في نفس الوقت، مرة، مرتين، ثلاث مرات، حتى سمعا أخيرًا فجأة صوت تحطم الخشب، فعاودا الركل حتى تخلخل الباب، ثم ركلا ثانية حتى انفتح.

مد روس يده إلى مفتاح الإضاءة فحركه، ودخلا الغرفة.

٤٢

ظهر وجه فرانك في النافذة الخلفية لمنزل أليس نحو الساعة السادسة، وقد أصبح الجو باردًا فجأة، وخرجت أنفاسه في سحب ضبابية.

قال وهو يفرك يديه معًا:

- الجو بارد نوعًا ما، أليس كذلك؟

قالت أليس:

- تعالَ أمام المدفأة. سأحضر لك شيئًا تشربه، ماذا تريد؟ شايًا؟ نبيذًا؟

- في الواقع...

توقف عن الحديث ونظر إلى قدميه، ثم واصل قائلًا:

- لم آتِ لإزعاجك - أعلم أنك مشغولة جدًّا الآن - لكنني جئت لتقديم الاعتذار فحسب، بشأن حالتي سابقًا، حيث أشعر بأنني كنت كئيبًا بعض الشيء، ولم أشكرك بشكل لائق على ذلك الغداء الرائع. كان ذلك لطفًا بالغًا منك. وقد صنعت لكِ هذا...

ناولها قطعة من الورق المقوى بحجم بطاقة بريدية.

تأملت البطاقة، ثم رفعت نظرها إليه، وعادت لتطالع البطاقة مرة أخرى.

- هل صنعت هذه بنفسك؟

أومأ برأسه وبدا عليه الحرج بعض الشيء، وقال:
- اتضح أنني أستطيع الرسم نوعًا ما.
قالت أليس:
- رائع! يا إلهي، هذا جميل جدًّا.
كانت البطاقة عبارة عن رسم صغير بالقلم الرصاص للكلاب الثلاثة على الشاطئ، كُتبت تحتها بخط أنيق عبارة «**شكرًا لك**»، وقد استخدم ألوان الباستيل الباهتة لتلوين البحر في الخلفية، وأنوار الزينة المعلقة في المقدمة.
- آمل ألا يكون لديك مانع، لأنني استخدمت بعض أدواتك الفنية التي وجدتها في أحد الأدراج.
- لا، يا إلهي، لا، بالطبع لا أمانع. أعني، يا إلهي! فرانك، أنت موهوب حقًّا. هذا جميل جدًّا.
- بدا الأمر أغرب ما يكون يا أليس. أردت بشدة أن أقدم لك شيئًا ما، لكن ليس لديَّ ما أهديك إياه، وقد لا أراك مرة أخرى بعد غدٍ، وخشيت ألا أحظى بالفرصة لسداد ما أدين لك به، ثم رأيت درجك وشعرت برغبة عارمة في رسم شيء ما، لذلك جلست وبدا أن يدَي تعرفان بالضبط أي قلم رصاص يجب استخدامه، وكيفية استخدام الباستيل، وظهرت الكلاب فجأة على الورقة. أنا أستطيع الرسم!
قالت أليس:
- أنت تستطيع الرسم فعلًا يا فرانك، تستطيع ذلك حقًّا.
- أعلم ذلك، ويبدو الأمر مفارقة ساخرة في الواقع، لأنه قبل حدوث هذا مباشرة تذكرت طبيعة وظيفتي.
أشار نحو البطاقة الجميلة، وتابع:
- وفي الواقع لا يمكن أن تكون أكثر بعدًا عن هذا.
حبست أنفاسها وسألته:
- ماذا؟ ما وظيفتك؟

- خمني.
- أنت محاسب.
- لا، لكنك لم تبعدي كثيرًا، فأنا مدرس رياضيات.
صاحت أليس:
- هاه! حقًّا؟
- نعم، في مدرسة إعدادية.
- يا إلهي، أين؟ أعني، هل يمكنك أن تتذكر اسم المدرسة؟
- لم أستطع تذكر الاسم، لكنني تذكرت الزي المدرسي: سترات سوداء، مع كنزات سوداء مزينة بحواف حمراء، وربطة عنق مخططة باللونين الأسود والأحمر، وشارة عليها قلعة من نوع ما، أو برج.
ابتسمت أليس وقالت:
- هل تدري، يمكنني تخيُّلك في الواقع، يمكنني ذلك حقًّا.
ثم ضحكت وأضافت:
- ولو علمنا هذا في وقت سابق، لكان بإمكانك مكافأة حسن ضيافتي من خلال إعطاء كاي دروسًا خصوصية.
قال بنبرة مبتهجة:
- ما زلت أستطيع ذلك! يمكنني أن أبدأ معه الآن!
ضحكت أليس مرة أخرى.
- أعتقد أن هذا قد لا يلقى استحسانًا كبيرًا كاقتراح لتمضية مساء الأحد، لكن إذا عدت من مركز الشرطة غدًا، فسأقبل عرضك بالتأكيد.
أومأ فرانك برأسه ثم تنهد.
- هناك المزيد يا أليس.
عضت وجنتيها من الداخل، وانتظرت تصريحًا مروعًا حول الأطفال والزوجات.
- أنا متأكد تمامًا من أنني أعزب.

اندهشت ورفعت إليه نظرها.

- هل تعني...؟

- أعني أنني تذكرت المكان الذي أعيش فيه. رأيت شقتي من الداخل، وكل أغراضي، ولم يكن هناك أي أثر لامرأة. بل مجرد قطة، اسمها بريندا.

أحست أليس بقلبها يزدهر ويتفتح. هذا الرجل، هذا الغريب المذهل، هذا الشخص الذي جعلها تشعر بأشياء اعتقدت أنها لن تحسها مرة أخرى، هو مدرس رياضيات أعزب يمتلك قطة. ضحكت بصوت عالٍ.

- بريندا؟

- أعلم! بريندا! يا لي من مهرج!

عقدت ذراعيها وابتسمت قائلة:

- نعم، يا لك من مهرج يا فرانك!

- والآن أشعر بالقلق عليها بالطبع.

- بشأن بريندا؟

- نعم، فأنا أعيش وحدي، ولا بد أنها جائعة.

قالت:

- أوه، القطط واسعة الحيلة، ولديها القدرة على التكيف. ستجد شخصًا يطعمها.

- هل تعتقدين ذلك؟

غلب على وجهه التأثر بالقلق، إلى درجة أن أليس لم تستطع منع نفسها من إلقاء ذراعيها حوله ومعانقته، وقالت في أذنه:

- لا تقلق بشأن بريندا، إذا جرى حبسك غدًا، فسأذهب شخصيًّا لآخذها من شقتك وأعيدها إلى هنا لتعيش معي. حسنًا؟

- قطة قاتل؟ هل أنتِ متأكدة؟

أجابت بسخرية:

- كما تعلم، ليست لديَّ مشكلة مع الحيوانات الأليفة التي يمتلكها المجرمون.

تراجع مبتعدًا عنها، وتأملها بودٍّ، وعيناه تتفحصان كل تفاصيلها، فأحست بنفسها مفعمة بالعاطفة والحيوية. قال:

- أنتِ مذهلة.

أجابت:

- أنا لست مذهلة، حقًّا، صدقني، يمكنك سؤال أي شخص، أنا حمقاء.

- كيف يمكنك قول ذلك؟

- لأنني كذلك بالفعل، فلتنظر إليَّ فحسب، وانظر إلى هذا المنزل، إنه فوضوي تمامًا، وهل تعلم...

توقفت عن الحديث، وإحدى قدميها تحوم على حافة هاوية المحادثة، ثم تابعت:

- هل تعلم أنني تلقيت زيارة من موظفي الخدمات الاجتماعية، مرتين؟

نظر إليها غير مصدق.

واصلت الحديث قائلة:

- هذا صحيح، حدث ذلك مرة في لندن بسبب كاي وجازمين. قررت إحدى الأمهات المتطفلات في المدرسة أنني لا أعمل على تنشئتهما كما يجب، نظرًا إلى وجود أشخاص في منزلي ربما لم يكن ينبغي وجودهم هناك، ولأنهما كانا يتأخران عن المدرسة في أغلب الصباحات، ولعجزي عن النهوض من الفراش في الوقت المناسب، حيث كنت مكتئبة للغاية، ولأنه لم يكن لديَّ طعام في المنزل في بعض الأحيان، فكنت أرسلهما إلى المدرسة بوجبات غير ملائمة. بسبب كل ذلك، وكان كل ذلك صحيحًا، كنت أمًّا سيئة. لقد أحببتهما، لكن لم تكن لديَّ أدنى فكرة عن كيفية العناية بهما. كان ذلك بمثابة جرس إنذار حقيقي، غيَّر كل شيء. ذهبت إلى الطبيب ووصف لي عقار البروزاك، وتخلصت من الأصدقاء الحمقى، واحتفظت بالطيبين منهم، ورتبت الشقة، فسُمح لي بالاحتفاظ بهما، لكنني كدت أفقدهما. وكان ذلك...

رمشت ببطء وازدردت ريقها.

- كان ذلك أسوأ وقت في حياتي بأكملها، لكننا تجاوزناه. وبعد ذلك، لأنني ذكية للغاية كما تعلم، حملت مرة أخرى من رجل لم تكن أي امرأة ثانية لتقترب منه. كان مختلًّا عقليًّا، لذا كان الأمر فظيعًا للغاية. فبمجرد أن تمكنت من ترتيب شتات أموري، وجدت نفسي فجأة أعاني اكتئاب ما بعد الولادة، ولديَّ رضيعة حديثة الولادة، ورجل أحمق مسيطر يحاول التحكم في ولدَي، ويحاول أن يملي عليَّ تصرفاتي، وأن يتحكم في أفكاري وفيما أرتديه.

توقفت عن الحديث، وسحبت شعرها إلى الخلف بعيدًا عن وجهها، ثم تابعت:

- لذا، نعم... هربنا، ولم أخبر والد رومين إلى أين كنا ذاهبين.

أشارت إلى الكوخ حولها وقالت:

- فعلت كل هذا سرًّا. انتظرت حتى دخل المستشفى بسبب تليف الكبد، لأنه... أوه، نعم، نسيت أن أذكر الأمر، أليس كذلك؟ كان مدمنًا للكحوليات.

ضحكت بسخرية.

- توقف عن تناول الشراب لفترة كافية كي يحصل على الحق في رؤية رومين بين الحين والآخر، ثم اختطفها. كان الأمر...

ارتجف صوتها وغص حلقها بالدموع.

- كان الأمر بمنزلة كابوس. بعد ذلك، حمدًا للرب، ذهب إلى أستراليا حيث أنجب طفلًا من امرأة أخرى واستقرت الأمور لفترة من الوقت. ثم يا لسعادتي! قررت معلمة رومين في الحضانة أن رومين تعاني الإهمال.

- ماذا!

- نعم، لأنني لم أجد الوقت لتمشيط شعرها في الصباح، ودائمًا ما كان قميصها ملطخًا بالبقع، ودائمًا ما كنت أتأخر في اصطحابها من المدرسة. كما كانت كثيرة البكاء، وتتبول لاإراديًّا. أوه، ولأنها تحدثت ذات مرة، مرة

واحدة، عن فيلم رعب شاهدته بالمصادفة في المنزل عندما كنت بالخارج ولم يلحظ كاي وجودها في الغرفة. ولأنني...

تنهدت ثم تابعت الحديث:

- لأنني لم أُعِرها ما يكفي من الانتباه، لأنني أم سيئة. ولا، لم يُتخذ أي إجراء ضدي على الإطلاق. عندما أتوا إلى هنا، أخبرتهم بقصة اختطافها. هل تعلم أنه أبقاها في غرفة فندق لمدة أسبوعين تقريبًا؟ أسبوعين! كما قضت نصف الوقت تقريبًا بمفردها، وكانت بالكاد تبلغ من العمر ثلاث سنوات. يا للوغد اللعين! انتابني غضب عارم تجاه المَدرسة، وتلك المعلمة اللعينة المتجهمة بصليبها اللعين الصغير اللامع حول عنقها، التي لا تعرف شيئًاعن أي شيء، ولم أعد أستطيع المرور عبر بوابات المدرسة من دون الاشتباك في شجار مع شخص ما. صرت مثالًا لذلك النوع من الأمهات، كما تعلم: تلك الأم المخيفة التي يتعين على الجميع عقد اجتماعات بشأنها. كان ذلك...

توقفت عن الحديث وفركت وجهها.

- كان ذلك أسوأ وقت، أسوأ وقت على الإطلاق من بين جميع الأوقات السيئة. أردت بيع الكوخ فحسب، والانتقال إلى مكان آخر، ربما جزر هبريدس الخارجية، والابتعاد قدر الإمكان عن كل شيء وكل شخص. حينها تدخلت ديري، وقلبت كل شيء لصالحي. تولت تنسيق الأمور مع المدرسة نيابة عني، وساعدتني في تشخيص حالة عسر القراءة التي تعانيها رومين، وكانت تصطحبها من المدرسة في حالة تأخري. يا إلهي، كنت سأموت من دونها. حقًّا كنت سأموت.

طوال ذلك المونولوج، ظل فرانك يحدق إليها بثبات.

قال:

- ما زلت أعتقد أنك مذهلة.

- لكنني لم أخبرك بعد بشأن علاقتي مع باري.

- باري؟

- نعم، هل تذكر ذلك المستأجر المشبوه الذي سرق الشوكولاتة وأعطاها لأولادي؟ الشخص الذي ترك لي كلبًا من فصيلة ستافوردشير يزن نحو أربعين كيلوجرامًا، وإيجار شهرين غير مدفوع؟ صاحب السترة التي أعطيتك إياها على الشاطئ؟

أومأ برأسه.

- أجل، ذلك الشخص، لقد نمت معه. كان مثيرًا للاشمئزاز من الناحية الجسدية، لكنني فعلت ذلك على أي حال، لأنني حمقاء حقًّا. لطالما كنت حمقاء، وسأظل حمقاء على الدوام.

قال متفكرًا:

- أين موقعي أنا إذن وسط هذه القائمة الطويلة من الحماقات؟

- أوه، أنت تحتل مكانة عالية جدًّا على ما أعتقد، نعم، عالية للغاية. نعم، تخيل كيف سيسير هذا الأمر مع موظفي الخدمات الاجتماعية، والأمهات في المدرسة: رجل لا يتذكر شيئًا إلا أنه يعتقد أنه ربما قتل شخصًا ما، ويعيش في الفناء الخلفي لمنزلي. أوه، نعم، وفي فراشي أيضًا.

هزت رأسها في يأس، ثم ابتسمت بسخرية وقالت:

- لكنك لست متزوجًا على الأقل، أليس كذلك؟ فهذا من شأنه أن يكون كحبة الكرز التي تزين قمة كومة القذارة بأكملها.

وضع فرانك يديه على كتفَي أليس ونظر في عينيها بثبات، فأحست كأنها جرح مفتوح. كان بوسعها أن تخبره بالمزيد: كل العلاقات العابرة، وعطلات نهاية الأسبوع الضائعة، والإهمال في رعاية أولادها. كانت لا تزال تحاول تحسين نفسها، لكن هذا يكفي الآن. ها قد أوضحت له أهم التفاصيل العامة التي تخصها، حيث لم تشأ أن تودعه غدًا وتتركه وهو يحمل صورة ذهبية مثالية متخيلة عنها. إن رعاية الكلاب الضالة لا تجعل المرء قديسًا، ولا حتى استضافة الغرباء الضائعين. فإذا تبين أنه لم يرتكب أي خطأ - أنه في الحقيقة مجرد مدرس رياضيات غامض إلى حد ما لديه قطة تُدعى بريندا، وأنه حركي يغادر ويواصل

حياته - وإذا اختار العودة إلى هنا، فقد أرادت أن يكون ذلك في ظل الوضوح التام للأمور. لا يمكنه العودة إلى هنا متوقعًا العثور على قديس وملاك، متوقعًا أن يتم إنقاذه، لأنها لم تكن قادرة على إنقاذ أحد.

تحسس جانب وجهها بيده، وداعبت إبهامه الجزء الغائر أسفل عظمة وجنتها. انتظرت أن يقول شيئًا، لكنه لم يفعل. وضع يديه على مؤخرة عنقها، وشفتيه على جبينها، وقبّلها بقوة. شعرت كأن هذه القبلة بمنزلة الخلاص، وكأنه يمحو كل خطاياها ويزيلها عنها. أحست أنها ترق وتلين بفعل ذلك، فأخذت يديه بين يديها، ووضعتهما على وجهه.

أتى ضجيج من عند باب المطبخ: كان هناك كلب، تبعه كلب آخر، تليهما طفلة. قالت رومين:

- ألم يحِن وقت العشاء بعد؟ أنا جائعة.

أسقطت أليس يدَي فرانك، وتراجعت عنه خطوة، وعيناها لا تزالان مثبتتين على عينيه، ثم التفتت إلى رومين وقالت:

- حسنًا، نعم، هذا لأنك لم تتناولي سوى البطاطس فقط على الغداء.

قال فرانك:

- هل أعد لك خبز البيجل؟

نظرت إليه رومين بعينين واسعتين وقالت:

- نعم! من فضلك! لكن لا تنسَ أن تقطعه أولًا، يا فرانك.

- لن أنسى قطع خبز البيجل مرة أخرى، والفضل لك.

قالت أليس وهي تفتح سلة الخبز:

- أستطيع أن أتولى ذلك، حقًّا، فلتجلس أنت.

قال فرانك متقدمًا أمامها:

- لا، لا، أريد القيام بذلك حقًّا، أكثر من أي شيء آخر.

التقطت رومين البطاقة البريدية وقالت:

- رائع! هل رسمت هذا يا فرانك؟

أجابت أليس:

- لقد فعل بكل تأكيد يا عزيزتي.

- مدهش، إنه جميل حقًّا. هل يمكنك أن ترسم لي شيئًا؟ هل يمكنك أن ترسمني؟ وترسم أمي؟

قال:

- هذا من دواعي سروري. دعيني أنتهِ من إعداد البيجل، ثم سآتي وأرسمك.

وقفت أليس ووركها متكئ إلى طاولة المطبخ وذراعاها معقودتان فوق بطنها، تراقب هذا الرجل في مطبخها، يعد الطعام لابنتها، وكلباها جالسان عند قدميه يتطلعان إليه على أمل أن يلقي لهما فتات لحم الخنزير أو الدجاج. قالت لنفسها فجأة، وبشكل قاطع، إنه ينتمي إلى هنا. أيًّا كان، ومهما فعل، فهو ينتمي إلى هنا.

ثم تذكرت أنها ستأخذه غدًا إلى قسم الشرطة، وأنها لن تراه مرة أخرى على الأرجح. استدارت نحو الثلاجة خلفها، وأخرجت زجاجة نبيذ.

٤٣

مكتبة
t.me/soramnqraa

١٩٩٣

سار الأمر برمته على نحو سيئ للغاية.

تمكنت كيرستي من وضع البطانية فوق رأس مارك، لكن نظرًا إلى أن جراي لم يتمكن من رؤية قمة رأس مارك، فقد ضربت قاعدة المصباح بدلًا من ذلك جزءًا من جانب رأسه من دون أن يؤذيه في الواقع. وفي غضون ثوانٍ، تمكن مارك من التخلص من البطانية، وألقى كيرستي فوق الفراش. انقض عليه جراي، وأمسكه من خصره بذراعه السليمة وحاول انتزاعه بعيدًا، لكن مارك كان أقوى مرتين من جراي حتى من دون معصمه المكسور، فتخلص منه من دون جهد يذكر.

تعثر جراي إلى الوراء في اتجاه الباب الذي كان مفتوحًا، ووجدت يده طريقها نحو المقبض، وشرع يديره.

قال مارك:

- إذا غادرت هذه الغرفة، فسأقتلها.

توقف جراي.

واصل مارك قائلًا:

- يبدو أنكما لم تفهما الأمر حقًّا. لن تذهبا إلى أي مكان. لقد انتهت الحفلة في الطابق السفلي، ولا يوجد أحد آخر هنا.

قالت كيرستي لاهثة:

- سيأتي والدنا قريبًا.

قال مارك:

- أوه، نعم، لقد جاء والدكما بالفعل، وانصرف. أخبرته بأنكما رحلتما منذ ساعة.

قال جراي:

- سيتصل بالشرطة عندما لا يستطيع العثور علينا، وسيأتون إلى هنا مباشرة. وسيجدون مخدراتك ويلقون القبض عليك.

هز مارك كتفيه.

- أشك في ذلك. لقد أخبرته بأنكما ذهبتما إلى الشاطئ مع بعض الأصدقاء الجدد، وأنكما في حالة سكر تام.

جذب مارك كيرستي من ذراعيها ليجبرها على الجلوس، ثم التفت إلى جراي وربت على الفراش بجانبه قائلًا:

- اجلس فورًا.

عادت السكين إلى عنق كيرستي، فتنهد جراي وتحرك نحو الفراش. جره مارك إلى الأسفل ثم وثب واقفًا على قدميه. وجد السلك الذي انتزعه جراي من المصباح واستخدمه لربط أيديهما معًا، ظهرًا لظهر.

صاح جراي:

- معصمي! أرجوك انتبه لمعصمي!

نظر مارك إلى معصم جراي متأملًا وقال:

- نعم، آسف بشأن ذلك، فأنا لا أدرك مدى قوتي في بعض الأحيان.

ثم شد السلك حوله بإحكام من دون أن يرفع عينيه عن جراي على الإطلاق وهو يفعل ذلك.

صرخ جراي، وشعر كأن مسامير تُدق في نخاع عظامه. بدا الأمر كما لو أن كل لحظات الألم التي عاشها طوال حياته قد اندمجت معًا في إحساس واحد صادم لا يمكن تصوُّره.

قال مارك وهو يعدل السلك بعناية:

- اصرخ بقدر ما تريد، لن يسمعك أحد.

ثم تراجع إلى الوراء ليتفحص ما عمله، وأضاف:

- حسنًا، سيمنعكما ذلك من التصرف بحماقة.

قال جراي بصوت يائس وخافت:

- مارك، ماذا تفعل؟ أعني، ما الذي تخطط للقيام به؟

اعتدل مارك بحيث بدا كشخص مستغرق في التفكير الشديد.

- يا إلهي، هذا سؤال جيد. الحقيقة أنني لم أقرر بعد. دعني أعُد إليك لاحقًا بهذا الشأن.

تصبب العرق على حاجبَي جراي وعلى جانبَي وجهه وهو يجاهد للتعامل مع الألم الناتج عن السلك المغروز في عظمه المكسور. تلوت كيرستي بعض الشيء، فعوى من الألم.

سمعها تهمس قائلة:

- آسفة.

في هذه الأثناء، كان مارك يذرع الغرفة جيئة وذهابًا وهو لا يزال متقمصًا دوره «التأملي» السخيف، ثم فجأة جلس بجانب كيرستي، وأحس جراي بها تحبس أنفاسها وظهرها يتصلب. لم يستطع جراي رؤية ما يحدث، لكنه سمع كيرستي تقول:

- لا تفعل.

قال جراي بصوت أجش:

- ابتعد عنها، لا تلمسها أيها الوغد.

أحس جراي بجسد كيرستي كله يرتعش ويتقلص.

قالت:

- توقف، لا تفعل هذا.

سألها جراي:

- ما الذي يفعله يا كيرست؟

جاءه صوت مارك، هادئًا ومتزنًا:

- أتحسسها يا جراهام، أتحسس جسدها.

ارتجف جراي وانتابه شعور بالغثيان، وقال:

- ابتعد عنها أيها اللعين، ارفع يديك عنها وإلا سأقتلك.

ضحك مارك بطريقته الأنثوية المثيرة للاشمئزاز.

- هل ستفعل حقًّا يا جراهام؟ هل ستقتلني؟ أنا أداعب عنقها الآن يا جراهام، برقة شديدة، بأطراف أصابعي. أعتقد أنها تحب ذلك للغاية، نعم، تحب ذلك حقًّا، فهي تكاد تخرخر كالقطة!

تصاعدت داخل جراي نيران مستعرة، ألهبت جدران وعيه، وأذابت عقله. أراد القضاء على هذا الشاب، وقتله، وطعنه، وضربه، ودهس جمجمته حتى تتحطم، وإطلاق النار على رأسه ثم قلبه، وركله، ورجمه، وقطع رأسه، والتمثيل به وتمزيقه حتى لا يعود سوى كتلة من اللحم والعظام.

- أخبريني يا كيرستي، لماذا أتيت إلى هنا الليلة؟ من باب الفضول فحسب.

أجابت بصوت منخفض ونبرة متوترة:

- لأن الأمر بدا ممتعًا.

- وهل هذا هو السبب أيضًا الذي دفعك إلى أن تقولي لي إنك تحبينني، على الشاطئ؟ لأن الأمر كان ممتعًا؟

قالت:

- لا، قلت ذلك لأنني لم أعرف ماذا أقول سوى ذلك. لأنني لم يكن لي حبيب قَطُّ ولم أعرف ما الذي يجب أن أفعله.

قال مارك:

- حسنًا، من المؤكد أنك ستتلقين درسًا في الحياة الليلة. لا يمكنك حقًّا أن تخبري الناس بأنك تحبينهم يا كيرستي، في حين أنك لا تعنين ذلك. يمكنك أن تعطي الشخص انطباعًا خاطئًا هكذا.

ثم التفت إلى جراي وقال:

- أوه، بالمناسبة، أنا أداعب ثديَي شقيقتك الآن، وهما جميلان للغاية، أفضل حتى مما تخيلت، ملء كفَي.

شعر جراي بجسد كيرستي يتلوى خلفه، وأعماه الشعور بالغضب والعجز لكنه تنفس شهيقًا وزفيرًا حتى صفا ذهنه. لن يساعده الغضب في شيء. حرك يديه قليلًا متجاهلًا الألم الشديد في معصمه، وبدأ يعبث بالسلك الكهربائي. كان مربوطًا بإحكام، كما توقع، لكن إذا تمكن من العثور على طرف السلك العاري، فقد يجده متراخيًا بدرجة تكفي للتحكم فيه بطريقة ما.

- الرجال حساسون يا كيرستي، على الرغم من أن العديد من الناس لا يدركون ذلك، ويمكن أن ينجرحوا بسهولة، وقد جرحتني حقًّا. وقعتُ في حبك في اللحظة التي رأيتك فيها، كما أخبرتك، وبدا الأمر أشبه بصاعقة، لا يشبه أي شيء مررت به من قبل. وكونكِ تصرفت بهذه الطريقة، وأظهرت ذلك القدر الضئيل من الاحترام لمشاعر شخص آخر، هذا يعني أنك فقدت الإنسانية بطريقة ما، هل تفهمين ما أعنيه؟

انتفض جسد كيرستي بأكمله حينها.

صاح جراي:

- ماذا فعل؟

أجاب مارك بنبرة مرحة:

- لقد وضعت يدي بين ساقيها يا جراهام. بين... ساقيها... مباشرة. أوه، نعم، نعم، يعجبها ذلك، أيها الأخ الأكبر. يعجبها ذلك كثيرًا. وهذا هو ما يحدث للأشخاص الذين ليس لديهم أي احترام للآخرين على الإطلاق.

وجَّه عبارته تلك إلى كليهما، كنصيحة مفيدة للمستقبل، ثم تأوه على نحو كريه.

– امممممم، نعم.

جاهدت أصابع جراي بقوة أكبر وأسرع لفك السلك الكهربائي. كان مصباح المكتب لا يزال هناك حيث تركه. كان لا يزال بوسعه أن يفعل شيئًا، لو تمكن من فك ذلك السلك فحسب. وقد أدركت كيرستي ما يحاول فعله، وأحس بأصابعها تعبث بالسلك أيضًا.

تأوه مارك مجددًا، وجفلت كيرستي. لن يحدث هذا. لن يسمح بحدوث هذا، وإلا ستُدمر حياتهما إلى الأبد.

نظر إلى المصباح، ولعق شفتيه. تحسس السلك، وشعر به يرتخي. من المؤكد أنه بدأ يرتخي. كان مارك يتحدث إليه، ويخبره عن مدى استمتاع شقيقته، لكنه تجاهل كل ذلك. لم يكن بوسعه الاستماع إليه، بل كان بحاجة إلى التركيز، ونسيان الألم، ونسيان يد مارك بين الساقين. عليه أن يفك هذا السلك فحسب، ويحرر يديه، ويحضر ذلك المصباح، ويضرب به رأس مارك، ويوقف هذا الأمر. عليه إيقاف هذا الأمر. عليه أن يوقفه.

٤٤

ألقت ليلي نظرة على الغرفة حولها. كانت الغرفة كبيرة ذات شكل مستطيل، لها سقف مائل، ونافذتان رأسيتان ناتئتان. وكان هناك فراش بأربعة أعمدة جهة اليسار، تغطيه مفروشات من القطن الأبيض وتعلوه وسائد من الساتان. بدا أنه فُرش حديثًا، وسُوي اللحاف حتى بدا لامعًا كالثلج. وبدت رائحة الغرفة منعشة، واكتست الجدران بورق حائط ذي تصميم حديث للغاية، باللون الأزرق الفاتح المنقوش بزهور الأقحوان. بدت السجادة جديدة وناعمة، وكانت هناك خزائن ملابس أنيقة بمقاس الغرفة. وفي الطرف المقابل كان هناك باب يؤدي إلى حمَّام ملحق بالغرفة، ومطبخ صغير حديث، كما كان هناك كرسيان بذراعين بلون كريمي ومكتب يعلوه مصباح عادي. بدت كغرفة في فندق فاخر، غير أنها لم تشبه أي غرفة أخرى في ذلك المنزل.

قال روس:

- حسنًا، هذا مثير للاهتمام. يبدو أننا وجدنا مخبأ المرأة الغامضة التي ردت على مكالمتك الهاتفية.

قالت ليلي:

- لا أفهم لماذا يرغب شخص ما في العيش في هذه الغرفة الصغيرة في منزل ضخم كهذا؟

- لتوفير تكاليف التدفئة على ما أعتقد.

دخلت الغرفة وبدأت في استكشاف المكان. كان من يعيش في هذه الغرفة شخصًا لطيفًا ومنظمًا، وقد بدت المرأة التي تحدثت معها على الهاتف كأنها شخص لطيف ومنظم. فتحت خزانة الملابس، ففاحت منها رائحة الياسمين والملابس النظيفة. امتلأت الخزانة بملابس بدت باهظة الثمن: سراويل أنيقة معلقة بعناية على شماعات خشبية، وسترات صوفية ناعمة مطوية على شكل مربعات مرتبة، وحقائب يد بسلاسل ذهبية، وأحذية أنيقة مسطحة ذات شُرَّابات، وأحذية لامعة ذات كعب وأبازيم.

قالت لروس الذي أخذ يلتقط الأشياء الموجودة على المكتب ويتفحصها:

- هذه المرأة أنيقة جدًّا وراقية، مثل كارل، كما أنها مرتبة للغاية أيضًا. من المؤكد أنها والدته، هذا واضح.

أغلقت باب خزانة الملابس وانضمت إلى روس وأضافت:

- ماذا وجدت؟

قال:

- أعتقد أن ساكنة هذه الغرفة رحلت حديثًا، وأخذت معها الكثير من المتعلقات الشخصية.

- ماذا تعني؟

- يبدو أن هناك درجين أُفرغا من محتوياتهما، وهناك صندوق مجوهرات فارغ، ودرج ملفات فارغ، انظري.

كانت الستائر المعدنية فوق النافذتين الناتئتين مفتوحة، وبدأ ضوء النهار يتلاشى للتو. رأت روس يتفقد الوقت سريعًا على هاتفه المحمول. فشلا في مهمتهما. لا بد أن ليلي قد أخافت المرأة بمكالمتها الهاتفية هذا الصباح، ودفعتها إلى الرحيل. كان المنزل خاليًا، وروس بحاجة إلى المغادرة، إذ كان بحاجة إلى رؤية طفلته وزوجته والحصول على ثماني ساعات من النوم قبل الذهاب إلى العمل غدًا.

قالت له ليلي وهي تجلس على كرسي المكتب وتستدير لمواجهته:
- فلتذهب أنت، لقد تأخر الوقت.
- لكن أين ستقيمين؟
- سأبقى هنا، في هذه الغرفة الجميلة.
- لكن يا ليلي، لن أشعر... أعني، هذا منزل كبير، وستكونين بمفردك تمامًا. وماذا عن العودة إلى المنزل؟ أنت تعلمين أنني لا أستطيع العودة لاصطحابك.
أجابت:
- لديَّ مال، الكثير من المال، وسأتمكن من العودة بنفسي.
- لكنك لا تعرفين حتى أين نحن!
- بل أعرف أين نكون، نحن في خليج رايدنجهاوس، وبحوزتي هاتفي، ولديَّ نقود. أرجوك يا روس، أريدك أن تعود إلى منزلك، إلى طفلتك وزوجتك.
- لكن إذا حدث لك شيء...
- لن يحدث لي شيء، هذا المنزل آمن. الشخص الوحيد الذي يمكنه الدخول إلى هذا المنزل هو المرأة التي ردت على الهاتف.
أشارت إلى الغرفة حولها وتابعت:
- وانظر، هل تبدو هذه الغرفة كأنها غرفة امرأة خطيرة؟
ابتسم روس وهز رأسه.
- لا، لا أعتقد ذلك. لكن مع ذلك، سأشعر بالارتياح أكثر إذا بقيتِ في فندق.
أجابت بحزم:
- أريد البقاء هنا.
صمت روس، ثم زفر قائلًا:
- أنا بحاجة إلى الرحيل.
- أعلم ذلك، لذا فلتذهب الآن.
لان واسترخى.
- هل أنت متأكدة؟

- نعم، أنا متأكدة.

ابتسم وتقدم منها.

- من فضلك، رجاءً اتصلي بي صباح غدٍ، كي أتأكد أن الليلة مرت على ما يرام.

- أوه، نعم، بالطبع سأفعل.

- وإذا شعرتِ بالخوف في أثناء الليل، فاتصلي بي، سأترك هاتفي المحمول بجانب الفراش. إذا سمعتِ أصواتًا غريبة، أي شيء... من فضلك.

ضحكت لأن روس بدا جادًّا للغاية، وقالت:

- نعم، أعدك.

تقدمت نحو ذراعيه المفتوحتين وتبادلا عناقًا طويلًا وصادقًا.

- هل تركتِ أي شيء في سيارتي؟

هزت رأسها.

- حسنًا، سأذهب إذن.

عانقها مرة أخرى ثم استدار وغادر الغرفة، وأغلق الباب خلفه بهدوء.

جلست ليلي مرة أخرى على الكرسي الدوار، وتركته يدور ٣٦٠ درجة. توقف الكرسي ببطء، ووجدت نفسها تواجه انعكاسها في مرآة كاملة الطول مثبتة على الحائط. ها هي ذي تفكر وهي تحدق إلى انعكاسها بشرود، على بعد مئات الأميال من موطنها، وعلى بعد مئات الأميال من منزلها أيضًا. فكرت في الشقة الخالية في سري، وفكرت في موقع البناء المجاور والبلاستيك الذي يرفرف في مهب الريح والضوء الوامض الغريب. فكرت في يوم الغد، وفي استكشاف شوارع هذه البلدة الصغيرة الغريبة، وفي الإجابات التي قد تجدها أخيرًا لكل أسئلتها.

لكن أكثر من أي شيء آخر، فكرت في الاستيقاظ هنا خلال الليل، والقمر يلتمع فوقها من خلال النافذتين العاليتين، وهي تشعر بلمسة زوجها الرقيقة ويده على خدها، ووجهه فوق وجهها، وهو يبتسم لها ويقول:

- لقد وجدتني. لقد قطعتِ كل هذه المسافة ووجدتني.

٤٥

أسندت أليس البطاقة الصغيرة إلى قاعدة المصباح المجاور لفراشها، وتأملتها. كانت رائعة: رسم صغير بالقلم الرصاص لها ولرومين وهما تقفان جنبًا إلى جنب وذراعاهما تحيطان بعضهما بعضًا. وقفتا أمامه في المطبخ، ولم يستغرق منه الأمر إلا عشر دقائق، وصورهما على نحو مثالي: خصلات شعر رومين المجعدة الرائعة، ومعصماها الممتلئان، وزاويتا شفتيها المائلتان إلى الأعلى وهي تبتسم، وساقا أليس الطويلتان، وشعرها الذي ينسدل إلى الوراء، وبريق وجهها المتعب، لكن ما صوره قبل كل شيء هو الحب الموجود بينهما، والصداقة، لأن رومين كانت صديقة لأليس إلى حد كبير. عاشتا حياتهما بنفس الوتيرة، ورقصتا على نفس الإيقاع. ولو كانت رومين أكبر بثلاثين عامًا وليست ابنتها، لكان من المرجح أن تكونا صديقتين مقربتين. كان هذا ما سلط عليه فرانك الضوء برسمه الجميل: أليس ورومين، الصديقتان الحميمتان.

أمضى الأمسية معهم، محشورًا بين رومين وكاي على الأريكة وهم يشاهدون برنامج أعظم خمسين هذا أو ذاك على القناة الخامسة، لكن عندما عادت أليس إلى الطابق السفلي بعد أن وضعت رومين في فراشها (في وقت متأخر للغاية، كما هي عادتها) كان فرانك قد ذهب إلى الفراش. كانت البطاقة الصغيرة هي

كل ما تركه وراءه، إلى جانب رسالة صغيرة بخط اليد كتب فيها: «سأذهب إلى الفراش، علينا الاستيقاظ مبكرًا! أراكِ في الصباح».

أحست بالإحباط والارتياح في الوقت نفسه. لا بد أن ينام في فراشه الليلة بالطبع. ألم تزين فراشها هذا الصباح بالوسائد المنفرة للرجال التي اشترتها من متجر مونسون؟ لكنها كانت لا تزال تتوق إليه. التقطت البطاقة ومرت بأناملها على خطوط القلم الرصاص. جعلها تبدو جميلة، رشيقة بوجنتين غائرتين ونظرة ثاقبة. تساءلت، هل يراها هكذا؟ ليست ربة منزل ذات شعر مشعث ودهون حول الأرداف وهالات سوداء حول عينيها، لكن كامرأة قادرة على التنافس مع كاترين دونوف؟

تنهدت ونظرت خلفها، متخيلة فرانك على فراشه في سقيفتها، ربما عاريًا، ثم تخيلت نفس الفراش مساء الغد، خاليًا، والسقيفة باردة ومغلقة، والحياة تعود إلى طبيعتها. من يدري كم من الوقت سيمضي قبل أن تعانق جسد رجل مرة أخرى؟ ما فرص الأم العزباء التي تعيش مع أولادها الثلاثة في بلدة ساحلية صغيرة معزولة، والتي لا تخرج من منزلها إلا لمطاردة كلابها على الشاطئ والانتظار خارج أبواب المدرسة، في مقابلة رجل شبه محترم مرة أخرى، يرغب في ممارسة الجنس معها؟

وصلت حتى الباب الخلفي، قبل أن تعود إلى رشدها ثانية. تركت يدها تسقط من مقبض الباب وأخذت نفَسًا عميقًا.

ظهر كاي خلفها وهي تلتفت.

قالت:

- مرحبًا أيها الوسيم.

- ماذا تفعلين؟

أجابت:

- أغلق الباب فحسب، وأنت؟

- لا شيء، جئت لأشرب قليلًا من الماء.

ملأ لنفسه كوبًا من الصنبور.
التفت إليها وتفحصها قائلًا:
- هل أنت بخير؟
- نعم، أنا بخير.
- تبدين...
مسح الغرفة بعينيه متفكرًا، ثم عاد لينظر إليها وهو يتابع الحديث:
- مجنونة بعض الشيء.
أطلقت ضحكة.
- مجنونة؟
- نعم، أعني، لست مجنونة كأنك فقدت عقلك، بل مشتتة بعض الشيء فقط.
نظر نحو الفناء وأضاف:
- هل هو السبب؟
- هو؟
- نعم، كما تعلمين، بسبب كل تلك الأمور المتعلقة بفقدانه للذاكرة، واضطرارك إلى التعامل معها؟
- نعم، حسنًا، أعتقد هذا إلى حد ما. كان الأمر غريبًا، أليس كذلك؟ أعني وجوده بيننا، لكن...
تقدمت نحو ابنها وأحاطت عنقه بذراعها وتابعت:
- بحلول هذا الوقت غدًا سينتهي كل شيء، وسيرحل، وستعود الحياة إلى طبيعتها.
- هل تريدين ذلك؟
نظرت إليه بحدة.
- هل تريدين أن تعود الأمور إلى طبيعتها؟
- أعتقد ذلك، أعني...
قاطعها قائلًا:

- أنا أحبه، إذا تبين أنه ليس قاتلًا، كما تعلمين.

ثم ضحك وأضاف:

- أو حتى لو كان قاتلًا.

قالت أليس:

- أوه، حسنًا.

عانقها بقوة.

- تصبحين على خير يا أمي، أحبك.

- أنا أيضًا أحبك يا عزيزي.

طبعت قبلة على وجنته، ثم ابتسم لها ورحل تاركًا إياها وحدها في المطبخ مع أزيز الثلاجة والكلاب والظلام.

٤٦

١٩٩٣

صار السلك الكهربائي مرتخيًا الآن بما يكفي كي يتمكن جراي من تخليص يديه، لكنه قاوم إغراء تحرير نفسه، وأعطى نفسه لحظة للتخطيط لخطوته التالية.

– سأستخدم السكين لقطع الجزء الأمامي من قميص أختك يا جراهام، لكن لا تقلق، فأنا حذر للغاية، لأنني لا أريد إيذاءها، على الأقل ليس بعد.

جفل جراي مرة أخرى عند سماع صوت تمزق القماش، وشهقة شقيقته.

ثم قال مارك:

– مدهش! أعني... مدهش حقًّا! هذان أروع ثديين رأيتهما على الإطلاق في الواقع. هل سبق لك أن رأيت ثديَي أختك يا جراهام؟

ألقى مارك هذا السؤال كما لو أنه يجري محادثة، كأنه يسأل شخصًا ما إذا كان قد شاهد فيلمًا معينًا.

– من المؤسف أنك لا تستطيع رؤية ما أراه، سيفوتك الكثير حقًّا.

أخذ جراي نفَسًا عميقًا، وكبت لهيب غضبه. حرر يده السليمة برفق من السلك الكهربائي ثم فتش بأصابعه عن أحد خطافات شماعات الملابس المعدنية التي وضعتها كيرستي في الجيب الخلفي لبنطالها الجينز في وقت سابق. عدلت من

وضعها بعض الشيء لتسمح له بإخراجه، الأمر الذي أخطأ مارك في تفسيره على كونه دليلًا أنها تستمتع بالأمر، فقال:

- أوه، أعتقد أن شقيقتك بدأت تستمتع بالأمر الآن يا جراهام. حسنًا، لنحرر هذين الجميلين، هلَّا فعلنا؟

أحس جراي بمارك يمد يديه خلف ظهر شقيقته، وبدأ بالعبث في مشبك حمالة صدرها. أوقف جراي يديه عن الحركة وحبس أنفاسه، وبدا الأمر كأنه يستغرق دهرًا.

سأل جراي:

- هل فككت حمالة صدر من قبل يا مارك؟

- اخرس أيها الأحمق اللعين.

- لا، حقًّا، يبدو أنك مبتدئ إلى حد ما. وفي الواقع، بدأت أتساءل، نظرًا إلى الطريقة التي تتصرف بها مثل معتوه لعين، عما إذا كنت لا تزال بكرًا.

أحس بيدَي مارك تبتعدان عن ظهر كيرستي، ثم صار مارك أمامه، ووجهه ملتوٍ من السخط. أرجع مارك ذراعه إلى الخلف وصفع جراي بقوة على خده.

- أغلِق فمك اللعين هذا.

في تلك اللحظة، سنحت الفرصة. خلَّص جراي يده المصابة سريعًا من السلك الكهربائي، ثم وثب واقفًا على قدميه وغرس خطاف الشماعة المعدنية في أعلى رأس مارك. شعر بالخطاف يخترق فروة الرأس ويمزقها، ورأى يدَي مارك ترتفعان إلى الأعلى وتلتقيان معًا فوق فروة رأسه، وشاهد الدم يتدفق من بين أصابعه، ثم لمح المصباح ذا القاعدة الثقيلة على الأرض عند قدميه، فرفعه بذراعه السليمة، وهوى به مرة أخرى، قبل أن يرى يدَي مارك تبتعدان عن رأسه وتمسكان المصباح في منتصف الطريق. انتزع مارك المصباح من يده السليمة كما تُنتزع زهرة من وسط مرج.

قال مارك والمصباح في يده، والدماء تسيل على وجهه في ثلاثة خيوط منفصلة:

- يا إلهي، لقد أخطأتَ الآن، لقد أخطأتَ حقًّا.

تغير صوته، وانخفضت نبرته الحادة إلى نبرة عميقة مبحوحة.

صاح جراي في شقيقته:

- الباب! اخرجي! اذهبي!

لمح وجهها الملطخ بالدموع وهي تندفع نحو الباب، ممسكة قميصها الممزق فوق صدرها بإحدى يديها، بينما دست شيئًا في جيبها باليد الأخرى.

صاح مرة أخرى:

- اذهبي!

أسقط مارك المصباح وتعثر في طريقه عبر الغرفة، وكاد يمسك ذراع كيرستي وهي تنسل عبر الباب الذي أغلقته بقوة في أعقابها، على ذراعه مباشرة. توقف مارك وأمسك ذراعه وهو يعوي من الألم، ثم فتح الباب، وانطلق خلفها كحيوان جريح. تبعه جراي في مطاردته، ورأى كيرستي تنزل السلم، درجتين معًا في المرة الواحدة، ثم تعثرت وانزلقت على ظهرها فوق ثلاث درجات قبل أن تتمكن من الوقوف مجددًا، لكنها أضاعت بذلك لحظة ثمينة سمحت لمارك باللحاق بها. أسقطها مارك على الدرج، وهبط بكل ثقله فوقها، وبدأ يشد حمالة صدرها، ويشد بنطالها الجينز، والدم يسيل من جرحه على صدرها. أمسكه جراي من مؤخرة عنقه محاولًا إبعاده عن شقيقته، لكن ذراعه الوحيدة السليمة لم تكن تملك القوة الكافية، ودفعه مارك بعيدًا بسهولة. لكن بينما تشتت مارك بسبب محاولات جراي الفاشلة لإبعاده، ضربته كيرستي بقدمها اليسرى بين ساقيه مباشرة، مما جعله يرتمي إلى الوراء متكورًا في وضع جنيني بفعل الألم.

صرخ مارك ممسكًا عانته:

- أيتها العاهرة اللعينة! أيتها العاهرة الحقيرة القبيحة!

أمسك جراي يد كيرستي وركضا، وهما يصرخان في طريقهما طلبًا للمساعدة، في حال ما إذا كان لا يزال هناك شخص ما موجودًا في المنزل.

جذب جراي كيرستي بعيدًا عن الباب الأمامي، وقال:

- لا! سيكون مغلقًا.

ركضا عبر أرضية الردهة المبلطة باتجاه الباب الخلفي، والتفت جراي مرة واحدة ليرى مدى تقدمهما، في الوقت المناسب تمامًا لرؤية وجه مارك الملطخ بالدماء على بعد بوصات من وجهه، والشعور بأنفاسه الحارة الغاضبة، ثم سقط جراي بقوة وارتطم فكه بشدة بالبلاط الصلب، فتقطعت أنفاسه للحظة، وارتمى مارك فوقه. شعر بيدَي مارك تمسكان أعلى رأسه بإحكام، قبل أن يرفع رأسه ويضربه بقوة على الأرضية الصلبة، فأحس بدماغه يرتد على جدران جمجمته، وبأذنيه تطنان على نحو خافت.

علا صراخ شقيقته، ثم ساد صمت غريب ومروع للحظة. نهض مارك من فوقه فجأة، ثم سقط مجددًا. توقفت شقيقته عن الصراخ، ووقفت بجانبهما وهي تتنفس بصوت عالٍ وتلهث.

كانت تمسك سكينًا ملطخة بالدماء، سكين مارك، التي أخذ الدم يقطر منها فوق الأرضية البيضاء الناصعة. بعد ذلك، خرجا من الباب الخلفي للمنزل، وركضا عبر الحديقة الرائعة المضاءة بنور القمر، يدًا بيد.

٤٧

لم تغلق ليلي الستائر المعدنية بالكامل ليلة أمس، فاخترق شعاع من ضوء الفجر عتمة الغرفة. كانت الساعة الخامسة وإحدى وخمسين دقيقة، ولم تحظَ إلا ببضع ساعات فقط من النوم، ربما ثلاث أو أربع ساعات. سمعت العديد من الأصوات الغريبة بجانب البحر هنا: طيور النورس التي تصرخ مثل الأطفال الممسوسين، والثعالب التي تعوي كما لو أن أحشاءها تُنتزع ببطء. كما أتى صوت الموج البعيد، كحشد من الناس يهمهمون ويتهامسون، يتأوهون ويتنهدون، ويلقون بأنفسهم على صخور غير مرئية.

انتزعت البطانية الرقيقة التي تغطت بها الليلة الماضية واعتدلت جالسة. شعرت بالخدر من أثر الإرهاق والشعور بالغرابة، ومن أصداء الأحلام التي طاردت بعضها داخل رأسها الليلة الماضية وهي مستلقية، معلقة بعيدًا عن متناول النوم العميق. طوت البطانية في شكل مربع منتظم، وأعادتها إلى الخزانة التي أخذتها منها. ثم سوت اللحاف وغطاء الوسادة، وأعادتهما إلى الحالة المثالية التي وجدتهما عليها. أزالت شعرة داكنة من على الوسادة، وألقتها على الأرض. لم ترغب في أن تعتقد هذه المرأة الأنيقة أن امرأة غريبة قذرة استلقت في فراشها الأبيض الجميل.

أخرجت علبة كوكاكولا من الكيس الذي أحضرته معها من المنزل، وشربتها في بضع رشفات قصيرة، ثم ابتلعت بقايا إحدى كعكات الدونات التي تناولتها بالأمس. جلست للحظة، وشعرت بنفسها تستعيد حيويتها.

أصدر هاتفها المحمول أزيزًا، فالتقطته.

صباح الخير. من فضلك أرسلي إليَّ رسالة نصية عندما تصل إليك هذه الرسالة. روس.

ردت عليه برسالة نصية:

مرحبًا، أنا هنا، وكل شيء على ما يرام.

رد عليها برسالة نصية بها وجه مبتسم، فابتسمت. يا له من رجل لطيف! كادت ترد عليه بوجه مبتسم هي أيضًا، لكنها منعت نفسها. سيكون ذلك نوعًا من المبالغة.

توجهت إلى النافذة ورفعت الستارة، ثم شهقت. غلب على كل شيء اللون الوردي: السماء، والبحر، والعشب، والأشجار، وحتى بطون طيور النورس المحلقة بالأعلى بدت وردية اللون. رفعت يدها إلى عنقها، وتأملت المساحات الخضراء المتماوجة المتلألئة التي تنحدر في مصاطب باتجاه البحر، والتماثيل ذات اللون الخوخي التي تنتشر في الحدائق، والجدران القديمة المغطاة باللبلاب والنباتات المتسلقة، والبرك الصغيرة والمزاول الشمسية.

إنها حقًّا في الجنة الآن، وتمنت وجود والدتها هنا كي ترى هذا المكان، وأصدقائها من الوطن أيضًا. أحضرت هاتفها المحمول إلى النافذة، والتقطت بعض الصور، لكن لم تنجح أي واحدة من تلك الصور في التقاط الروعة الحقيقية لذلك المكان.

تفحصت المتعلقات الشخصية للمرأة الليلة الماضية، لكنها لم تجد شيئًا يربطها بكارل، بل مجرد الملابس والمجوهرات، وقوائم طعام لمطاعم محلية، وكاميرا ببطارية غير مشحونة، وكومة من بطاقات المتاجر المحلية، وإيصالات من المحلات التجارية. ستأخذها إلى البلدة اليوم، وتتحدث إلى أصحاب

المتاجر المحليين، وتسألهم عن المرأة التي تعيش في المنزل الأبيض الكبير على الجرف، وتسألهم عن كارل.

لكن قبل ذلك، أرادت إلقاء نظرة على هذا المنزل مرة أخرى. انتظرت حتى أشرقت الشمس بالكامل، وتحول اللون الوردي إلى الذهبي، ثم إلى أزرق زاهٍ، ثم خرجت على مهل من غرفة النوم في العلية، وسارت على أطراف أصابعها عبر الممر وهي تحمل سكين مطبخ صغيرة بإحكام في يدها.

تساءلت ليلي: هل هذا هو المكان الذي نشأ فيه كارل؟ هل لعب في هذه الغرف الرائعة، وركض عبر تلك المساحات الخضراء المتماوجة؟ هل خلع أحذيته الممتلئة بالرمل في غرفة الأحذية الصغيرة بجوار الباب الخلفي، واندفع إلى المطبخ ليطلب الوجبات الخفيفة؟ وجدت مقاود كلاب معلقة على خطافات المعاطف، وتخيلت كارل وهو طفل مع كلب ضخم، يركضان معًا نحو الشاطئ.

قضت ساعة في استكشاف المنزل وتفحصه. فتشت الأدراج في غرفة المعيشة، لكنها لم تجد شيئًا سوى أعواد ثقاب مستعملة، وزينات عيد ميلاد مكسورة، وبطاريات فارغة، وبعض الصمامات. فتحت كراتين الورق المقوى المعبأة، فلم تجد سوى أدوات المائدة، وكؤوس النبيذ، والكتب ذات الأغلفة الورقية، والتحف.

اتصل بها روس في الثامنة.

- كيف تسير الأمور؟

غمر الدفء قلب ليلي عند سماع صوته، وقالت:

- لا بأس، أنا منشغلة بتفتيش المنزل الآن، وبعد ذلك سأمشي إلى البلدة.

- هل وجدت أي شيء؟

- لا، لم أجد شيئًا، بل مجرد... هراء. كتب، وأشياء من ذلك القبيل.

تنهدت ثم تابعت قائلة:

- من الغريب، على ما أعتقد، ألا يحتوي المنزل على أي أدلة. ألا تعتقد ذلك؟ إنه ممتلئ بالكثير من الأشياء، لكن مع ذلك لا يفصح عن أي شيء.
- إنه أمر غريب، نعم.

توقفت عن الحديث، وتخيلت روس مرتديًا بدلة، ويتجه نحو محطة المترو. سألته:

- كيف حالك؟

قال:

- بخير، أنا في أحسن حال.
- آمل أن زوجتك لم تكن غاضبة عندما عدت إلى المنزل.
- لا، كانت بخير. وصلتُ قبل ساعة من الموعد الذي أخبرتها به، وأعتقد أن ذلك ساعد بعض الشيء. كانت الطفلة قد نامت بسهولة، وتناولت هي كأسًا من النبيذ، لذا...
- حسنًا، هذا جيد، يسعدني ذلك. وشكرًا لك.
- لا عليكِ، كان أمرًا لطيفًا، وأنا أستمتع بالقيادة.

كررت قائلة:

- حسنًا، أنت سائق بارع.

أطلق ضحكة.

- شكرًا لكِ. سأخبر زوجتي بأنك قلت ذلك.
- نعم، أخبرها.

أرادت قول المزيد لهذا الرجل الدافئ اللطيف، الذي لم تقابل أي شخص مثله من قبل. أرادت أن تخبره بأنه شخص مميز وأن جو امرأة محظوظة. لكن بدلًا من ذلك قالت:

- حسنًا، وداعًا، يا روس. أتمنى لك يومًا جيدًا في العمل.

قال:

- سأتصل بك لاحقًا.
- نعم، من فضلك.

شعرت بالوحدة التامة عندما أغلق روس الهاتف. لاح المنزل من حولها، غريبًا وصامتًا. لكن سرعان ما تحول الصمت إلى ضجيج حركة المرور التي بدأت تمر أمام المنزل على الطريق الرئيسي بالخارج. كان صباح يوم الاثنين، والبلدة تستيقظ.

عادت إلى غرفة العلية، وجمعت معطفها وأغراضها.

٤٨

قال فرانك:

- سأذهب معك.

كانت أليس تعد الوجبات المدرسية للأولاد في المطبخ.

سألته:

- إلى أين؟

- لتوصيل رومين إلى المدرسة.

- لماذا؟

هز كتفيه.

- كي أودعها، وكي أودع ديري أيضًا، ودانيال. كما أنني...

توقف عن الحديث، ثم أضاف:

- أردت فقط أن... كما تعلمين، أقضي المزيد من الوقت معك.

ابتسمت أليس وربتت على ذراعه.

- يا لك من غريب الأطوار!

قطعت قطعة من بلاستيك التغليف وغلفت خبز البيجل الخاص برومين. كانت تأمل أن يستيقظ فرانك هذا الصباح وقد استعاد ذاكرته، وأن يندفع من

الباب الخلفي قائلًا: كل شيء على ما يرام! لم أقتل أحدًا! وأنا أعرف محل إقامتي! سأعود غدًا مع قطتي وكل أغراضي ويمكننا أن نبدأ حياة جديدة معًا!

بدلًا من ذلك، بدا أكثر انطواء من المعتاد.

قال:

- لست غريب الأطوار، بل خائف فحسب، وحزين.

توقفت عما تفعله ونظرت إليه قائلة:

- بالطبع أنت كذلك، وأنا أيضًا.

- حقًّا؟

- بالطبع.

أحست بوجهها يتخضب، فأشاحت عنه وفتحت سحَّاب صندوق غداء رومين.

لم يسألها عن السبب، فأحست بالارتياح لذلك.

قررت ترك الكلاب في المنزل، إذ لم ترغب في قضاء آخر نزهة لها مع فرانك في جمع فضلات الكلاب كريهة الرائحة من على الرصيف البارد.

نادت ولديها المراهقين لتوديع فرانك قبل مغادرة المنزل، ثم انطلقوا في الساعة التاسعة إلا الثلث. كان يومًا جميلًا على نحو مذهل، والسماء صافية، وقد بدأت الشمس البلاتينية في نشر الدفء بالفعل. أمسكت رومين إحدى يدَي فرانك، بينما أمسك صندوق غدائها في يده الأخرى. كان الصندوق مزينًا بصورة أولاف من فيلم الرسوم المتحركة فروزين، وبدا صغيرًا على نحو لا يصدق في يده الكبيرة. وجدت أليس نفسها عند بوابات المدرسة قبل موعدها ببضع دقائق، في غياب الكلاب التي تتسبب في تعطيلها. نظرت إليها ديري بارتياب، وقالت وهي تتفقد ساعتها على نحو مسرحي:

- ما الذي يحدث؟

ردت أليس:

- اخرسي.

نظرت ديري إلى فرانك بلامبالاة وقالت:

- صباح الخير.

فأومأ برأسه وابتسم.

سألته:

- هل سترحل اليوم إذن؟

أجاب:

- أعتقد ذلك، لقد مر أسبوع تقريبًا، وحان الوقت لذلك.

أومأت ديري وقالت:

- كنت أفكر... لنتناول القهوة قبل رحيلك، نحن الثلاثة.

أومأت أليس وفرانك إلى بعضهما، حيث أرادا أي شيء من شأنه أن يطيل اللحظة.

أضافت ديري:

- سأتفقد بريدي الإلكتروني بعد الساعة التاسعة، لأرى ما إذا كان محرر صحيفة جازيت قد رد.

قالت أليس:

- نعم، هذه فكرة جيدة، فلا أحد يعرف ما يمكن أن يحدث.

ثم التفتت إلى فرانك وتابعت:

- وفقًا لما قد يعرفونه، ربما لا نضطر إلى الذهاب إلى الشرطة على الإطلاق.

قالت ديري:

- على افتراض أنهم سيردون.

كررت أليس:

- على افتراض أنهم سيردون.

أومأ الجميع، مدركين أن هذه هي فرصتهم الأخيرة.

انفتحت بوابات المدرسة، ودخل الأطفال. جذبت أليس انتباه معلمة رومين من العام الماضي، عدوتها اللدود. نظرت إليها المعلمة، ثم إلى فرانك، ورفعت

حاجبها. أحست أليس بالرغبة في أن تسدد لها لكمة، لكن ديري وضعت يدها على ذراعها لتهدئها وقالت:

- سأرافق الطفلين إلى الداخل، ثم أعود للالتقاء بك هنا بالخارج.

عانق فرانك رومين مودعًا إياها، وسأل:

- ما خطب تلك المرأة؟

هزت أليس كتفيها.

- إنها تكرهني، ولا شك أن شخصًا ما ليس لديه ما هو أفضل ليفعله بحياته البائسة التافهة قد أبلغ المدرسة بأنني أُووِي شخصًا منحرفًا في سقيفتي، لذا ستضيف ذلك إلى قائمتها الصغيرة من الأسباب التي تدفعها إلى إساءة معاملتي.

تنهد فرانك.

- أنا آسف.

أجابت بحدة أكثر مما كانت تنوي:

- لا! لا تعتذر، لا تتأسف، هذه مشكلتها، وليست مشكلتك أنت، ولا مشكلتنا. نحن بخير... حسنًا، كنا بخير...

توقفت عن الحديث.

وافقها قائلًا:

- كنا بخير بالفعل.

ثم أخذ يدها بين يديه وأمسكها بقوة، أمام المعلمة مباشرة، فضغطت أليس على يده أيضًا.

كان المقهى هادئًا في صباح يوم الاثنين هذا، وجلست بعض الأمهات الأخريات من المدرسة إلى الطاولات الموجودة على الرصيف بالخارج، يدخن ويشربن أكواب القهوة، وحملت إحداهن على حجرها كلبًا من فصيلة يوركشاير تريير. وفي الداخل، جلست أم شابة مع مولودها الجديد في عربة أطفال، كما جلس زوجان مسنان جنبًا إلى جنب، وهما لا يزالان يرتديان معطفيهما، يحتسيان كوبَي

الشاي على مهل، ويتبادلان محادثة هادئة تتخللها لحظات من التأمل الصامت. طلب فرانك وأليس وديري القهوة ولفائف لحم الخنزير المقدد عند الطاولة، ثم توجهوا للجلوس.

خلعت ديري وشاحها، وعلقت معطفها الأحمر على ظهر مقعدها، وشغلت هاتفها قائلة:

- حسنًا، لنرَ ما إذا كان محرر صحيفتنا المحلية الودود قد توصل إلى أي شيء.

مررت الشاشة بإصبعها وعبست، ثم أغلقت الهاتف مجددًا وقالت:

- لا يوجد شيء، لكن الساعة لم تتجاوز التاسعة بعد، وسأواصل المحاولة.

التفت الجميع عندما انفتح الباب، ودخلت امرأة طويلة وجذابة. كانت صغيرة في السن، لها شعر ناعم داكن مربوط إلى الخلف بعيدًا عن وجهها وملامحها العريضة. كانت ترتدي سترة سوداء خفيفة، وبنطال جينز، وحذاءً بكعب عالٍ، وتحمل كيسًا بلاستيكيًّا. توجهت إلى الطاولة مباشرة وقالت بصوت مرتفع نوعًا ما، وبلكنة أوروبية شرقية واضحة:

- من فضلك، هل يمكنك مساعدتي؟ أبحث عن شخص ما، وأتساءل عما إذا كنت تعرفه. إنها سيدة أنيقة الملبس، ربما في منتصف العمر، تعيش في ذلك المنزل الكبير هناك.

أشارت إلى الجرف الكائن يسار المقهى، وتابعت:

- هل تعرفها؟

تبادلت أليس وفرانك النظرات.

قال الرجل الواقف خلف الطاولة:

- هل تقصدين كيتي؟

أجابت الشابة:

- لا أعرف اسمها.

- حسنًا، إنها الشخص الوحيد الذي طرأ على ذهني. هل تقصدين ذلك المنزل الكائن عند المنعطف؟ المنزل الأبيض؟

أجابت:

- نعم! لونه أبيض.

- حسنًا، نعم، إذن لا بد أنك تتحدثين عن كيتي. إنها امرأة أنيقة للغاية.

- نعم!

- ما الذي تريدين معرفته عنها بالتحديد؟

بدت عليها الحماسة وهي تقول:

- لا أدري، كل شيء على ما أعتقد. أنا متزوجة من ابنها، و...

قاطعها الرجل:

- آه، حسنًا، لا، نحن نتحدث عن شخصين مختلفين في هذه الحالة. كيتي ليس لديها أولاد.

توقفت الشابة عن الحديث، وتهدلت كتفاها، ثم استقامت مرة أخرى وأخرجت شيئًا من الكيس البلاستيكي. كان ألبوم صور، فتحته ثم ناولته إلى الرجل وقالت:

- هاك، هل تعرف هذا الرجل؟

حبس فرانك وأليس أنفاسهما وهما يراقبان الرجل الواقف خلف الطاولة في أثناء تفحصه للألبوم، قبل أن يقول:

- لا، معذرة، لا أعرفه. هل هو زوجك؟

أعاد إليها الألبوم.

أجابت:

- نعم! إنه زوجي، وهو مفقود منذ الثلاثاء الماضي. قال لي إن هذه المرأة، كيتي، هي والدته. هل تعرف أين هي؟

قال:

- كيتي؟ يا إلهي، لا. فهي لم تأتِ إلى هنا منذ سنوات، على حد علمي. أعني، هل تعلمين أن ذلك هو منزلها الذي تقضي به عطلات الصيف فحسب؟

ضحك غير مصدق، وأضاف:

- على ما يبدو، فهي تعيش في منزل فخم في هاروجيت.

- لكنني اتصلت بها بالأمس. اتصلت بها هنا، وأجابت على هاتفها هنا.
بدأ صوت الشابة يتخذ نبرة عدوانية، فتراجع الرجل إلى الوراء قليلًا وقال:
- حسنًا، أنا لست عرَّافًا، ربما كانت موجودة هنا، وربما لا، لا أدري.
ألقت أليس نظرة استفهام إلى فرانك، وهمست بلهفة:
- زوجها مفقود. يا إلهي! هل تعتقد أن...؟
أرادت الاطلاع على الصور الموجودة في الألبوم. أضافت قائلة في همس:
- هل هي كيرستي؟ فرانك؟ هل هذه كيرستي؟
هز كتفيه وبدا عليه الذعر، وأجاب هامسًا:
- لا أعتقد ذلك، لا أعرف.
نهضت أليس واقتربت من المرأة عند الطاولة، فالتفتت المرأة عندما لمست أليس ذراعها، وحدجتها ببرود.
قالت أليس:
- معذرة، لم يسعني سوى الاستماع إلى حديثك. حسنًا، لا أعتقد... أعني...
التفتت إلى الطاولة حيث كان فرانك وديري يراقبانها بلهفة، وقالت:
- هل تعرفين ذلك الرجل؟
استدارت المرأة ووجَّهت نظرة حادة نحو فرانك، وقالت:
- لا، لم أرَ هذا الرجل من قبل في حياتي.
أطلقت أليس تنهيدة ارتياح قصيرة. لم تكن لتتحمل توديع فرانك الآن، وتسليمه إلى هذه الشابة العدوانية الصغيرة في السن بدرجة لا تصدق... كانت تفضل تسليمه إلى الشرطة.
- أوه، حسنًا، لكن أتدرين، الأمر مثير للاهتمام، لأنه ظهر هنا في وقت متأخر من ليلة الثلاثاء، وقد أتى من لندن بالقطار، ولا يستطيع أن يتذكر أي شيء، ثم تذكر ذلك المنزل قبل يومين، ذلك المنزل الذي كنت تسألين عنه. قال...
توقفت عن الحديث قبل أن تضيف:
- قال إنه يعتقد أنه كان يعيش هناك.

اختفى تعبير الازدراء ونفاد الصبر الذي كان يعلو وجه المرأة، وحدقت إلى أليس وقد فغر فمها. نظرت وراء أليس باتجاه فرانك، ثم عاودت النظر إلى أليس وقالت:

- أوه.

قالت أليس:

- أتساءل ما إذا كان بوسعك الانضمام إلينا؟ دقيقة واحدة فحسب؟ قد نكون شخصيات مختلفة في نفس الحكاية، هل تفهمين ما أقصده؟

أومأت المرأة برأسها، وتبعت أليس إلى طاولتهم وهي تضم ألبوم الصور إلى صدرها.

- اسمي أليس بالمناسبة، وهذه صديقتي المقربة ديري، وهذا... حسنًا، ندعوه فرانك، لكن في الواقع ليست لدينا أدنى فكرة عن اسمه الحقيقي.

سحبت أليس مقعدًا للمرأة، فجلست وقالت:

- اسمي ليليانا، لكن الناس ينادونني ليلي.

- ومن أين أنت؟

- أنا من كييف، في أوكرانيا.

- هل أنت متزوجة من رجل إنجليزي؟

- نعم. اسمه كارل. لكن...

توقفت عن الحديث ونظرت إلى كل واحد منهم بدوره، ثم ضحكت بتوتر وهي تتابع:

- حسنًا، هذا ليس اسمه أيضًا. لا، منذ أن أبلغت الشرطة عن اختفائه، أخبروني بأن جواز سفره مزور وأن هذا الشخص لا وجود له.

هزت كتفيها وهي تقول:

- هناك رجلان بلا اسم إذن. هذا أمر غريب.

ارتجفت أليس. بدت هناك حفرة مظلمة من الشر المجهول وراء كلماتها. رجلان بلا اسم. كان الأمر يتجاوز حد الغرابة.

وضعت ليلي ألبوم الصور على الطاولة أمام أليس وفرانك وفتحته، وقالت:

- هذا هو، هذا زوجي.

نظرت أليس إلى صورة رجل وسيم ذي شعر داكن وعينين ثاقبتين، يرتدي بدلة أنيقة.

نظر فرانك إلى الصورة، ثم وقف فجأة وانقلب مقعده إلى الخلف وراءه، ورفع يديه أمام فمه وقد شحب وجهه تمامًا.

أمسكت أليس ذراعه وقالت:

- فرانك؟ فرانك، ما الخطب؟

٤٩

١٩٩٣

انطلق جراي وكيرستي عبر المصاطب والممرات، حيث انحدرت حديقة كيتي بشكل حاد نحو البحر. لم يكن هناك ضوء، حيث حجبت قمم الأشجار ضوء القمر، وشرعا يركضان في عتمة تامة تقريبًا.

أخذت كيرستي تهذي.

- لقد قتلته! اللعنة! اللعنة! جراي! لقد قتلته!

هدأها جراي لاهثًا.

- أنتِ لا تعرفين ذلك! نحن لا نعرف شيئًا! واصلي الركض فحسب!

اضطر إلى سحبها خلفه ليمنعها من الانهيار، إذ كانت في حالة هستيرية.

التفت كي ينظر وراءه، متخيلًا أنفاسًا ثقيلة لاهثة مع كل حفيف لأوراق الشجر بالأعلى، ووقع خطى محمومة مع كل ارتطام للأمواج بالصخور في الأسفل. أحس بثقل جسد مارك الذي فارقته الحياة فوقه، لكنه كان لا يزال أبعد ما يكون عن الاقتناع بأن مارك قد مات.

وصلا إلى طرف الحديقة الآن، حيث كانت هناك بوابة معدنية صغيرة تؤدي إلى درج خشبي طويل وخطير متصل بواجهة الجرف. عاد القمر إلى الظهور،

وتحول كل شيء على الفور إلى اللون الفضي. تمكن جراي في ذلك الضوء من رؤية الحالة التي كانا عليها: تلطخت ملابسهما بالدماء، وتشابك شعرهما، وكانت ملابس كيرستي ممزقة تقريبًا. بدوَا كأنهما ممثلان من أحد أفلام الرعب، يتعثران في النزول على الدرجات الخطرة نحو الشاطئ الصخري بالأسفل. ثم جاء من خلفهما صوت لم يعُد من وحي خيال جراي المشحون بالأدرينالين، بل كان حقيقيًّا كالصخور التي تحت أقدامهما: أنفاس لاهثة لرجل، ووقع أقدام تصطدم بالدرج الخشبي.

همس جراي إلى كيرستي:

- هيَّا، أسرعي!

اقتربت الخطى وراءهما أكثر فأكثر عندما اقتربا من نهاية الدرج، وتسلقا معًا الصخور اللزجة، وأغرقهما رذاذ الأمواج تمامًا. شاهدا حركة على الشاطئ عند الخليج: ضوء مصباح يدوي، وشخص يتحرك على نحو متقطع.

همس جراي:

- أبي! انظري، إنه أبي.

التفت جراي بسرعة لينظر وراءه، فشاهد شخصًا يترنح فوق الصخور.

رفع يديه إلى فمه وصاح بأعلى صوته قبل أن يواصل التحرك:

- أبي! أبي!

تأرجح شعاع المصباح نحوهما، صغيرًا وضعيفًا من تلك المسافة، لكنه كان موجهًا نحوهما بكل تأكيد.

صاح الشخص البعيد على الشاطئ بشيء ما، لكن صوت الأمواج غطاه.

صرخت كيرستي:

- أبي!

تحركا أسرع الآن، وازدادت سرعتهما مع اقتراب الشخص الموجود على الشاطئ منهما.

كادا يصلان إلى حافة الصخور عندما تسلق الشخص الصخرة، وأعماهما ضوء

مصباحه اليدوي للحظة. وعند رؤية هيئة والده المألوفة خلف ضوء المصباح، أحس جراي بضربات قلبه تهدأ.

لكن توني بدا غاضبًا، وصاح:

- أنتما الاثنان، يا إلهي، لقد كنت...

ثم استقرت نظرته عليهما، وتأمل قميص كيرستي الممزق الملطخ بالدماء، وتعبير الرعب الشديد البادي عليها، وعندما نظر خلفهما ورأى مارك يظهر، صرخ قائلًا:

- ماذا فعلت؟ ماذا فعلت؟

تجمد مارك في مكانه. كان على بعد عشر أقدام تقريبًا. بدا كأن كل شيء توقف للحظة، حتى إن البحر سكن في الأسفل بينما الموجة التالية تتشكَّل ببطء. ثم اندفع مارك تجاه كيرستي فجأة، وتوجه نحوها مباشرة ولف ذراعه حول خصرها، وقبل أن تتاح الفرصة لجراي أو توني للتحرك، قفز معها إلى الأمواج المتلاطمة، وسط الصخور والظلام ودوامات البحر.

صرخ والده:

- لا!

- كيرستي! يا إلهي!

بعد ذلك، قفز كلاهما في البحر، فأحس جراي بالصدمة من تلاطم الأمواج الباردة على جسده الجريح، وهدير البحر وهو يغمر رأسه. تخبط جراي بحثًا عن شيء يتشبث به، حتى سمع صوت والده بالقرب منه فاتجه نحوه. كان يشير إلى جراي، الذي تبعه مستخدمًا ساقيه لدفع نفسه إلى الأمام، ممسكًا ذراعه المصابة بالقرب من جسده. أشار والده نحو الشرق، حيث رأى جراي هيئة شخصين بعيدين يتحركان عبر الخليج. كان مارك يسبح بسرعة حاملًا كيرستي معه. صاح والده:

- هيَّا!

صرخ جراي وسط الفوضى:

- معصمي مكسور! لا أستطيع السباحة!

صمت والده للحظة، ثم صاح:

- اخرج من الماء! اخرج الآن!

حدق جراي بعجز نحو مارك وكيرستي اللذين أخذا يبتعدان أكثر فأكثر، وشاهد والده يسبح بسرعة مبتعدًا عنه، وتضاءلت هيئته شيئًا فشيئًا حتى لم يعُد قادرًا على رؤيته تقريبًا. ترك الموجة التالية تحمله نحو الصخور، فزحف بصعوبة وألم حتى وصل إلى جرف صلب، حيث استلقى على ظهره للحظة عاجزًا عن الحركة. نبض قلبه بقوة وقفز داخل صدره، وكان معصمه ينبض بالألم. اعتدل جالسًا، لكنه لم يرَ شيئًا. اختفت هيئات الأشخاص البعيدين تمامًا. نهض على قدميه متألمًا، وزحف بصعوبة عبر الصخور حتى وصلت قدماه أخيرًا إلى أرضية الشاطئ الصلبة وبدأ في الركض. كان الشاطئ مهجورًا، ومن الأعلى أتاه صوت الموسيقى القادمة من البلدة، وسمع ضحكة أنثوية عالية النبرة، وسيارة تبتعد مسرعة. التفت ورأى أضواء منزل كيتي خلفه، لكن لم يظهر أي شيء في البحر.

صرخ وسط ظلام الليل:

- النجدة! ساعدوني!

ركض من دون توقف وهو يصرخ يائسًا في طريقه، ثم رأى فجأة هيئة شخص يزحف خارجًا من البحر. ارتمى الشخص بقوة على الشاطئ، واستلقى للحظة قبل أن يعتدل جالسًا. أسرع جراي في خطواته، وسقط على ركبتيه لاهثًا بجانب والده.

صاح:

- أبي! أين كيرستي؟ أبي!

لم يقل والده شيئًا، بل ارتمى على جانبه ورفع ركبتيه إلى صدره، ثم استلقى على ظهره مرة أخرى وضغط على قلبه بيديه ودلكه وقال لاهثًا:

- يا إلهي! يا إلهي!

نظر جراي نحو البحر، حيث تدفقت الأمواج الضخمة كسجاد ينفرد، وامتدت عند قدميه في رغوة لامعة. تلألأ سطح البحر وتموج، وأبحرت سفينة سياحية في

الأفق، بينما عبرت طائرة بالأعلى في صمت. حدق جراي في يأس إلى أمواج البحر المتقلبة، آملًا في العثور على أي علامة تشير إلى وجود كيرستي.

- أبي! انهض! أبي! أين هي؟ أين كيرستي؟

لكن والده كان لا يزال ممسكًا صدره، ولاحظ جراي أن أنفاسه باتت لاهثة أكثر، بدلًا من أن تهدأ.

- أبي! انهض!

نظر إلى البحر ثانية، نحو الفضاء الأسود الشاسع، ثم عاود النظر إلى والده. لهث والده قائلًا:

- أنا... لا أستطيع... التنفس... قلبي...

- يا إلهي!

أبعد جراي شعره عن وجهه، وضرب الرمال بقدميه.

- أوه، يا إلهي، أبي. أوه... اللعنة!

نظر خلفه مرة أخرى إلى قمم المباني في البلدة، ومسح الممشى بعينيه بحثًا عن أي أشخاص. رأى زوجين يمشيان مع كلبهما، وقد أحاط كلٌّ منهما الآخر بذراعه. صرخ قائلًا:

- النجدة! أوه، اللعنة، ساعدوني!

أدرك حتى وهو ينادي أن الأمر ميؤوس منه، وأنهما لا يستطيعان سماعه. واصل الزوجان السير، غافلين عما يجري على الشاطئ. خر جراي على ركبتيه، وجذب والده وحاول أن يعدله فيما يشبه وضعية التعافي التي تعلمها في الكشافة، لكنه لم يستطع فعل الكثير بيد واحدة. أبعد يدَي والده عن صدره، وبدأ يحاول إنعاش قلبه بيده اليسرى، وهو يعد الفترات الفاصلة بصوت منخفض. بيد أن ذلك كان بلا جدوى، حيث لم ينجح الإنعاش القلبي الرئوي بيد واحدة. التفت وصرخ مرة أخرى تجاه الزوجين اللذين أخذا يبتعدان على الممشى، ثم شرع في البكاء، وصاح:

- أبي، لا أستطيع القيام بذلك! لا أستطيع! أوه، اللعنة! أبي، ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟

تصلب جسد والده، وعادت يداه إلى قلبه، وأخذ يحك صدره كأنه يريد حفر عظامه وانتزاع قلبه. قفز جراي واقفًا ونظر صوب البحر مجددًا. لم يرَ شيئًا، فاستدار ثانية لينظر ناحية الممشى. مر المزيد من الناس الذين كانوا يتناولون الشراب حتى وقت متأخر من الليل، وساروا في مجموعات وهم يغنون ويتصايحون.

صرخ جراي:

- النجدة! ساعدونا!

بدأ نفس والده يضيق، وهو يجذب ياقة قميصه المبلل بقوة.

أدرك جراي فجأة أنه يحتضر. كان والده يحتضر، واختفت شقيقته في بحر الشمال مع مختل عقليًّا، ولم يكن بوسعه أن يفعل شيئًا حيال ذلك، لا شيء على الإطلاق.

أراح جراي رأس والده على حجره، ومسح جبهته، وقبَّل وجنتيه، واحتضنه بالقرب من بطنه وهو ينظر إلى البحر وإلى السماء الحالكة المرصعة بالنجوم خلفهما، وإلى البلدة الغافلة، وشعر بالحياة وهي تنسل من والده، تنسل بسرعة كبيرة للغاية حتى إنه شعر بالغثيان، وصرخ:

- أوه لا. أوه لا، أوه لا، أوه لا. لا يا أبي. ليس أبي، ليس أبي. لا يا أبي، لا. أرجوك يا أبي، أرجوك. يا إلهي! يا إلهي! يا إلهي!

وبعد بضع ثوانٍ أدرك أن الأمر قد انتهى. لم يَعُد هناك وقت لتبادل كلمات أخيرة للطمأنة أو التعبير عن الحب. لم يكن هناك وقت لأي شيء آخر سوى الاستماع إلى الأنفاس الأخيرة للرجل الذي رباه، لاستنشاقها والتشبث بها كأنها قطرات من جوهره الثمين. ألقى جراي رأسه على صدر والده، وبكى فوق قميصه البارد المبلل. انتحب قائلًا:

- ليس أبي، ليس أبي.

رفع رأسه إلى السماء وصرخ نحو القمر.

ظل الموج يتقدم ويتراجع خلفه، مشكِّلًا زبدًا فوق الرمال، لكن البحر المظلم الممتد ظل خاليًا.

٥٠

سألت ليلي الرجل المدعو «فرانك»:

- هل غرق؟ مارك؟ هل غرق؟

أجاب فرانك:

- نعم.

نقرت ليلي ألبوم الصور بنفاد صبر، بأظفارها المطلية بعناية.

- وهذا هو؟ هل هذا هو الرجل الذي تدعوه مارك؟

أومأ فرانك برأسه، لكنه لم يبدُ متأكدًا.

قالت ليلي وهي تحاول جاهدة إخفاء الإحباط من نبرتها:

- حسنًا، هذا غير منطقي، لا يمكن أن يكون هذا كارل، لأنني متزوجة من كارل وهو لم يغرق!

بدا الرجل المدعو «فرانك» كأنه يتعامل ببطء شديد مع الأفكار الكثيرة التي تدفقت إليه دفعة واحدة.

- أعتقد... أعتقد أنني رأيته. لقد رأيته.

سألته المرأة المدعوة «أليس»:

- رأيت من؟

ضيقت ليلي عينيها ونظرت إليها، تتفحصها من كثب. كانت تتسم بشيء ما، شيء من الحيوية والاعتزاز، مما خلق في ليلي إحساسًا بالضآلة نوعًا ما، فشعرت بأنها كالقطة في حضور كلب، وأرادت أن تظهر لها أنها أكثر حيوية واعتزازًا.

- مارك، كارل، هذا الرجل...

لوح فرانك على نحو مبهم ناحية ألبوم صور الزفاف وتابع:

- لقد رأيته عندما كنت مع تلاميذ المدرسة. كنت مع تلاميذ المدرسة، وكان هو هناك، وأنا... أسقطت كوب قهوتي على الأرض. كان هو، لم يكن ميتًا.

شحب وجهه أكثر، ولمسته أليس، لمسته برفق شديد حتى إن ليلي ظنت أنها لا بد أن تكون واقعة في حبه.

قاطعته ليلي:

- متى؟ متى رأيته؟

أجاب ويداه ترتعشان:

- لا أدري، كان ذلك مؤخرًا، على ما أعتقد. كنت أرتدي قميصًا.

تحسست أصابعه ياقة قميصه وأضاف:

- وسترة.

حاكى بأصابعه حركة تحسس طية صدر السترة.

- كنت أشرب القهوة في لندن، وكان هو هناك...

أرادت ليلي أن تصفعه. لماذا يتحدث بهذا القدر من الغموض؟ قالت:

- من فضلك، رجاءً، لا أريد أن أسمع المزيد عن القهوة. أخبرني ماذا حدث. كيف يمكن أن يكون زوجي قد غرق في البحر قبل لحظة، وفي اللحظة التالية يظهر حيًّا أمامك؟

قالت المرأة الصهباء:

- ربما كان لديه توأم متطابق.

كانت ليلي على وشك التنهد، لكنها تمالكت نفسها. ربما تستحق هذه الفكرة

بعض التفكير، حيث إن هذا سيعني أن كارل لم يكن ذلك القاتل الفظيع من عشرين عامًا مضت.

التفت الجميع لينظروا إلى فرانك، كما لو كانت لديه إجابة لهم، لكنه جلس هناك فحسب، شاحبًا ومتعرقًا.

قال بعد لحظة:

- انظري، أتفهَّم مدى رغبتك في معرفة ما حدث لزوجك، لكنني فقط... أتمنى لو كان بوسعي توضيح الأمر. أشعر كأنني أشاهد فيلمين في نفس الوقت، لكن من دون تزامن، لذا أحاول ترتيب كل شيء في ذهني، مشهدًا تلو الآخر، لكن بعض الأجزاء تتداخل مع بعضها، والبعض الآخر لا يظهر بالترتيب الصحيح. ويبدو كل شيء صاخبًا للغاية، وساطعًا بدرجة زائدة. أنا فقط...

قالت أليس:

- هل تريد الذهاب للتمشية؟ واستنشاق بعض الهواء؟

صاحت ليلي:

- لا! لا، أرجوكِ، لا، بل الآن، لا بد أن أعرف الآن.

تشتت انتباه المرأة الصهباء بسبب رنين هاتفها، وعبست عندما رأت الرقم على الشاشة وقالت:

- من هذا بحق الجحيم؟

بدا أنها لن ترد على المكالمة، لكنها تنهدت ونقرت على الشاشة وقالت:

- نعم؟

بدا واضحًا أن المكالمة مثيرة للاهتمام للغاية، ووضعت يدها على الهاتف بعد دقيقة وقالت:

- إنها الصحفية، من جريدة رايدنجهاوس جازيت، التي كتبت المقال الأصلي. أعطاها المحرر رقمي، وهي متحمسة للغاية للقائنا. هل أطلب منها المجيء إلى هنا؟

تبادلت أليس وفرانك النظر إلى بعضهما، ثم أومآ برأسيهما.

قالت ليلي:

- أي صحفية؟

أسكتتها المرأة الصهباء بوقاحة، واستأنفت محادثتها، وبدا أن الصحفية ستأتي في غضون نصف ساعة.

قالت ليلي:

- من تكون؟ من هذه المرأة؟

- اسمها ليزلي وايد، كتبت مقالًا عن وفاة والد فرانك في عام ١٩٩٣، وتقول إنها تعرف المزيد عن القصة، وعما حدث بعد ذلك.

أومأت ليلي برأسها، وفكرت في أنه من الجيد وجود شخص لديه الحقائق، بدلًا من شخص مرتبك يختلق الأمور. لماذا لم يُودع هذا الرجل، فرانك، في المستشفى؟

التفتت أليس إلى فرانك وربتت على يده قائلة:

- ماذا حدث لكيرستي؟ هل...؟

التمعت عينا فرانك بالدموع، وقال وهو ينظر إليها بيأس:

- لا أستطيع رؤيتها وهي تخرج من البحر. لقد بحثت عنها، لكنها لم تخرج من البحر. كيرستي ليست هناك.

الجزء الثالث

٥١

قبل أسبوعين

كان السفر إلى لندن برفقة ثمانية أولاد في سن الرابعة عشرة أشبه بكونك مدربًا في السيرك. لم يسع جراي سوى افتراض أنه في حياتهم خارج المدرسة، كان هؤلاء الأولاد يستقلون القطارات، ويسيرون على الأرصفة، ويمشون جنب الناس، ويشاهدون لوحات إعلانية تصور أشخاصًا شبه عراة، لكن في سياق الرحلة المدرسية، بدا الأمر كأنهم جميعًا خرجوا للتو من غرفة للعزل، فأخذوا يلمسون الأشياء ويتأرجحون بين الأعمدة ويتصايحون... أوه، كم تصايحوا بشدة. كان هؤلاء من أذكى طلابه، الأفضل على الإطلاق، وبعضهم يكاد يكون عبقريًّا بالفعل، وكانوا في طريقهم إلى الدور نصف النهائي لمسابقة الرياضيات بين المدارس التي أُقيمت في إحدى الجامعات.

كان يومًا عاصفًا، والسماء غائمة، والمطر على وشك الهطول. وكان جراي لا يزال يعاني آثار شرب الخمر في الليلة الماضية، وأراد تناول القهوة في أحد الأماكن العديدة التي شاهدها منذ أن نزلوا من القطار في محطة فيكتوريا. لكنه كان مقيدًا بأولئك الأولاد، ولم يستطع أن يرفع نظره عنهم للحظة. أخيرًا، اقتربوا من القاعة التي ستقام فيها المسابقة. وبدا أن عظمة المكان – السقف

المصنوع من الزجاج الملون والقبة الشاهقة والثريات التي يبلغ وزنها نصف طن والتماثيل الرخامية والألواح الخشبية المصقولة المصنوعة من خشب الماهوجني - قد هدأت طلابَه عندما دخلوا. سجل جراي أسماءهم بينما وقفوا في صمت ورهبة، ثم قادهم إلى المكان المخصص لهم في غرفة مشحونة بمشاعر التنافس الإقليمي بين تلاميذ المدارس المختلفة الذين أُجبروا على تقاسم نفس المكان. سلمهم جميعًا أكوابًا من الماء وأوراقًا للتدريب، ثم توجه إلى مكتب التسجيل مرة أخرى.

- هل يمكنني الخروج دقيقة أو دقيقتين لتناول القهوة؟

- هل تم تسجيل جميع أفراد مجموعتك؟

- نعم، إنهم في غرفة التحضير.

أومأ موظف مكتب التسجيل برأسه، فلاذ جراي بالفرار.

اشتدت الريح، فتطايرت في الهواء أوراق الصحف وغبار المدينة. لف معطفه حول جسده بإحكام، وتوجه إلى مقهى كوستا الذي رآه قبل دخوله. طلب قهوة أمريكية مركزة، وكعكة شوكولاتة، وعندما غادر المتجر واستدار عائدًا نحو مبنى الجامعة، رآه.

غام نظره، وتسارعت دقات قلبه. عاد إلى حلقه الكحول الفاسد الذي ظل يحاول احتواءه طوال الصباح، وللحظة ظن جراي أنه سيتقيأ. تجمد في مكانه، يحمل قهوته في إحدى يديه، والكعكة في الأخرى، وراقب الرجل وهو يسير على الرصيف المقابل. كان لا يزال نحيلًا جدًّا، وكان يرتدي قميصًا ورديًّا وربطة عنق مخططة وبنطال بدلة ضيقًا. بدا عليه الشعور بالبرد والريح تعصف من حوله، كأنه في حاجة إلى سترة أو معطف. صار شعره أطول الآن - كان قصيرًا جدًّا حينها - والريح تبعثر خصلاته. بدا منشغلًا بذلك الأمر، وظل يحاول تسويته بأصابعه، لكن الريح ظلت تهوش شعره من جديد. عرف جراي أنه هو من زاوية فكه وأنفه الحاد. كان شابًّا وسيمًا، وصار الآن رجلًا وسيمًا. قد يظن الغريب الذي يمر به في الشارع أنه يبدو أصغر سنًّا من عمره الحقيقي، لكن جراي كان يعرف

بالضبط كم عمره. آخر مرة رآه فيها كان شابًّا نحيلًا مغرورًا في التاسعة عشرة من عمره، ولا بد أنه يقترب من الحادية والأربعين من عمره الآن.

ارتخت أصابع جراي من فوق حافة كوب القهوة، وسقط الكوب على الأرض، فشكَّلت القهوة الساخنة بركة عند قدميه، وتسربت إلى غطاء بالوعة صرف.

ألقى جراي نظرة سريعة في اتجاه الجامعة، ثم عاود النظر ناحية الرجل الذي كان على الجانب الآخر من الطريق. كان ينعطف عند الزاوية، فأسرع جراي من خطاه وتبعه، وتوقف عندما رآه يدخل مبنى إداريًّا عبر باب دوار.

ترنح جراي للحظة وسط الريح العاتية، وحفظ الاسم المكتوب على باب المبنى، ثم عاد إلى طلابه، وقد صارت آثار سكر الليلة الماضية مجرد ذكرى بعيدة، ولم يَعُد يشغل تفكيره سوى شيء واحد.

كان مارك تيت على قيد الحياة.

وإذا كان مارك تيت على قيد الحياة، فهل هذا يعني أن كيرستي على قيد الحياة أيضًا؟

٥٢

دخلت ليزلي وايد إلى المقهى، وأدركت أليس من قبل أن تقترب منهم حتى أنها صحفية. كانت امرأة ضئيلة للغاية بادية الفظاظة، لها شعر أبيض قصير وترتدي نظارة لافتة للنظر مرصعة بالأحجار اللامعة.

فردت جوانب منديلها الورقي بأصابعها ذات الأظفار المطلية باللون الوردي الزاهي، وأمعنت في فرانك باهتمام وقالت:

- أنت الابن المراهق الغامض إذن.

- هل أنا هو بالفعل؟

أومأت برأسها.

- كانت تلك القصة أغرب شيء على الإطلاق، فائقة الغرابة. ما الذي تتذكره؟

هز فرانك رأسه.

- أذكر أبي وهو يموت بين ذراعَي، وشقيقتي في البحر، وذلك المنزل الأبيض، والشاب المدعو مارك، ثم رأيته بعد ذلك في لندن وهو ذاهب إلى مكتبه، وتذكرت أنه هاجم شقيقتي، وأسقطت قهوتي.

هز رأسه ثانية، واعتُصر قلب أليس ألمًا من أجله. تابع قائلًا:

- ولا أذكر شيئًا بعد ذلك، حتى وجدتني أنيس على الشاطئ.

فردت ليزلي أصابعها على سطح الطاولة، وخفضت نظرها، ثم رفعت عينيها مجددًا، وشرعت قائلة:

- في عام ١٩٩٣، عثرت امرأة محلية على شاب يُدعى جراهام روس جالسًا بجوار جثة والده على الشاطئ. لم يكن يعرف اسمه، ولا من يكون ذلك الرجل، ولا سبب وجوده هناك.

حبست أليس أنفاسها. لقد وقع هذا الأمر لفرانك من قبل.

- كانت شقيقته مفقودة، وكذلك صديقها، مارك تيت، ولم يُعثر على أيٍّ منهما قَطُّ. كان الاستنتاج في ذلك الوقت، في غياب أي دليل من جراهام بوصفه شاهدًا، هو أن جراهام وكيرستي روس كانا في حفلة في منزل زوجة عم مارك، حيث جرى تناول المخدرات والكحول. وقد قرروا جميعًا الذهاب للسباحة في وقت متأخر من الليل، وواجهوا صعوبات. وبعد فشله في العثور عليهم في منزل السيدة تيت، ذهب السيد روس للبحث عنهم على الشاطئ، وتُوفي بنوبة قلبية حادة في أثناء محاولة إنقاذهم. وتسببت صدمة رؤية والده يموت بين ذراعيه في دخول جراهام المسكين في حالة مؤقتة من الشرود الانفصالي.

قالت أليس:

- إنه في حالة من الشرود الآن.

قالت ليزلي وهي تنزل يديها على حجرها:

- حقًّا؟ في هذه الحالة، يجب أن يكون في المستشفى، ألا تعتقدين ذلك؟

تصلبت أليس وهي تتخذ موقفًا دفاعيًّا، وأجابت:

- لقد أخبرته بذلك منذ البداية، لكنه رفض. وكنت سآخذه إلى مركز الشرطة اليوم، حرفيًّا. كنا نتناول القهوة على سبيل الوداع قبل رحيله.

تجاهلت ليزلي هذا والتفتت إلى ليلي قائلة:

- ذكريني مجددًا، ما دورك أنتِ في كل هذا؟

أجابت ليلي:

- لقد أخبرتك، أنا متزوجة من الرجل الذي من المفترض أنه غرق في البحر هنا في عام ١٩٩٣، وفقًا لقولك.

صمتت ليزلي للحظة والتقطت أنفاسها، ثم قالت:

- اسمعوا، ربما علينا أن نؤجل اصطحاب فرانك... جراهام... أيًّا كان... إلى المستشفى أو الشرطة الآن. أعتقد، ربما...

نقرت بأظفارها الوردية اللامعة على الطاولة وتابعت:

- أعتقد أنه يمكننا القيام بشيء ما، شيء لا يتضمن إشراك آخرين.

نظرت إليها ديري بحدة.

- هل تعنين أنك تريدين نشر مقال؟

- حسنًا، لا، ليس مقالًا كاملًا بالضرورة، بل تقرير للاطلاع على آخر المستجدات، أتفهمين؟ «ماذا حدث للمراهق الذي عُثر عليه على الشاطئ؟»، شيء من ذلك القبيل.

ابتسمت ليزلي ابتسامة قط يطارد فأرًا، وبدا واضحًا ما تسعى خلفه، لكن أليس لم تكترث، ما دام ذلك يعني بقاء فرانك لمدة أطول.

نظرت ديري إلى أليس بقلق، فهزت أليس رأسها، وأدارت ديري عينيها في محجريهما.

أخرجت ليزلي بالفعل مفكرة وقلم حبر جاف من حقيبتها وجلست في وضع الاستعداد.

- حسنًا، فرانك، أم جراهام... أيهما تفضل؟

همس قائلًا:

- فرانك.

فذاب قلب أليس.

قالت ليزلي:

- حسنًا يا فرانك، لقد غادرت رايدنجهاوس، وعدت إلى المنزل مع والدتك، من دون أختك، ومن دون والدك. ماذا حدث بعد ذلك؟ هل استعدت ذاكرتك؟

- أعتقد ذلك. أعني، لا بد أنني استعدتها. أتذكر أمي الآن. ما زلت أعرفها، وأعيش بجوار منزلها تقريبًا. وتذكرت والدي وشقيقتي، كما تذكرت وجودي في الحانة تلك الليلة، وعودة مارك وأصدقائه معي إلى المنزل، حيث تركتهم يقنعون كيرستي بالحضور إلى الحفلة معنا. وقد تذكرت بعضًا من الحفلة أيضًا، والموسيقى الصاخبة، وبعض الأشخاص الغريبين، وتقبيل فتاة تُدعى إيزي. وتذكرت أيضًا أشياء من قبل العطلة، أصدقائي من كرويدون...

قاطعته أليس:

- أنت من كرويدون؟

كان ذلك على بعد ميل أو ميلين فقط من بريكستون. طوال تلك السنوات، كانا قريبين جدًّا من بعضهما.

قال:

- نعم، أعتقد ذلك. هذا ليس مكانًا رائعًا للغاية، أليس كذلك؟

قالت أليس:

- لكنني أحب كرويدون! ومركز تسوق ويتجيفت!

ابتسم لها فرانك، ثم التفت إلى ليزلي مجددًا عندما تنحنحت، وتابع:

- عند العودة إلى المنزل، استأنفت حياتي من حيث تركتها من قبل. عدت إلى المدرسة، وأمضيت وقتًا مع أصدقائي القدامى، وحصلت على الشهادة الثانوية. وأعتقد أنني خضعت للعلاج النفسي لفترة طويلة، لكنني لم أستعِد ذكريات تلك الليلة قَطُّ، وتقبلت رواية الشرطة للأحداث فحسب، أننا جميعًا قفزنا إلى البحر تحت تأثير المخدرات، وأن مارك وأختي غرقا. من دون أي ذكريات عن باقي الأحداث، بدا ذلك هو التفسير المنطقي الوحيد. كنت أتساءل في بعض الأحيان عما إذا نسيت شيئًا مهمًّا، شيئًا من شأنه أن يعطي المزيد من المعنى لما حدث. لكنه ظل دفينًا، حتى ذلك اليوم في لندن عندما رأيته.

رفعت ليزلي قلمها فوق المفكرة في وضع الاستعداد وهي غارقة في التفكير، وقالت:

- نعم، وما الذي تتذكره عن ذلك الآن؟

أغمض عينيه بإحكام.

- أنا... يا إلهي! أنا آسف. لا يزال عقلي عالقًا عند تلك اللحظة، لحظة سقوط القهوة فقط...

حنى رأسه على صدره، وعيناه لا تزالان مغلقتين.

- امنحيني دقيقة واحدة فحسب.

قالت ليزلي:

- بالتأكيد يا فرانك، خذ وقتك. نحن لسنا في عجلة من أمرنا.

حاول فرانك أن يتذكر مسابقة الرياضيات. هل فازوا؟ كيف سارت الأمور؟ تدفقت الأسماء إلى ذهنه: زاك، نازيا، محمد، سام، عائشة، كريستال، هانا، كينج. أسماء الأولاد الذين كانوا في مجموعته. وماذا بعد؟ العودة إلى المدرسة؟ المزيد من الدروس؟ لا، كانت عطلة عيد الفصح، ولم تكن هناك مدرسة. عاد الجميع إلى منازلهم بعد ذلك. لكن كيف عاد إلى منزله؟ بالسيارة؟ أم بالحافلة؟ رأى الرقم ٧١٢، ورأى نفسه يضغط بطاقة أويستر(*) خاصته إلى الجهاز القارئ، ثم يجلس في الخلف ويضع حقيبة جلدية على حجره. عاد بعد ذلك إلى شقته، التي تذكرها في الليلة الماضية. كانت تقع في شارع قذر، وأضاء نورًا عندما مرَّ في الزقاق باتجاه بابه الأمامي. عبقت الشقة برائحة وجبة القطة الصباحية، فرمى ما تبقى منها وغسل الطبق وملأه مجددًا، بينما دارت القطة المُسمَّاة «بريندا» حول قدميه.

انشغل بتصحيح واجبات الأولاد المدرسية، وشاهد التلفزيون. بحث في

(*) بطاقة أويستر: بطاقة ذكية تُستخدم في الدفع داخل مواصلات النقل العام في لندن ونواحيها في المملكة المتحدة. (المترجمة).

جوجل عن اسم البناية التي رأى مارك تيت يدخلها، فوجدها شركة خدمات مالية. نقر على رابط «من نحن»، ثم مرر الشاشة إلى الأسفل حتى وجد صورته. كان اسمه، على ما يبدو، كارل مونروز. أخرج شيئًا من الثلاجة ليتناوله على العشاء: لازانيا على ما يتذكر، أعدتها له والدته في الأسبوع السابق، عندما كان مصابًا بالأنفلونزا.

ثم قادته أفكاره على نحو مربك من تناول اللازانيا المُعاد تسخينها على الأريكة في شقته إلى رصيف القطار، وهو يرفع نظره إلى الأعلى على الرصيف رقم أربعة، ليلحق بقطار الساعة ٥:٠٦ المتجه إلى إيست جرينستيد، وسط حشد من الناس المرهقين بعد يوم العمل، وعيناه مثبتتان على مؤخرة رأس مارك تيت. ثم تغير الخط الزمني، ووجد نفسه في المدرسة، جالسًا في مكتب شخص ما. بدت المدرسة مهجورة على نحو غريب، وكان يرتدي الجينز. كانوا لا يزالون في عطلة، وطلب الإذن لإجازة طارئة، لأن جده يحتضر. هل لديه جد في الواقع؟ كان الرجل الجالس خلف المكتب كبيرًا في السن، وذا وجه بادي الإرهاق، وله شعر أفريقي قصير. أومأ برأسه وبدا عليه الحزن وهو يقول:

- فلتأخذ بضعة أيام. يمكننا تغطية غيابك لمدة أسبوع أو نحو ذلك.

كُتب على اللافتة المعلقة فوق بابه: «السيد جوزايا هاردمان، مدير المدرسة».

ناولته أليس كوبًا من الشاي فوق طاولة المقهى، وقالت:

- هل أنت بخير؟

أتاه صوتها كصدى موسيقى بعيدة.

تذكر اتصاله هاتفيًّا بوالدته:

- أنا في دورة تدريبية في الريف، ولن تتمكني من الاتصال بي.

وتذكر والدته وهي تقول له:

- كن حذرًا. سأفتقدك.

وتذكر إحساسه حينها، وشعوره الدائم لإدراكه أنه الناجي الوحيد من عائلة والدته الصغيرة، وإدراكه أن كل رحلة يقوم بها، وكل خيار يتخذه، وكل شخص

يدخله إلى حياته يسبب لوالدته ألمًا شديدًا ناتجًا عن الخوف، وإدراكه أنه لا يستطيع أن يتركها أبدًا، وأنه مرتبط بها حتى مماتها، مثل مالك كلب وفي لكنه يقيد حياة صاحبه.

في النهاية، قال:

- لقد تبعته، تبعت ذلك الرجل في القطار.

رمقته ليلي بنظرة رعب.

- كارل؟ هل تعقبت كارل؟

أجاب فرانك:

- نعم، أذكر أنني ركبت قطار الساعة ٥:٠٦ المتجه إلى إيست جرينستيد، وجلست في الطرف المقابل له من العربة. راقبته مثل الصقر، حتى نزل عند...

قاطعته ليلي:

- أوكستيد.

قال فرانك:

- نعم، أوكستيد، وتعقبته مرورًا بالمحلات التجارية، وعبر طريق ذي اتجاهين، وعبر موقع بناء.

سألته ليلي:

- وماذا بعد؟

- تبعته إلى مبنى سكني.

قالت ليلي:

- يا إلهي! لقد أتيت إلى منزلي. رباه! ماذا فعلت حينها؟ هل تجسست علينا؟ أو ربما قتلته؟ لقد أخذته إلى موقع البناء هذا. لقد أخذته إلى هناك وقتلته، أليس كذلك؟ لقد رأيتُ ذلك الضوء الوامض في النافذة، وأدركتُ أن ثمة خطبًا ما.

التفت الناس لينظروا إليها، وهي تشير إلى فرانك بعدوانية، ونبرة صوتها

حادة. مدت يدها إلى الجيب الأمامي لحقيبة يدها الصغيرة اللامعة وأخرجت هاتف آيفون، وقالت:

- سأتصل بالشرطة، إنهم يحققون في قضية اختفاء زوجي، ولديَّ رقمهم المباشر. سأتصل بهم على الفور...

وضعت ليزلي يدها على يد ليلي لتهدئها، وقالت:

- لا، هذه ليست فكرة جيدة.

- بل هي فكرة جيدة للغاية، فربما لا يزال على قيد الحياة. يمكنهم الذهاب إلى هناك الآن والتحقق من الأمر.

قالت ليزلي بحزم أكبر:

- لا.

انشغل عقل فرانك بالتحليل والمعالجة وإعادة الترتيب والتصنيف، ثم رأى نفسه فجأة في غرفة خالية، بها نوافذ زجاجية عريضة مغطاة بالبلاستيك. ورأى هاتفًا محمولًا يندفع في الهواء، وبدا أن هناك شيئًا ما وراء تلك الصورة، ضجيج، وصوت ما، وجزء من شيء صغير جدًّا بحيث لا يمكن التعرف عليه.

ثم تغير المشهد، ولم يَعُد فرانك في نفس المكان. كان يتعقب مارك تيت، ويتبعه إلى مقهى. كان يرتدي قبعة بيسبول، وراقب مارك تيت وهو يطلب القهوة والمخبوزات بالشوكولاتة. بدا سلوكه مع الفتاة غير الجميلة الواقفة خلف الطاولة فظًّا ووقحًا. ثم تبعه جراي إلى الشارع، وتعقبه حتى مكتبه. تسارعت دقات قلبه، وأحس بالعرق يتجمع تحت حافة قبعة البيسبول التي يرتديها. وفي كل مرة نظر فيها إلى مارك تيت، أحس كأنه يعود إلى غرفة النوم تلك، ويسمع صوت تمزق قميص شقيقته، ويشعر بالألم الحار النابض في معصمه المكسور، وإيقاع الموسيقى النابض يتردد صداه عبر الأرضية الخشبية. فاض ذهنه بالأحمر والأسود من الرعب والاشمئزاز والغضب والكراهية. كان الشيء الوحيد الذي يريده فحسب هو قتل مارك تيت. لكنه لم يستطع قتله، لأنه كان بحاجة إلى التحدث معه أولًا. كان بحاجة إلى معرفة ماذا حدث لكيرستي. هل هي على قيد الحياة؟

وإذا لم تكن على قيد الحياة، فكم من الوقت بقيت على قيد الحياة في تلك المياه الباردة المظلمة؟ وأين جثتها؟ ولماذا؟ لماذا، لماذا، لماذا؟

جذب فرانك ألبوم صور زفاف ليلي نحوه، وأجبر نفسه على النظر إلى وجه مارك. تذكر المرة الأولى التي رأى فيها ذلك الوجه، في تلك الظهيرة الدافئة على الشاطئ، وكيف درس ملامحه وأبعاده، وكيف عالج عقله في جزء من الثانية زواياه ونسبه، ووجده بغيضًا. انتابه نفس الشعور الآن وهو يطالع الملامح الحادة لهذا الرجل الأربعيني الذي تزوج شابة في نصف عمره.

نظر إلى ليلي وسألها:

- هل هو لطيف معك؟

- إنه يعاملني كأميرة.

- لكن هل هو لطيف معك؟

- لا أفهم سؤالك.

رأى فرانك نفسه الآن في الدفيئة الزراعية الخاصة بكيتي، وجلست هي هناك بادية النحول والهشاشة، ويدها ترتجف بعض الشيء وهي ترفع إبريق الشاي. فسر سلوكها حينها بوصفه عدوانيًّا، وافترض كونها تشعر بالاستياء لاضطرارها إلى استقبال ضيوف غير مدعوين، لكن ماذا لو كانت خائفة من مارك؟ ماذا لو...؟

هربت منه أفكاره، فأغلق الألبوم ووضع رأسه بين يديه.

قال:

- لقد أخذت إجازة من العمل لبعض الوقت، وكان من المفترض أن أعود الأسبوع الماضي. سأُطرد من وظيفتي على الأرجح.

حثته ليزلي على الحديث قائلة:

- هل كانت لديك خطة إذن؟

- أعتقد ذلك، لا أدري... أردت التحدث إلى مارك. أردت أن أجبره على إخباري بما حدث لكيرستي. كنت بحاجة إلى المكان، والوقت، ثم...

عاد إلى الغرفة الخالية ذات النوافذ الزجاجية، ورأى انعكاسه في النوافذ

الداكنة بفعل الظلام في الخارج. كان بمفرده، يحمل حقيبة ممتلئة بالأغراض، وأخفى الحقيبة في خزانة المطبخ الفارغة.

- وجدت مكانًا، و...

تدفقت ذكرياته وتزاحمت، وأحس بالغثيان.

- أخذته إلى هناك.

٥٣

لم يكن بوسع جراي الاقتراب من مارك ببساطة فحسب وسط الطريق، حيث سيهرب مارك ويصيح، وسينكر أنه مارك تيت، وسيخبر المارة بأن هذا الرجل المجنون يضايقه، وسيثير ضجة، وبمجرد أن يتخلص منه، سيختفي مجددًا.

ولن يتمكن جراي من العثور عليه أبدًا هذه المرة.

لذا وضع جراي خطة.

أخبر مدير المدرسة بأن جده المُتوفى منذ زمن طويل يُحتضر، وطلب إجازة طارئة لبضعة أيام فقط، تكفي لإعداد كل شيء. كما أخبر والدته بأنه سيذهب إلى دورة تدريبية، ثم بدأ في تعقبه.

اعتاد مارك تيت الالتزام بنفس العادات والسلوكيات: كان يرتدي نفس البدلة الزرقاء الداكنة الضيقة كل يوم، ويشتري نفس القهوة والمخبوزات بالشوكولاتة من نفس المقهى في نفس الموعد، ويعبر الباب الدوار بنفس الخطوات المتبخترة، ويلقي نفس التحية اللزجة على الفتاة الجميلة عند مكتب الاستقبال. كان موظفًا عاديًّا بسيطًا. بعد كل حديثه ذاك عن كونه سيصبح مليونيرًا... ما الذي حدث لكل تلك الخطط الكبرى؟

في يوم الثلاثاء، بعد التأكد من حضور مارك تيت إلى العمل كالمعتاد، توجه

جراي إلى منزله، وحزم حقيبة ظهر بالأشياء التي سيحتاج إليها من الشقة: حبل، أطعمة محفوظة، بطانية، بعض السكاكين، كاميرته، لفافة ورق تواليت، حزام، غطاء وسادة، وسادة قابلة للنفخ، كيس للنوم، شاحن هاتف، مصباح يدوي. ثم ترك لبريندا ثلاث عبوات من طعام القطط وكومة كبيرة من البسكويت المخصص للقطط، وأخذ الحقيبة معه من كرويدون إلى فيكتوريا، ثم من فيكتوريا إلى أوكستيد.

سار عبر الطريق الذي أصبح مألوفًا له الآن، من المحطة إلى بناية مارك السكنية، لكن قبل أن يصل إلى هناك، توقف ووسع الشق الذي اكتشفه بالأمس في السياج خارج موقع البناء المجاور. بحث عن المشروع على جوجل في اليوم السابق، وكما اشتبه حينما لم يرَ أي عمال بناء يشتغلون في الموقع، تأكد من إفلاس المشروع وتوقف أعمال البناء، بينما يبحث المطورون عن مستثمر جديد. ظل العمل في الموقع مجمدًا لمدة عام تقريبًا الآن، بحسب تقرير قرأه في إحدى المجلات المتخصصة، والمكان مهجور تمامًا.

شق طريقه كما فعل بالأمس، حول الجزء الخلفي من البناية الكائنة في أول صف، وهي الوحيدة المجهزة بالكامل. كان هناك مصرف مياه خلف البناية، واعتقد جراي أن هذا هو المكان الذي يمكن وضع حاويات القمامة فيه لاحقًا. وعند نهاية المصرف، كان هناك باب صغير يؤدي إلى الطابق السفلي، وكما كانت الحال بالأمس، وجده مفتوحًا.

نزل إلى المصرف على مؤخرته، وحنى رأسه قليلًا ليمر عبر الباب المنخفض. ثم سلك نفس الطريق الذي سلكه بالأمس عبر الأرضية الأسمنتية المصقولة في الطابق السفلي، ومرَّ من خلال بابين ثقيلين يتأرجحان في الطرف البعيد، وصعد درج الخدمة المؤدي إلى ردهة المبنى.

انتشرت كاميرات المراقبة هنا وهناك في الردهة، لكن بعد مرور ما يقرب من عام على هجر المبنى، شك جراي في وجود أي شخص لا يزال يراقبه. ومع ذلك، خفض رأسه وبقي قريبًا من الجدران. ثم صعد إلى الطابق الثاني من الدرج، ودفع باب الشقة الأولى على يساره.

هنا، هذا هو المكان الذي سيأخذ مارك تيت إليه. هنا، حيث لا يستطيع أحد أن يسمعه أو يراه، حيث يستطيع أن يبقيه ما شاء له أن يبقيه. كانت شقة ذات مخطط مفتوح، بها جدران من الطوب المكشوف هنا وهناك، ومطبخ أبيض لامع بُني حول جزيرة مطبخ خشبية في المنتصف. جهز جراي الغرفة بسرعة. لم تكن شبكة الكهرباء الرئيسية تعمل، لكنه اكتشف أن الضوء الموجود في شفاط المطبخ يعمل بشكل مستقل عن الشبكة الرئيسية، وكذلك الضوء الأخضر الباهت الذي ينير أسفل خزائن المطبخ. كما لم يكن هناك ماء جارٍ أيضًا، لذا أخرج زجاجات المياه التي اشتراها من متجر الخمور بجوار المحطة. ترك عدة قطع من الحبال مكدسة بجانب المشعاع العصري الذي كان ينوي ربط مارك تيت به. ثم نفخ وسادته، وفرش كيس نومه، وأخرج الطعام في المطبخ: كمية من البسكويت ورقائق البطاطس تكفي لمدة أسبوع. وضع لفافة ورق التواليت في الحمَّام الذي لم يُستخدم من قبل، وترك السكاكين وغطاء الوسادة والمصباح اليدوي داخل حقيبته.

ثم عاد أدراجه نحو الطريق الرئيسي، ووجد مقهى جلس فيه لمدة أربع ساعات، وكتب تقريرًا عن سير العمل، كان عليه إرساله منذ فترة طويلة إلى رئيس قسم الرياضيات، في أثناء انتظاره عودة مارك تيت من العمل.

لو أخبر أحد جراي بأنه ذات يوم سيختبئ في ظلال موقع بناء مهجور وبيده سكين وبيده الأخرى غطاء وسادة، وهو يراقب الدقائق تمر من ٥:٥٠ إلى ٥:٥١ ثم إلى ٥:٥٢، بينما يتدفق في عروقه فيض من الأدرينالين، في انتظار اختطاف شخص ما تحت تهديد السكين وأسره... حسنًا، من الواضح أنه لم يكن ليصدقه. ومع ذلك، كان هناك ويده المتعرقة تمسك مقبض سكين مطبخ تم شحذها حديثًا، وأتاه وقع خطوات الرجل الذي تسبب في موت والده، وربما قتل شقيقته. وثب جراي من بين الظلال، وأحاط عنق الرجل بذراعه.

- لا تتحرك، ولا تتفوه بكلمة. لقد وضعت سكينًا على عنقك، لا تتحرك أيها اللعين.

سحبه إلى الخلف، نحو الفتحة التي صنعها في السياج. جرجر مارك تيت قدميه بقوة فوق الأرض الخرسانية، وتشبثت يداه بذراع جراي المحيطة بعنقه.

- توقف عن المقاومة، توقف فحسب. لديَّ سكين، هل تريد أن تموت؟

امتثل مارك تيت لما أُمر به، فألقى جراي غطاء الوسادة فوق رأسه، وسحبه من ذراعيه إلى مصرف المياه، وعبر الطابق السفلي، ثم صعد الدرج وعاد إلى الشقة رقم واحد، حيث ألقاه على الأرض وقيده إلى المشعاع بسرعة بالحبال والأربطة البلاستيكية، وفعل كل ذلك من دون أن يتفوه بكلمة واحدة.

أخذ مارك تيت يئن من خلال النسيج القطني لغطاء الوسادة.

- لا أحمل معي شيئًا، سوى نحو عشرة جنيهات، وهاتف رديء، لكن لديَّ نقودًا في المنزل. دعني أعُد إلى المنزل، ويمكنني أن أحضرها لك.

قال جراي:

- مارك.

نطق مقطعًا لفظيًّا واحدًا فحسب، وكان هذا كل ما قاله، لكنه رأى مارك يتصلب. قال كأنه التقى صديقًا قديمًا في الحانة:

- مارك تيت.

اقترب منه جراي، وأزال غطاء الوسادة.

أوه، كم كانت لحظة رائعة، تمنى جراي لو أنه صورها: تعبير الذهول وعدم التصديق الذي انتشر على وجه مارك ببشرته الناعمة التي لا تشيخ، والرعشة الطفيفة، والأفضل من ذلك كله هو شعره المشعث على نحو مثير للضحك، الذي أدرك جراي أنه يتوق إلى تسويته.

- ماذا...؟

- آخر مرة شاهدتك فيها كانت في ليلة صيفية جامحة، واختفيت في بحر الشمال مع شقيقتي. يا إلهي، لم أرَك منذ فترة طويلة!

شعر جراي بنشوة غريبة، كأنه تناول جرعتين من الخمر على معدة خالية.

واصل قائلًا:

- كيف حالك؟ أرى أنك صنعت لنفسك حياة جديدة رائعة! لديك زوجة جميلة، ووظيفة جيدة. يا إلهي، هل لديك أطفال؟

هز مارك رأسه في ذهول.

قال جراي:

- لا، ربما كان ذلك أفضل في الواقع، بالنظر إلى كونك مختلًّا عقليًّا.

رأى مارك يزدرد ريقه، وشحبت بشرته البرونزية على الرغم من الشتاء أمام عينَي جراي.

قال جراي:

- هل أحضر لك شيئًا؟ بعض الماء؟ لوحًا من شوكولاتة بينجوين؟ رقائق دوريتوس؟ أعتقد الآن أنه كان عليَّ إحضار بعض البيرة. لكن في الواقع، بما أنك ستظل مقيدًا إلى ذلك المشعاع لفترة طويلة، فمن الأفضل على الأرجح أن تبقي مثانتك فارغة.

أتى من الخارج صوت ألواح السياج البلاستيكية وهي ترفرف في الريح، وطنين حركة المرور في ساعة الذروة والسيارات تمر في طريقها للخروج من لندن عبر الضواحي. سمع جراي أنفاس مارك اللاهثة المذعورة، وأزيز هاتف مارك المتواصل وهو مدفون في مكان في بدلته الأنيقة.

سأله جراي عندما توقف الهاتف عن الأزيز:

- ماذا ستفعل زوجتك المراهقة عندما لا تعود إلى المنزل بعد العمل؟

أجاب مارك بسرعة:

- ستشعر بالقلق. إنها جديدة في هذه البلاد، ولا تعرف أحدًا. ستشعر بالخوف. هل يمكنني أن أرسل إليها رسالة نصية فحسب؟ لأخبرها بأنني سوف أتأخر؟

- لا، لا يمكنك ذلك. السؤال الأول: ماذا بحق الجحيم؟ أعني... لقد غرقت.

- من الواضح أنني لم أغرق.

بدأ الهاتف في الأزيز مجددًا، فتنهد جراي.

- ما الذي حدث إذن؟ هيَّا، فكر في زوجتك الصغيرة الخائفة وهي تتساءل أين أنت، وتكلم.

عدل مارك من وضعه بصعوبة، وجذب الأربطة البلاستيكية والحبال، وحرك رأسه إلى الخلف في محاولة لإبعاد شعره عن عينيه.

- لقد خرجت من البحر. كنت على بعد ميل شمال الشاطئ، وخرجت، حيث كانت هناك كابينة هاتف، فاتصلت بزوجة عمي التي جاءت واصطحبتني إلى هاروجيت. كدت أموت، فقدت الكثير من الدماء، علاوة على انخفاض حرارة جسمي. بدا الأمر برمته ضبابيًّا، وظللت طوال أيام أغيب عن الوعي وأفيق مجددًا.

ضرب جراي الأرض بقبضته.

- لا يهمني ما حدث لك. ماذا حدث لكيرستي؟ إذا تمكنت أنت من الخروج على قيد الحياة، ماذا حدث لها؟

كاد مارك يبدو مندهشًا من ذلك السؤال.

- لقد... ذوت فحسب. كما تعلم، كنت أحملها، وسحبتها تجاه الشاطئ، وكانت لا تزال على قيد الحياة، ثم... رحلت فجأة.

- هل تركتها؟

تخيل جراي كيت وينسليت وهي تترك ليوناردو دي كابريو ينزلق في المياه المتجمدة في نهاية فيلم تيتانيك، وتخيل شفتَي كيرستي الزرقاوين والمياه تغمر وجهها، وشعر بالاشمئزاز من فكرة أن آخر شيء رأته كان وجه مارك تيت البارد القاسي.

أجاب مارك:

- نعم، لا، لا أدري. كما ذكرت، ظللت أفقد الوعي ثم أفيق مجددًا، وكنت متجمدًا من البرد، أحملها بين ذراعي، ثم لم أعد أحملها، واختفت. لم تكن لديَّ طاقة للبحث عنها، وتركت نفسي أطفو نحو الشاطئ.

جلس جراي منتصبًا.

- طفوت نحو الشاطئ؟
- نعم، أعتقد ذلك. لا أعرف، لقد فقدت الكثير من الدماء. كان كل شيء مشوشًا تمامًا.
- لكن إذا طفوت أنت وعدت إلى الشاطئ، لماذا لم تطفُ هي؟
- لا أعلم، حسنًا؟

ظهرت في صوته تلك النبرة الفولاذية، وذلك الفراغ المظلم الذي تذكره جراي. كان صوت ذلك الشاب الذي رآه من خلال نافذة غرفة النوم وهو يركل الجدار عندما رفضت كيرستي تقبيله، ذلك الشاب الذي حاول اقتحام كوخ رابيت للوصول إليها عندما رفضت رؤيته، ذلك الشاب الذي وضع سكينًا على عنق شقيقته وغاص بها في بحر الشمال. كان صوت الرجل الذي سلب حياة جراي.

عاود هاتف مارك الأزيز مجددًا، فقاوم جراي الرغبة في تفتيش جيوب مارك وإخراجه ودهسه بقدمه.

قال جراي:

- هل بحثت عنها؟ بعد إنقاذك؟ هل بحثت؟

هز مارك رأسه في حركة بسيطة.

- لقد أخبرتك بأنني كنت نصف ميت، حرفيًّا. لم أستيقظ إلا بعد ثلاثة أيام. وبحلول ذلك الوقت، ظن العالم بأكمله أنني فارقت الحياة، ولم يكن بوسعي العودة. لم يكن بوسعي الذهاب إلى أي مكان.

أمسك جراي رأسه بين يديه.

- اللعنة، ربما تكون هناك. ربما تكون هناك، على تلك الصخور، الآن. طوال تلك السنوات، ربما كنا نستطيع دفنها. أعني... يا إلهي، هل لديك أدنى فكرة عما يعنيه ذلك؟ كانت حياتي... كانت جحيمًا. كانت جحيمًا بسببك أنت، وبسبب ما فعلته بعائلتي. بسبب ما فعلته بوالدتي، وبي. كنا... كنا عائلة مثالية، حرفيًّا. كنا أفضل عائلة. مجرد عائلة مملة من الضواحي، حياتنا متوقعة ومثيرة للضجر. كان كل أثاثنا بني اللون، وكل طعامنا بني اللون،

وسيارتنا بنية اللون. كانت شقيقتي بريئة للغاية، وكان والداي... حسنًا، لم نكن نميل إلى إجراء محادثات حيوية حول الشؤون الجارية عندما نجلس لتناول العشاء. لم نتحدث عن أي شيء مهم على الإطلاق، ولم يكن لذلك أهمية، لأننا لم نكن مهمين. لم يكن أي شيء مما فعلناه مهمًّا أو سيغير أي شيء على الإطلاق. وفي الواقع، كان بإمكانك قتلنا جميعًا، ولم يكن ذلك ليحدث أي فرق في أي شيء. لكننا كنا مثاليين، وقد دمرتنا. دمرتني أنا.

توقف جراي عن الحديث، وأحس بغصة تتشكَّل في حلقه قبل أن يتابع:

- وماذا عن عائلتك أنت؟ أمك أنت؟ كيف استطعت أنت وكيتي أن تتركا أمك تعتقد أنك مت؟

تنهد مارك بعمق.

- لأن... أمي كانت تكرهني، وأبي أيضًا. كانت تجمعنا أنا وكيتي رابطة قوية، منذ طفولتي. وقد أدركَت الأمر على الفور، من دون أن أقول أي شيء. أدركَت فحسب أن ما حدث كانت له علاقة بي، وأرادت حمايتي لأن هذا ما كانت تفعله دائمًا. وبعد ذلك سمعَت من الشائعات في رايدنجهاوس أنك فقدت ذاكرتك، وأن الشرطة اعتبرت الأمر حادثًا، وأنهم فقدوا الأمل في العثور على الجثث. لذا أخفتني لمدة عامين، وطوال ذلك الوقت ظللنا ننتظر الطرق على الباب، وننتظر سماع أنك استعدت ذاكرتك. لكن الطرقات لم تأتِ قَطُّ، ولم تستعِد أنت ذاكرتك قَطُّ، وبدأتُ حياة جديدة شيئًا فشيئًا. انتقلت إلى كورنوال لمدة عام، وعملت في وظائف من دون عقد رسمي، بعد ذلك توجهت إلى إسكتلندا، ثم عدت إلى كورنوال، وظللت بعيدًا قدر الإمكان عن هاروجيت من دون أن أحصل على جواز سفر. عشت في غرف مستأجرة، وادخرت ما يكفي لشراء هوية مزيفة. ثم حصلت على وظيفة، ونلت ترقية، وبعدها ترقيت مجددًا، ثم...

توقف عن الحديث، وألقى نظرة جهة اليمين، نحو البناية السكنية التي يقيم بها، وتابع:

- قابلت امرأة وتزوجت. كان الأمر صعبًا، من دون عائلة، وأنا أقوم بكل شيء بنفسي، من دون أي أصدقاء حقيقيين. لكن أخيرًا صار لديَّ شيء الآن، لديَّ شخص ما، شخص خاص بي وحدي.

عاد هاتفه إلى الأزيز مرة أخرى في اللحظة المناسبة، فخفض رأسه إلى صدره وانتظر حتى يتوقف، ثم رفع نظره مرة أخرى وقال:

- وأنا أحبها أكثر مما أحببت أي شيء في حياتي و...

حدق إليه جراي، ثم ضحك.

جفل مارك من الصوت.

- حقًّا؟ هل تتوقع مني الشعور بالشفقة حيالك؟ هل أنت مجنون؟ أوه، نعم، لقد نسيت... أنت مجنون بالفعل.

ارتعشت عضلة في وجنة مارك، وحاول مرة أخرى أن ينفض شعره عن عينيه.

- أخبرني إذن، متى بالتحديد استعدت ذاكرتك بأعجوبة؟

- في اللحظة التي رأيتك فيها الأسبوع الماضي.

- هل رأيتني الأسبوع الماضي؟

- نعم، في لندن، عند محطة فيكتوريا، عندما كنت متوجهًا إلى مكتبك. وعاد كل شيء إليَّ، كل شيء.

- وما الذي تتذكره بالضبط؟

شحب جراي عند مرور تلك المشاهد في مخيلته مرة أخرى، وارتجف صوته وهو يعيد سرد التفاصيل.

- أذكر كل شيء. أذكر أنك تبعتنا إلى الحديقة، وأننا كنا نشاهد الطاووس وهو يرقص. أذكر تلك الغرفة التي أخذتنا إليها، وأذكر أنك تحرشت بشقيقتي وحاولت اغتصابها. ثم طاردتنا عبر الصخور، وأخذت شقيقتي وقفزت في البحر. أبي... مات... على الشاطئ. أذكر كل ذلك، كل الأشياء التي ظلت حبيسة لأكثر من عشرين عامًا، كل الأشياء التي منعتني من مواصلة حياتي، وها قد خرجت الآن إلى النور. لقد عادت إليَّ الذاكرة، وسوف

تدفع ثمن ما فعلته أخيرًا. سأتصل بالشرطة، وسيعتقلونك، وستقضي بقية حياتك في السجن.

ضحك مارك بصوت أجش.

- حقًّا؟ هل تعتقد ذلك؟ بناءً على الذكريات غير الموثوقة بصراحة لرجل تناول المخدرات في الليلة المذكورة؟ والذي ادعى في ذلك الوقت أنه لا يتذكر شيئًا مما حدث في تلك الليلة؟ والذي استعاد ذاكرته بأعجوبة بعد أكثر من عشرين عامًا؟ هل تعتقد حقًّا أنهم سيصدقون رجلًا قادرًا على اختطاف شخص من الشارع تحت تهديد السكين، واقتحام ممتلكات خاصة واحتجازه سجينًا؟ رجل يبدو، بصراحة، إذا لم تمانع في قولي هذا، مجنونًا تمامًا؟

قال جراي:

- لكنك تظاهرت بالموت! ولديك جواز سفر مزور!

- هذا ما تزعمه أنت.

- ماذا تعني؟

- أعني أنه إذا حضرت الشرطة إلى هنا، فسأخبرهم ببساطة أنني قد أحمل بعض الشبه برجل ما مات في مكان بعيد عن هنا منذ فترة طويلة، وأنك هاجمتني، وأنك خطير للغاية، وربما مجنون. وسأنكر تمامًا أي معرفة بذلك المدعو مارك تيت.

- لكنهم سيتحققون من هويتك، سيعرفون أن كارل مونروز لا وجود له في الواقع.

هز مارك رأسه ببطء.

- لقد دفعت الكثير من المال مقابل هويتي. مبلغ كبير جدًّا من المال. لا يمكن للشرطة كشف هويتي، ولا أي شخص آخر.

- هراء.

هز مارك كتفيه.

- أنا أدفع الضرائب، وأصوت في الانتخابات، وأسافر إلى الخارج بحرية. أنا كارل مونروز.

أشار إلى هاتف جراي بإيماءة من رأسه وتابع:

- هيَّا، اتصل بهم وسنرى ماذا سيحدث لك حينها، فلتفعل إذن.

حدق جراي إلى مارك بحدة، ثم نظر إلى هاتفه، وانتابته موجة من الغثيان عندما اتضحت له حقيقة موقفه.

قال مارك:

- هيَّا، ماذا تنتظر؟

صار الهاتف رطبًا بين أصابع جراي المتعرقة، وأشاح بعيدًا عن مارك. بدأ جسده يرتجف، وعجز عن التفكير بوضوح.

قال مارك:

- ربما من الأفضل أن تطلق سراحي. أطلقني... دعني أذهب. يمكنك أن تواصل حياتك، وسأواصل أنا حياتي، حسنًا؟

التفت جراي وقال:

- لا! لا! ليست لديَّ حياة لأواصلها. ألا ترى؟ ليست لديَّ أي حياة لأنك سلبتني إياها.

تنهد مارك، وعاود هاتفه الأزيز، فقال:

- هيَّا، إنها تشعر باليأس الآن، وستتصل بالشرطة بنفسها قريبًا. سيتعقبون هاتفي إلى هنا، وسيجدون رجلًا بريئًا مقيدًا إلى مشعاع، ومجنونًا بعينين جامحتين، معه سكين تحمل بصماته. أطلِق سراحي الآن، وسأخبرها بكذبة حول تأخير القطار.

أغمض جراي عينيه وفكر في والدته، محطمة، وحيدة، وتعتمد عليه كليًّا في أي مظهر من المظاهر التي تجعل للحياة معنى. فكر في الأشياء الصغيرة التي تجعله إنسانًا: وظيفته، وتلاميذه، وقطته، وفريق كرة القدم الذي يشارك في اللعب معه. ثم فكر في الإذلال الذي سيشعر به عندما تقتاده سيارة دورية إلى غرفة

مضاءة بالنيون، حيث يحاول توضيح موقفه لاثنين من المحققين ذوي الملامح الباردة، ينظران إليه بحزن من فوق أصابعهما المعقودة كما لو أنه فقد عقله. ثم فكر في أنه قد يكون مجنونًا بالفعل. بالتأكيد كان مجنونًا. فيمَ كان يفكر، وهو يلاحق هذا الرجل في أرجاء لندن وسري، ويختطفه من الشارع ويقيده؟ ما الذي كان يأمل في تحقيقه؟

عاد الهاتف إلى الأزيز مرة أخرى، واخترق الصوت رأسه كالزجاج المكسور. انتظر حتى ساد الصمت ثم استدار ليواجه مارك.

كان يبتسم له بغطرسة، مثل بائع سيارات على وشك التخلص من سيارة غير قابلة للبيع.

- هيَّا يا جراهام، أطلِق سراحي.

استولى الغضب على جراي.

غام بصره، وارتجف جسده، ثم اندفع نحو مارك وذراعاه ممدودتان.

مكتبة
t.me/soramnqraa

٥٤

أمسكت ليلي ذراع فرانك وكادت تصرخ.

- وماذا بعد ذلك؟ هل قتلته؟ هل مات؟ أم أنه لا يزال هناك؟ أخبرني! أخبرني الآن!

حدق إليها بوجه خالٍ من التعبير، وهز رأسه، فصاحت:

- كفى!

أخرجت هاتفها، لكنها توقفت قبل الضغط على رقم ضابطة الشرطة ترافيس. ماذا لو كان هذا الرجل الغريب على حق؟ ماذا لو اقترف زوجها تلك الأشياء الرهيبة؟ ماذا لو قبضوا عليه وأرسلوه إلى السجن؟ لا، قررت عدم الاتصال بالشرطة، ليس بعد. بدلًا من ذلك، أخذت هاتفها خارج المقهى واتصلت برقم روس، الذي رد بعد رنة واحدة.

- ليلي؟

- روس، أين أنت؟

- أنا في المكتب.

- روس، عليك أن تغادر الآن، عليك الذهاب إلى مكان يُدعى جادة وولف هيل. إنه مشروع سكني قيد الإنشاء في شارع لندن، بجوار الشقة التي

أعيش فيها مع كارل. لا يوجد أحد هناك لأن المشروع تعرض للإفلاس. عليك أن...

- ليلي، توقفي. أنا في العمل، وأنا على وشك الدخول إلى اجتماع.

- يجب عليك عدم الدخول إلى الاجتماع يا روس، بل عليك الذهاب إلى جادة وولف هيل. كارل موجود هناك، وأنا مع الرجل الذي حبسه هناك. لقد قيده إلى مشعاع في ذلك المكان ليلة الثلاثاء. لا بد أن تذهب الآن وتعثر عليه، إنه في الشقة رقم واحد، أرجوك.

سمعته يتنهد، وقال بهدوء:

- ليلي، ابدئي من البداية. أين أنت؟

- أنا في مقهى في خليج رايدنجهاوس. جئت إلى هنا لأعرف المزيد عن المرأة التي تمتلك ذلك المنزل، وكان هؤلاء الناس هنا، وسمعوني وأنا أطرح الأسئلة. لديهم صديق فقد ذاكرته، ووصل إلى هنا يوم الثلاثاء، وقد رأى صورة كارل وتعرف عليه. قال إن كارل كان يُدعى مارك، وإن شيئًا فظيعًا حدث في هذه البلدة قبل عشرين عامًا، وإن كارل آذى شخصًا ما. وقال إنه تبعه إلى المنزل الأسبوع الماضي، وأخذه إلى موقع البناء وقيده وتركه هناك. لذا من فضلك، يا روس، من فضلك اذهب وابحث عنه! الآن!

تنهد روس.

- ليلي، أعتقد أنه ربما يجب عليك الاتصال بالشرطة.

- لا! لا أستطيع أن أفعل ذلك، يا روس. هذا الرجل في المقهى يقول إن كارل كان مجرمًا، وإنه ارتكب أفعالًا شنيعة. لا أعتقد أنني أصدقه...

توقفت للحظة، وهي تفكر في تلك الليلة التي استيقظت فيها ويداه حول عنقها، وحالة الكآبة التي كانت تحل عليه من دون سبب واضح من وقت لآخر، وجواز السفر المزور، والأم المزيفة، لكنها تمالكت نفسها وتابعت:

- لكن على الرغم من ذلك، لا أريد المجازفة، ليس قبل أن أراه بنفسي.

سمعت نبرة صوته تتغير، وقد لان بفعل الموافقة، وقال:

- حسنًا، حسنًا.

سمعت الأصوات التي في الخلفية تتوقف، وبابًا ينغلق، وحفيف بعض الأوراق. أدركت أنه جلس، وقال:

- حسنًا، أخبريني بالضبط أين هذا المكان، وماذا يجب أن أفعل عندما أصل إلى هناك.

٥٥

ألقت أليس نظرة على ليلي من خلال نافذة المقهى، ثم ناولت ديري مفاتيح باب منزلها وقالت:

- هل يمكنك العودة إلى منزلي... لزيارة سريعة فحسب؟ افتحي الباب الخلفي، ودعي الكلاب تخرج. تجاهلي أي فوضى تجدينها.

هزت ديري كتفيها وغادرت. توجهت ليزلي إلى الطاولة كي تطلب مزيدًا من القهوة، بينما ظلت ليلي في الخارج تذرع المكان جيئة وذهابًا وتلوح بيديها خلال كلامها مع أيٍّ من كانت تحدثه عبر الهاتف.

التفتت أليس لتنظر إلى فرانك وقالت وهي تضع يدها على كتفه:

- كيف حالك؟

هز كتفيه.

- هل عاودتك أي ذكريات أخرى؟

حدق من خلال النافذة للحظة، ثم تنهد وهز رأسه.

على الرصيف بالخارج، أنهت ليلي مكالمتها الهاتفية.

سألتها أليس عندما عادت إلى المقهى:

- ماذا قالوا؟

أجابت باقتضاب:

- لم أتصل بالشرطة، بل اتصلت بصديق لي. سيذهب إلى موقع البناء، وسنعرف قريبًا.

نظرت إليهم، واحدًا تلو الآخر، وقالت:

- ماذا نفعل الآن؟

أجابت ليزلي:

- هذا واضح للغاية، أليس كذلك؟ لا يمكننا أن نفعل إلا شيئًا واحدًا: نحن بحاجة إلى العثور على كيتي تيت.

قالت أليس:

- يجب علينا العودة إلى ذلك المنزل، لنرى ما إذا كان بوسعنا إيجاد عنوان لها هناك.

ردت ليلي:

- لقد فتشت المنزل بالفعل، ولم أجد شيئًا.

قالت أليس بهدوء:

- إنه منزل كبير، وقد يكون من المفيد إلقاء نظرة أخرى.

كانت تلك الشابة أكبر من جازمين بخمس سنوات فقط، فتخيلت ابنتها في بلد غريب، تبحث على نحو محموم عن الرجل الذي أحضرها إلى هناك. وتخيلت كيف تبدو هي وفرانك وليزلي في نظرها: أشخاص كبار في السن، ومختلفون، وغرباء على نحو محير، فابتسمت لها لأول مرة.

ترددت ليلي للحظة، ثم هزت كتفيها وغيرت رأيها وقالت:

- يمكنكم أن تفعلوا ذلك، لكنني سأستمر في سؤال الناس في هذه البلدة، وسأعود لاحقًا.

راقبتها أليس وهي تستدير وتغادر المقهى، ثم ترددت للحظة عند المدخل قبل أن تنعطف يسارًا. ما المصادفة التي أتت بهذه الشابة إلى هذه البلدة الهادئة

البوهيمية المختفية عند نقطة منخفضة من ساحل يوركشاير؟ وما الذي كانت ستفعله الآن، في هذه اللحظة، لو لم يدخل مارك تيت حياتها قَطُّ؟

تخيلته الآن، مقيدًا إلى مشعاع في شقة خالية، وفكرت فيما قال الرجل الذي تعرفه باسم فرانك من أنه اضطر إلى فعله كي يأخذه إلى هناك: السكين المرفوعة إلى عنقه، والكيس الموضوع فوق رأسه، وتقييد يديه وتهديده، واختطافه واحتجازه. لم تستطع ربط تلك الأفعال بذلك الرجل اللطيف الذي يعيش في منزلها منذ خمسة أيام، الرجل الذي نامت معه، الذي جلس مع ابنتها في الساعات الأولى من الصباح، الذي صار صديقًا لأكثر كلابها تشككًا، الذي حظي بختم الموافقة من ابنها المراهق. تذكرت مرة أخرى أن الرجل الذي وجدته على الشاطئ الأسبوع الماضي لم يكن رجلًا على الإطلاق، بل مجرد صندوق فارغ يمكنها أن تضع فيه ما تريد، وقد أضفت عليه ما يلائمها من الصفات والسمات الشخصية، وتجاهلت احتمال أن يكون فرانك، تحت هذه الواجهة الذهبية اللطيفة، شخصًا مريضًا نفسيًّا أو حتى قاتلًا. عرضت أولادها للخطر، كما عرضت نفسها للخطر أيضًا.

ومع ذلك، وبينما كانت تسير معه جنبًا إلى جنب في الطريق إلى منزل كيتي تيت، حن قلبها له وتاقت ذراعاها إلى احتضانه، مهما كان وأيًّا كان، وبصرف النظر عما فعله.

*

التفت فرانك إلى أليس وابتسم بتردد. تساءل عما تفكر فيه. هل تشعر بالندم على كل دقيقة قضتها برفقته؟ هل تشعر بالنفور من ذكريات الليلة التي قضياها معًا؟ هل تعيد رسمه في مخيلتها بالفعل بوصفه الوحش العنيف الذي قد يكونه في الواقع؟

منذ بداية تعافيه التدريجي من حالة الشرود الانفصالي، أحس بأصداء عنف، وبيديه تضغطان على عنق، والشعور الحارق البطيء بالرغبة في القتل. ماذا سيجد صديق ليلي عندما يفتح باب الشقة رقم واحد؟ غرفة خالية؟ جثة؟

وجد أنه بدأ يبتعد عن أليس وليزلي وهما تصعدان التل باتجاه الطريق الرئيسي خارج البلدة.

نادته أليس:

- فرانك، إلى أين أنت ذاهب؟

نظر إليهما، ثم نظر إلى الأسفل باتجاه الطريق الساحلي.

- هل يمكننا...؟ سريعًا فحسب؟

كان شيء ما يناديه أسفل التل، عبر ذلك الزقاق باتجاه البحر. سبق أن سار من هذا الطريق من قبل مرات عديدة. أومأت أليس وليزلي برأسيهما وتبعتاه، وعندما خرج من الطرف الآخر من الزقاق الضيق، انعطف يمينًا على نحو غريزي، ووجده هناك: كوخ رابيت. إلا أن اسمه لم يَعُد كوخ رابيت، بل نُقش على اللوح الحجري بالخارج اسم «كوخ آيفي». طُلي المنزل باللون الأزرق السماوي الفاتح، واستُبدلت النوافذ بأخرى ذات زجاج عازل.

حدق إلى المنزل الصغير، وشعر بهوة تنفتح في روحه. كان هذا هو المكان الأخير الذي اجتمعوا فيه جميعًا معًا. لو أنه عاد إلى المنزل من الحانة تلك الليلة مع عائلته، لو أنه بقي مع عائلته بدلًا من مطاردة الفتيات، لو أنه لم يشرب ثلاث جرعات من التكيلا ويحضر هؤلاء الأشخاص إلى هنا، لذهبوا جميعًا إلى الفراش في تلك الليلة، ثم استيقظوا معًا، وقضوا يومًا آخر معًا، ثم آخر، وآخر. كانوا سيعودون جنوبًا بالسيارة معًا، ويقضون بقية حياتهم معًا. كانت كيرستي ستلتقي شابًّا غير مختل عقليًّا، وكان جراي سيحظى بابن أخت أو بنت أخت، وصهر. وربما كان سيحظى بزوجة وطفل أو طفلين. وكانت والدته ستتعامل مع عشها الخالي كأي إنسان عادي، وليس كشخص مجنون يعاني القلق. كان والده سيتقدم في السن ويشيب، وكانوا سيظلون عائلة عادية ومملة ومثالية إلى الأبد.

كان الأمر بأكمله خطأه، كل هذا برمته، كل شيء.

ظهرت ديري حينها عند مدخل زقاق مرصوف بالحصى، حاملة مفاتيح باب أليس، ونظرت إليهم بدهشة وقالت:

- كم هو لطف منكم أن تخبروني إلى أين أنتم ذاهبون. لقد عدت إلى مقهى شوجر بول للتو، وقالت لي المرأة الواقفة بالخارج إنها رأتكم متجهين إلى هذا الطريق.

اعتذرت أليس، فهزت ديري كتفيها ووضعت يديها في جيبيها، وشرعوا جميعًا في السير نحو البلدة. وجد فرانك نفسه جنبًا إلى جنب مع ديري، وسارا في صمت فترة من الوقت، ثم قالت ديري:

- هل قتلته إذن، يا فرانك؟

جفل فرانك.

- ماذا؟

- مارك تيت، هل قتلته؟

نظرت إلى يديه وتابعت:

- فأنت لا تفتأ تنظر إلى أصابعك، كما لو أنك لا تعرفها، كما لو أنها لا تنتمي إليك.

ضيقت عينيها وواصلت قائلة:

- أعني... سيكون هذا هو التفسير المنطقي. سيفسر فقدانك للذاكرة، وهروبك في منتصف الليل إلى مكان بعيد، أليس كذلك؟

نظر إليها محاولًا فهم موقفها. هل تتحداه؟ أم تهاجمه؟ أم تحاول فقط أن تقدم له بعض الأفكار المثيرة للاهتمام؟

أجاب:

- لا أعرف حقًّا، ربما أكون قد قتلته، نعم، ربما فعلت، بيدَي هاتين.

- وماذا لو أنك فعلت؟

- إذن فهو يستحق الموت، وأستحق أنا الذهاب إلى السجن بسبب ما فعلته.

هز كتفيه، وأحس بالتوازن والارتياح عند التفكير في ذلك.

أكملا بقية الطريق في صمت.

٥٦

رنَّ هاتف مارك مرة أخرى.

تجمد جراي وتراجع مبتعدًا عن مارك، ومرر أصابعه بين شعره. تخيل الزوجة القلقة جالسة على حافة الأريكة بتوتر، وهي تحمل منديلًا مجعدًا بين كفيها المضمومتين، وتعاود الضغط بهوس مرارًا وتكرارًا على زر الاتصال. ستستمر في الضغط عليه حتى ينفد شحن هاتف مارك. انحنى وانتزع الهاتف من جيب مارك، ثم أطلق صرخة حرب مدوية وألقى به عبر الغرفة. اصطدم الهاتف بغطاء الشفاط بصوت مروع، ثم انزلق على أرضية المطبخ وانتهى به الأمر في الزاوية البعيدة. ارتعش المصباح الموجود عند غطاء الشفاط وأومض، ثم حل عليهما الصمت، وغمرت جراي موجة من الارتياح.

قال مارك:

- فكرة رائعة أيها الأحمق، ستشعر بالقلق بدرجة أكبر الآن. يا لك من فاشل!

عاد الغضب الذي خمد للحظة إلى الظهور، أقوى مرتين، وأعنف مرتين.

ثم استسلم جراي أخيرًا للرغبة البدائية التي ظلت تطارده منذ المرة الأولى التي وقعت فيها عيناه على مارك تيت قبل اثنين وعشرين عامًا. ترك يديه تتوجهان نحو مارك تيت، وراقبهما وهما تحيطان بعنقه، وشجعهما ذهنيًّا وهما تعملان

معًا لخنق أنفاس مارك تيت، والضغط على عنقه واعتصاره وخنقه، إلى أن توقف مارك تيت أخيرًا عن مقاومة يدَي جراي، واسترخى أخيرًا واستسلم، وتوقف عن التنفس، وأغلق فمه اللعين إلى الأبد.

عندما اقتربا من منزل كيتي تيت على الجرف، أمسك فرانك يد أليس وسحبها نحوه على عجل.

التفتت ونظرت إليه، فأدرك أن وجهها أصبح مألوفًا له أكثر من أي شيء آخر في العالم، ثم أدرك أنه قد لا يرى هذا الوجه مرة أخرى بعد ما سيقوله لها.

قال:

- تذكرت، لقد خنقته. خنقته، ومات.

توقفت أليس.

- اللعنة! هل أنت متأكد؟

- بقدر ما أستطيع أن أكون متأكدًا بشأن أي شيء آخر.

وضعت يدها على مؤخرة رأسه وداعبت شعره، فدفعته هذه البادرة إلى الرغبة في البكاء.

تبادلا النظرات، وأومأ فرانك برأسه.

لحقت أليس بديري وليزلي، وقالت بنبرة كئيبة:

- لقد تذكر فرانك. مات مارك، يقول فرانك إنه قتله.

ساد صمت حاد ومرعب قبل أن تكسره ديري قائلة:

- أحسنت يا فرانك، لقد نال ذلك الوغد ما يستحقه تمامًا.

٥٧

رأتهم ليلي واقفين خارج المنزل، منغمسين في الحديث. تنهدت وفردت قامتها، ثم توجهت نحوهم وقالت بنبرة مرحة:

- مرحبًا!

التفتوا نحوها عندما وجهت إليهم التحية، فجفلت.

قالت:

- ما الخطب؟

تبادلوا نظرات الذعر، ثم ابتسمت المرأة المدعوة «ليزلي» وقالت:

- لا شيء، كل شيء على ما يرام. كيف سارت الأمور إذن؟

تنهدت ليلي مرة أخرى. لم تسفر تحقيقاتها القصيرة في البلدة عن الكثير. شوهدت كيتي تيت في خليج رايدنجهاوس آخر مرة منذ عامين تقريبًا، من قِبل السيدة التي تمتلك متجر الأحذية الفاخر. أخبرتها كيتي بأنها جاءت في ذلك اليوم لمقابلة مشترٍ محتمل للبيانو الكبير الذي تمتلكه، وأنها لن تبيت الليلة هناك، بل ستعود إلى المنزل في وقت مبكر من المساء. وقد جربت زوجًا من الأحذية الجلدية لكنها لم تشترِ أي شيء، وبدت تعيسة.

لم يبدُ أن أحدًا يعرف أين تعيش كيتي الآن بالتحديد، لكن الانطباع العام كان أنها تعيش «ناحية هاروجيت»، ولا شيء أكثر من ذلك.

قالت ليلي:

- يقولون إنها لم تأتِ إلى هنا منذ سنوات، لكنني أعلم أنها جاءت، وأنها كانت هنا بالأمس.

هزت كتفيها وتابعت:

- لذا ما زال الأمر كله لغزًا.

- وماذا عن صديقك؟ ذلك الذي سيذهب إلى الشقة المهجورة؟ هل سمعتِ منه أي شيء بعد؟

هزت رأسها.

- اتصلت به قبل بضع دقائق. كان في القطار، على بعد عشرين دقيقة. سيتعين علينا الانتظار.

قالت ليزلي وهي تنظر نحو المنزل:

- حسنًا، هلَّا دخلنا؟

تصرف الرجل، فرانك، بغرابة عندما دخل المنزل. تحرك بتردد وبطء، وتحسست يداه الجدران والأسطح لاشعوريًّا في أثناء مروره. نظر إلى الأعلى ثم إلى الأسفل، ولاحظت يديه ترتجفان.

قال:

- لم يتغير شيء، إنه كما كان تمامًا، لكنه...

التفت قائلًا لأليس:

- يبدو ميتًا الآن.

فكرت ليلي، نعم، هذا صحيح، إنه منزل ميت.

قالت:

- هناك غرفة واحدة لا تزال على قيد الحياة، تعالوا.

تبعوها في صمت إلى الطابق العلوي.

وبينما هم يصعدون المجموعة الثانية من السلالم، بدأ فرانك في الارتعاش على نحو خارج عن السيطرة.

قال:

- هذا هو المكان الذي أحضرنا إليه، المكان الذي جرنا إليه.

ثم أشار إلى الدرجة التي يقف فوقها وتابع:

- وهذا هو المكان الذي ثبَّت فيه شقيقتي على الأرض وحاول اغتصابها أمامي.

جثا على ركبتيه ومرر أنامله على السجادة القديمة.

- انظروا، هناك دماء، هذا دم مارك، من فروة رأسه، حيث جرحته بشماعة ملابس.

حدق إلى ليلي مباشرة فجأة، وسألها:

- هل كانت لدى زوجك ندبة؟ تحت شعره؟ هنا تقريبًا؟

أشار إلى قمة رأسه.

أجابت ليلي:

- زوجي لديه شعر كثيف للغاية، ولا أعرف ما الذي يوجد تحته.

لكن هذه كانت كذبة، لأنها لاحظت هذه الندبة التي يصفها، أحست بها ليلًا وهي تمرر يديها خلال شعره. كان لديه نتوء جلدي قاسٍ هناك، مثل قطعة صغيرة من العلكة القديمة. سألته عنها ذات مرة، فأخبرها بأنه تعرض لحادث عندما كان طفلًا. جعلها هذا تحب الندبة، تحبها كسمة من سماته الجسدية، وكرمز لتاريخه الشخصي الذي نادرًا ما شاركه معها. كانت تبحث عنها في أثناء ممارستهما الحب، وتتحسسها بأناملها خلسة بشكل عابر. والآن أصبحت تلك الندبة نفسها دليلًا، كأنها بحاجة إليها في ظل وجود كثير من الأدلة الأخرى، على أن الرجل الذي أحبته أكثر من أي شخص آخر، الرجل الذي تخلت من أجله عن عائلتها ومنزلها وحياتها، كان رجلًا عنيفًا وشريرًا، يؤذي النساء.

أبعدت كل هذه الأفكار، وواصلت قيادتهم إلى الغرفة في العلية.

قال فرانك وهي تدفع الباب:

- هذه هي الغرفة، الغرفة التي احتجزنا فيها. إلا أنها تبدو مختلفة تمامًا.

وقفوا جميعًا لبعض الوقت، يتأملون الغرفة الخالية.

قالت ليزلي:

- حسنًا، علينا أن نتفرق، ونفتش هذا المكان بشكل دقيق حتى نجد شيئًا يحمل عنوانها.

لم يستغرق الأمر كثيرًا من الوقت حتى وجدت أليس العنوان على إيصال في مؤخرة أحد الأدراج في خزانة قديمة في المطبخ.

السيدة كيتي تيت
منزل القس القديم
كوكسولد
هاروجيت
YO61 3FG

مكتبة
t.me/soramnqraa

حدقوا إليه جميعًا للحظة، وأحست ليلي بالحيرة. أرادت أن تلتقي هذه المرأة، هذه المرأة التي حمت كارل من الشرطة لسنوات عديدة لسبب ما، والتي تظاهرت بأنها والدته عندما تحدثتا على الهاتف في يوم زفافهما، هذه المرأة الحزينة الوحيدة التي تفوح منها رائحة الياسمين وترتدي ملابس جميلة وتختبئ بعيدًا عن أهل هذه البلدة في منزل ميت على قمة جرف. أرادت مقابلتها حتى تتمكن من فهم كل شيء بشكل أكثر وضوحًا. لكنها شعرت بالخوف أيضًا، الخوف من سماع أشياء تدفعها إلى كراهية كارل. إذ إنها لا تكره كارل: على الرغم من أنها تدرك أنه يجب عليها أن تكرهه، لكنها لا تكرهه. لا تكرهه على الإطلاق.

وبينما هي تفكر في ذلك، رنَّ هاتفها، وكان روس هو المتصل. نظرت إلى

هاتفها، ثم إلى الأشخاص الآخرين، فنظروا إليها بتعبيرات تتراوح بين الخوف والقلق ونفاد الصبر. أخذت نفَسًا عميقًا، وردت على الهاتف.

- مرحبًا يا روس. هل وصلت بعد؟

قال روس:

- نعم، أنا هنا. لكن كارل ليس هنا.

أبعدت شعرها عن وجهها وعبست.

- هل أنت في المكان الصحيح؟

- نعم، نعم، الشقة رقم واحد، جادة وولف هيل. من الواضح أنه كان هنا، أرى الأربطة والحبال، المكان فوضوي للغاية. إنه... حسنًا، لا بد أنه كان هنا فترة طويلة، إذا جاز التعبير، لكنه ليس موجودًا هنا الآن، لقد رحل.

لان قلبها وتسارعت دقاته وغمرها الارتياح، وقالت:

- أوه، حمدًا للرب، حمدًا للرب على ذلك.

حدق إليها الآخرون وقد اتسعت أعينهم دهشة.

واصل روس قائلًا:

- حسنًا، نعم، أعتقد أنه أمر جيد من ناحية. لكن من ناحية أخرى، فهو... حسنًا، هل تعلمين أين هو؟ وماذا يفعل؟ أعني، قد يكون خطيرًا يا ليلي.

أخذت نفَسًا بغضب، مدركة أن غضبها في غير محله، لكنها لم تستطع تغيير شعورها، فقالت:

- إنه ليس كذلك بالنسبة إليَّ.

ثم أغلقت الهاتف.

كان الآخرون لا يزالون يحدقون إليها.

قالت لهم:

- إنه ليس موجودًا هناك.

بدا الذهول على أليس وهي تسأل:

- هل تقصدين أنه هرب؟

تنهدت ليلي.

- نعم، لقد فك قيوده وهرب.

حاولت ألا تفكر في حقيقة أنه لم يحاول الاتصال بها، وأنه لم يذهب للبحث عنها.

التفتت ديري وأليس إلى فرانك، ونظرتا إليه بتساؤل.

قالت أليس:

- ألم تقتله؟

بدا شاحبًا ومصدومًا، وقال:

- لا أدري! لقد ظننت... لكن ربما لم أفعل. ربما فقد الوعي فحسب؟

تنهد وأضاف:

- لا أعرف حقًّا.

لم يتكلم أحد للحظة.

ثم نظرت ليزلي إلى ساعة يدها وقالت:

- حسنًا، إنها الساعة الثانية عشرة والربع. سأتصل بالمكتب وأخبرهم بأنني لن أعود اليوم، ثم سأذهب بالسيارة إلى كوكسولد للبحث عن كيتي تيت. ماذا عنكم أنتم؟

قالت ديري لأليس إنها ستصطحب ابنتها من المدرسة، ثم انتظر الباقون عودة ليزلي بسيارتها. جلسوا على الدرجات الأمامية للمنزل الأبيض الكبير في صمت محرج. صار الجو جميلًا، والسماء زرقاء صافية، ونثرت نسمة لطيفة أزهار الكرز عند أقدامهم.

أخيرًا، التفتت ليلي إلى فرانك وقالت:

- إذن، هل ظننت أنك قتلته؟

نظر إليها كأنه نسي وجودها، ثم أومأ برأسه وقال ببساطة:

- نعم، هذا ما ظننته.

أشاح عنها ونظر إلى يديه، ثم أضاف بهدوء:

- الرجل الذي تحبينه وحش.

قالت:

- لكن على الرغم من ذلك، فقد حاولتَ قتله أيضًا، وتركته هناك معتقدًا أنه مات. فماذا يجعلك هذا؟

تنهد فرانك، وساد الصمت للحظة، باستثناء صيحات النوارس البعيدة، وحفيف الطيور الصغيرة وسط الشجيرات، وغناء طائر حسون يطل عليهم من قمم الأشجار. قال فرانك:

- هذا يجعلني مخطئًا، لكنه لا يجعلني وحشًا.

٥٨

على الرغم من وجود الكثير مما يمكن الحديث عنه، فإن الرحلة من خليج رايدنجهاوس إلى كوكسولد كانت هادئة على نحو غريب. استخدمت ليزلي سماعتها لإجراء بعض مكالمات العمل بشأن قصص أخرى تعمل عليها: امرأة تعرضت للاغتصاب في هال، وثلاثة رجال فلبينيين لقوا حتفهم في عنبر سفينة راسية في ميناء جوول، وردود أفعال السكان المحليين على هدم حانة شهيرة في بيفرلي.

سرحت أليس وحدقت إلى المناظر الطبيعية في الريف: بدا المشهد جميلًا، صافيًا ومشرقًا بأشعة الشمس، والحقول ممتلئة بزهور السلجم الذهبية ودوار الشمس. ثم نظرت إلى فرانك، فوجدته ساكنًا وهادئًا، يحدق من نافذته.

سألته:

- أين تعتقد أنه موجود؟

هز كتفيه.

- سبق له الاختفاء من قبل، لذا فقد يكون في أي مكان الآن.

خفضت صوتها وقالت:

- ما ذكرته سابقًا عما فعلته...

تظاهرت بخنق شخص ما وتابعت:

- هل أنت واثق بأن هذا حدث؟ أنك بالتأكيد...

قال بحزم:

- أنا متأكد من حدوث ذلك.

أومأت برأسها. بدا من المستحيل بالنسبة إليها تخيُّل ما يدور في ذهن فرانك. فكرت فيه في تلك الليلة الأولى، حافي القدمين وقد خرج لتوه من الحمَّام، مرتديًا سترة كاي ذات القلنسوة. كان فارغًا حينها، وغير مثقل. أما الآن فقد بدا مختلفًا، أثقل بطريقة ما، مسحوقًا تحت وطأة العديد من الذكريات التي عادت إلى الظهور.

على جانب الطريق، كانت هناك لافتة كُتب عليها «كوكسولد ½ ميل»، وبعد دقيقة واحدة، طلب نظام الملاحة من ليزلي الانعطاف إلى اليمين. ظلوا صامتين خلال المرحلة الأخيرة من الرحلة، وتأملت أليس بإعجاب القرية الشبيهة بصور البطاقات البريدية عندما دخلوا إليها: الشارع الواسع ذو الحدائق الخضراء النضرة على كلا جانبيه، والتي تؤدي إلى منازل جميلة بواجهات من الحجر الفاتح، والنُّزل، وصالات الشاي. مروا بكنيسة جميلة تطل على الوادي، ثم طالبهم نظام الملاحة بالانعطاف يسارًا، فاتخذوا طريقًا متعرجًا صغيرًا بعيدًا عن القرية حتى وصلوا إلى وجهتهم. كان منزل القس القديم يقع خلف الكنيسة مباشرة. كان منزلًا جميلًا مكونًا من ثلاثة أجنحة، أمامه ممر للسيارات مرصوف بالحصى، وأشجار قديمة، وشجرة ماجنوليا ضخمة في أوج ازدهارها في مكان الصدارة، بجوار الباب الرئيسي.

أوقفت ليزلي المحرك، ونظروا جميعًا إلى المنزل للحظة.

قالت ليلي وهي تفك حزام الأمان:

- سأذهب، إنها تمت لي بصلة قرابة، وسأذهب أنا.

شرعت ليزلي في الاحتجاج، لكن ليلي رفعت يدها في وجهها بفظاظة وقالت:

- لا، لقد أتيت إلى هنا وحدي للبحث عن هذه المرأة. لم أطلب من أحد منكم أن يرافقني.

أجابت ليزلي:

- اممم، معذرة، ولكن من دوننا كنت ستظلين تتجولين من متجر إلى آخر في خليج رايدنجهاوس، ومعك ألبوم الصور الصغير الخاص بك. أنا آسفة، لكن فرانك وأليس لهما نفس الحق في سماع ما تقوله هذه المرأة مثلك تمامًا. لقد دُمرت حياة فرانك بسبب ما فعله ابن شقيق زوج هذه المرأة به وبأسرته. سوف ندخل جميعًا، وإلا سأستدير بالسيارة على الفور ونعود إلى المنزل.

- أنت لا تهتمين بشيء سوى بالقصة فحسب.

- نعم، بالطبع تهمني القصة، فهذا عملي. لكن الاهتمام «بالقصة» لا يعني أنني لا أهتم بأبطالها وبمصيرهم.

ردت ليلي بعد صمت نَكِد ذكر أليس بابنتيها:

- حسنًا، سنذهب جميعًا.

كان الباب الأمامي يقع على الجهة اليسرى من المنزل. قرعت ليلي الجرس، وأتى وقع كعب حذاء على أرضية مبلطة بالأحجار، ثم انفتح باب له سلسلة أمان، وأطل منه وجه شاحب وجميل لامرأة لها وجنتان ناعمتان غائرتان، تضع طلاءً ورديًّا مبهجًا على شفتيها، ولها شعر أشقر مائل إلى البياض، وتفوح منها رائحة الياسمين الناعمة.

استقبلتهم بلطف قائلة:

- مرحبًا!

لكن عندما نظرت إليهم، واحدًا تلو الآخر، بدا عليها القلق.

- أوه! معذرة، كنت أتوقع وصول شحنة من متجر أوكادو. هل يمكنني مساعدتكم؟

قالت ليلي:

- اسمي ليلي، لقد تحدثت إليك بالأمس على الهاتف. أنا متزوجة من ابن أخي زوجك، مارك.

تجهمت المرأة قائلة:

- لا تكوني سخيفة، لقد مات مارك.

تقدمت ليزلي إلى الأمام وقالت:

- في الواقع، فهو لم يمُت، ونحن نعلم ذلك لأن هذا الرجل...

أشارت إلى فرانك وتابعت:

- حبسه في شقة خالية الأسبوع الماضي، وأخبره ابن أخي زوجك «المُتوفى» بكل شيء، بما في ذلك كيف أنقذتِه من على الصخور في الليلة التي يُفترض أنه غرق فيها، واصطحبته إلى المنزل، ولم تخبري أحدًا، ولا حتى أمه.

ضيقت كيتي تيت عينيها وسألت ليزلي:

- ومن تكونين أنت؟

مدت يدها إلى كيتي وقالت:

- ليزلي وايد، من صحيفة رايدنجهاوس جازيت.

بدأت كيتي تغلق الباب في وجهها، لكن ليزلي كانت قد أدخلت قدمها في الفتحة بالفعل، وقالت:

- أنا أعمل بشكل غير رسمي، وأقدم العون فحسب. لا توجد قصة هنا، على الأقل ليس بعد. وفي حال وجود قصة، فستكون تقريرًا استقصائيًّا، منشورًا على أكثر من صفحة، مع مقابلات كاملة، وليس موضوعًا تشهيريًّا.

حاولت كيتي إغلاق الباب مرة أخرى.

قالت ليزلي:

- انظري! هل ترين هذا الرجل؟ هذا جراهام روس، هل تتذكرينه؟ إنه شقيق كيرستي، يا كيتي، الفتى الذي جاء إلى منزلك، الفتى الذي أخذه ابن أخي زوجك كرهينة وهاجمه وكسر ذراعه وأرهبه. لقد عاش حياته البالغة كلها في حالة من الغموض، لأنه لم يستطع تذكر ما حدث في تلك الليلة.

توقفت كي تدفع الباب بقوة أكبر، في وجه إصرار كيتي على إغلاقه.
- وقد عادت إليه الذاكرة الآن، وتذكر ما فعله مارك تيت. أنت مدينة له يا كيتي، أنت مدينة له بإخباره بما تعرفينه.
خففت كيتي فجأة من ضغطها على الباب، وأطلت من خلال الفجوة. نظرت إلى فرانك مباشرة وتنهدت، وامتلأت عيناها بالدموع.
- أيها الفتى المسكين.
ثم فردت قامتها ونظرت إلى ليزلي وقالت:
- يمكنه الدخول، لكن ليس بقيتكم.
شرعت ليلي قائلة:
- لكن...!
تجاهلتها كيتي ونظرت إلى فرانك مرة أخرى، وقالت:
- من فضلك، تفضل بالدخول، سأخبرك بكل ما أستطيع.
نظر فرانك إلى أليس ثم إلى كيتي.
- من فضلك، هل يمكن لصديقتي الدخول معي؟ تولت أليس العناية بي، وهي ليست متورطة في أيٍّ من هذا، لكنها شخص طيب فحسب.
أومأت كيتي برأسها باقتضاب، ثم فتحت الباب للسماح لهما بالدخول.
التفتا نحو ليلي وليزلي وابتسما باعتذار.
قالت ليزلي:
- حسنًا، أعتقد أنه يمكننا الذهاب لتناول الشاي الكريمي.
- ماذا يعني الشاي الكريمي؟
- الشاي والكعك، تعالي.

أخذتهما كيتي إلى مطبخها الذي كان مزيجًا من الخشب الداكن والفورميكا ذات اللون الأبيض العاجي، تدلت به وحدات الإضاءة فوق جزيرة مركزية، وبه أريكتان كبيرتان في الطرف المقابل، ونوافذ طويلة تطل على حديقة مُعتنى بها

على نحو مثالي. أجلستهما إلى طاولة المطبخ، وأعدت لهما الشاي في إبريق كبير منقط، وفتحت علبة من بسكويت الزنجبيل.

أخيرًا، جلست وفردت ساقَي بنطالها الأنيق فوق فخذيها الصغيرتين. قالت لفرانك:

- أنا آسفة جدًّا لما حدث لك. آسفة جدًّا بشأن والدك وشقيقتك، وأتمنى لو أن...

توقفت عن الحديث للحظة، ثم تابعت:

- عرفت في اللحظة التي عاد فيها إلى المنزل من الشاطئ في ذلك اليوم وأخبرني عن هذه «العائلة اللطيفة»، وأننا سنصنع كعكة، عرفت أن هناك شيئًا ما قد حدث، وأن الأمر سينتهي على نحو سيئ. لطالما كان مارك...

توقفت عن الحديث مجددًا، ورفعت غطاء إبريق الشاي وقلَّبته، ثم أغلقته مرة أخرى. أنهت عبارتها قائلة:

- مضطربًا. تبناه شقيق زوجي وزوجته عندما كان كبيرًا في السن، ثماني سنوات، أو تسع سنوات، أو نحو ذلك. كانت ابنتهما في سن المراهقة، وصارت أكثر استقلالية، وأعتقد أنهما ظنا أنهما غير مستعدين لإنهاء هذه المرحلة من حياتهما. لكنهما لم يكونا على استعداد لفكرة إنجاب طفل والبدء من جديد، لذا فكرا في تبني طفل أكبر سنًّا. وبالطبع، كان مارك صبيًّا صغيرًا جميلًا للغاية، وتشبث بهما بشدة. ولا أعتقد أنهما فكرا كثيرًا في الآثار المترتبة على رعاية طفل تعرض للإساءة، بل ظنا أنهما سيتمكنان من مداواة كل الجروح والتعويض عن كل الأذى، لكنهما كانا مخطئين للأسف، وكان الضرر متأصلًا.

صبت ثلاثة فناجين من الشاي من الإبريق، ثم أعادته على حامل الأواني الساخنة، وناولت أليس إبريق الحليب.

- سأدعك تصبين الحليب لنفسك، فلكل شخص ذوقه المختلف، أليس كذلك؟ على أي حال، لم يستطيعا التعامل معه. أراد مارك كل شيء:

أفضل الملابس، وأفضل الألعاب، كما أراد من والديه الوقت والاهتمام. انتقلت شقيقته كاميلا للعيش مع أسرة أحد الأصدقاء عندما كانت في السابعة عشرة، لأنها لم تستطع التعامل مع تلك الدوامة. لكن لسبب ما، كان مارك هادئًا في وجودي أنا وزوجي. أعتقد أن السبب هو أننا لم ننجب أطفالًا. ولأنه لم يكن يعيش معنا، لذا لم نكن بحاجة إلى محاولة ترويضه. كنا نملك كل هذه الأرض...

أشارت إلى ما وراء النوافذ الطويلة.

- والكلاب، والبيت الكبير على شاطئ البحر. أمضى معنا الإجازات، ومعظم عطلات نهاية الأسبوع. ولا ألمِّح ولو للحظة أن التعامل معه كان سهلًا. لم يكن التعامل مع مارك سهلًا قَطُّ، لكنه كان أقل تعقيدًا. وقد جمع بيني وبينه على وجه الخصوص رابط قوي جدًّا. لكن مع تقدمه في العمر...

ناولت أليس طبق البسكويت وتابعت:

- لا أدري، رأيت ظهور جانب من شخصيته أكثر قتامة، ولا سيما الطريقة التي كان يتعامل بها مع الفتيات. كان متسلطًا، على ما أظن، ويعتقد أن الفتيات موجودات فقط لتلبية احتياجاته. رأيته يتصرف على نحو سيئ للغاية مع هؤلاء الفتيات الجميلات اللاتي أحضرهن إلى المنزل وهن منبهرات بوسامته.

هزت رأسها وتنهدت.

- شعرت بالقلق، حتى في ذلك الوقت، لأنني اعتقدت أن شيئًا سيئًا قد يحدث يومًا ما. لكن لا أدري، كان يأتي إلى هنا حاملًا حقيبة ملابسه وصندوقًا من الشوكولاتة لي، ويمنحني عناقًا حارًّا، وكنت أحب عناقه الحار. لم يكن زوجي من محبي العناق قَطُّ، وأعتقد أنني تعلمت ذلك من مارك. على أي حال، كان يحمل الكلاب ويأخذها إلى الخارج، ويلقي لها الكرة طوال ساعات، وكنت أجلس هنا وأراقبه وأفكر: سوف ينضج ويتخلص

من كل حماقاته، وسيلتقي فتاة رائعة، وسيفهم الأمر أخيرًا، وبعد ذلك سيصبح مثاليًّا.

تنهدت كيتي.

- ثم مات زوجي، ولم يتقبل مارك الأمر بشكل جيد. بدا كأنه يلومني على ذلك، لسبب ما، وتوقف عناقه لي. كما توقفت الشوكولاتة، والمرح والضحك، ولا بد أن أعترف أنني بدأت أجد وجوده مزعجًا للغاية، وأنا وهو بمفردنا. كانت علاقته بوالديه قد انقطعت تمامًا في تلك المرحلة، وكان يعيش معنا. تبرآ منه عندما كان في الثامنة عشرة من عمره، بعد حادثة...

قال فرانك:

- حادثة؟ أي حادثة؟

سوت كيتي ساقَي بنطالها مرة أخرى.

- شيء له علاقة بفتاة، صديقة لأخته. وعلى الرغم من عدم توجيه أي اتهامات له، فإن الأمر كان مزعجًا للغاية وقرر والداه قطع العلاقة معه. كان أمرًا لا يغتفر، لا يغتفر حقًّا.

هزت رأسها ببطء.

- في البداية شعرت بالامتنان لوجوده هنا بعد وفاة زوجي، لكن بعد بضعة أسابيع... حسنًا، صار العيش معه صعبًا بشكل متزايد. توجهنا إلى خليج رايدنجهاوس في ذلك الصيف، كما فعلنا في العديد من السنوات السابقة. اعتقدت أن هذا قد يخفف من حدة الأمور قليلًا. لكن في الواقع، بدا أشد غضبًا هناك، غاضبًا مني، وغاضبًا من العالم أجمع. كان هناك... كان به شيء من الشر. وبدأت أنام وباب غرفتي مغلق بالمفتاح.

نظرت إليهما، لتتأكد من أنهما أدركا مدى خطورة تعليقها الأخير.

- ثم عاد إلى المنزل مسرعًا ذات يوم، ممتلئًا بالبهجة والحديث عن الكعك

وعنكم، عن «هذه العائلة اللطيفة». أدركت أن هناك فتاة، وأعتقد أن جزءًا مني فكر، حسنًا، ربما تكون هذه هي الفتاة الأسطورية التي ستصلحه. ثم أتيتم جميعًا في ذلك اليوم ورأيت كيرستي الصغيرة: صغيرة جدًّا، وبريئة جدًّا، وعاجزة تمامًا عن التعامل مع روح مضطربة مثل مارك، فهوى قلبي.

نظرت أليس إلى فرانك، وتساءلت عما يفكر فيه. بدا منغلقًا للغاية، وخدرًا تمامًا.

تابعت كيتي الحديث وهي تمرر أناملها الرقيقة صعودًا وهبوطًا على منحنى فنجانها:

- على أي حال، فقد خرج معها، وبدا مفتونًا بها، واشترى لها الزهور، واصطحبها إلى السينما، ثم عاد إلى المنزل فجأة قائلًا إن الأمر انتهى، وإنه لا يكترث لذلك، و«لا يأبه بتلك اللعينة» على حد تعبيره، وإنه يستطيع العثور على من هي أفضل، وإنها مجرد...

توقفت كيتي عن الحديث وزمت شفتيها.

- حسنًا، كما تعلم، لم يكن حديثه لطيفًا للغاية. لكن ذلك لم يدُم سوى يوم أو يومين، ثم بدا كأنه نسي الأمر، وأخبرني بأن هناك فتاة قادمة من هاروجيت، وهي مغنية، خطط للذهاب لرؤيتها وهي تغني بصحبة بعض الأصدقاء، فشعرت بالارتياح، الارتياح الشديد. بدا كأنه يمضي قُدمًا أخيرًا بعد وفاة زوجي، وشعرت كأن هوسه الغريب بأختك أصبح ذكرى بعيدة. سألني إن كان بإمكاني الخروج ذلك المساء، لأنه أراد دعوة أصدقائه بعد الحفلة، وربما بعض الأشخاص اللطفاء من البلدة أيضًا. قال إن الحفلة ستقتصر على البار، حتى يمكن التحكم في الأمور، ولن يسمح لشيء بالخروج عن السيطرة. وبالطبع وافقت، حيث أردت أي شيء من شأنه أن يسعده بعد تعاسته الشديدة، وأي شيء من شأنه أن يجعله يتصرف على نحو طبيعي بعد سلوكه شديد الغرابة ذاك. لذا عدت إلى هنا لقضاء الليلة، وكان من

اللطيف أن يكون المنزل لي وحدي، من دون أن أضطر إلى القلق بشأن مارك، حتى...

ارتعشت عضلة في خدها، ونقرت بأظفارها على جوانب فنجانها.

- تلقيت مكالمة هاتفية من كشك على جانب الطريق في الساعة الواحدة صباحًا. «أنا في ورطة». يا إلهي، لن أنسى ذلك أبدًا، أنا في ورطة. بدا الأمر كأنني كنت أنتظر تلك المكالمة منذ اليوم الأول الذي قابلته فيه، وها هي ذي جاءتني. كان لاهثًا ويتألم، وظل يقول: «أنا أحتضر». أنا أحتضر! لم يسمح لي بالاتصال بالشرطة، ولم أسأله حتى عن السبب، لأنني كنت أعرفه في أعماقي. لم أعرف ما فعله، لكنني أدركت السبب. ركبت السيارة على الفور، ووجدته جالسًا على الصخور عند خليج ميدلهورست، وسط بركة من الدماء. كان شاحبًا وبشرته مزرقة، كأنه شيء فظيع بصقه البحر على الشاطئ. أوقفت السيارة ونزلت تلك الصخور بسرعة بحذاء غير مناسب على الإطلاق، وهو أول حذاء وجدته وأنا في طريقي لمغادرة المنزل. وقد جرح شيء ما ساقي عندما انزلقت خلال نزولي، ولا تزال لديَّ الندبة، هنا.

رفعت بنطالها الأنيق، وكشفت لهما عن ندبة رأسية شاحبة على جانب ساقها اليسرى، ثم أنزلت ساق البنطال مرة أخرى ببطء، وواصلت الحديث:

- كان البحر هائجًا تلك الليلة، يصم الآذان. ورأيت خفر السواحل على قواربهم وهم يحملون الفوانيس، ومركب الإنقاذ يندفع في البحر، والأضواء الزرقاء تومض في البلدة. كان خليج رايدنجهاوس القديم الناعس ينبض بالحياة في تلك الليلة التي لن أنساها أبدًا. وصلت إلى مارك، وتمكنت من جعله يقف على قدميه. كانت القوارب تقترب، ولم يكن أمامنا إلا بضع دقائق. ثم أشار إلى المنحدر بالأسفل وقال: «تأكدي ما إذا كانت قد ماتت».

تصلب فرانك، وأرجع كتفيه إلى الخلف.

- لذا نزلت على الصخور، وكانت هناك...

قالت أليس بحدة:

- كانت هناك؟ هل تقصدين كيرستي؟

أجابت كيتي:

- نعم، بالطبع، ألم يخبرك مارك؟

خرج صوت فرانك كأنين خافت وهو يقول:

- يخبرني بماذا؟

بدا الارتباك على كيتي.

- أوه، لقد افترضت... حسنًا، ما الذي قاله لك بالتحديد؟

- إنه تركها، وإنها «ذوت»، وإنه لم يكن هناك شيء يستطيع فعله لإنقاذها.

شحب وجه كيتي، وتحركت أصابعها نحو اللؤلؤة المعلقة من سلسلة ذهبية رفيعة حول عنقها.

- أوه، أنا... أنا... لم أعرف ما الذي حدث، وافترضت في البداية، لا أدري، أنهما كانا يلهوان وهما واقعان تحت تأثير السُّكر، وأنه ربما كان يحاول إنقاذها. لذا ذهبت إليها وفحصت نبضها، وكانت لا تزال على قيد الحياة، لكنها فاقدة الوعي.

تقلصت أوتار عنق فرانك من شدة الغضب.

- ولم تتصلي بالإسعاف؟ لم...

- لقد وضع سكينًا على عنقي.

سأل فرانك وهو غير مصدق:

- من؟ مارك؟ ألم تقولي إنه كان مصابًا، وفقد الكثير من الدماء؟

- كان مصابًا بالفعل. حسنًا، بدا الأمر كذلك، لكن عندما عدت عقب تفقد كيرستي قال: «حسنًا؟»، فأجبته قائلة: «إنها لا تزال تتنفس». قال: «أخرجينا من هنا الآن»، لكنني رفضت بالتأكيد، بالطبع رفضت. قلت: «لا! سأستدعي سيارة إسعاف!»، فنهض متعثرًا وأظهر السكين، وأمسكني من الخلف

فجأة ووضع السكين على عنقي، وفكرت: حسنًا، ها قد جاءت اللحظة، وسوف يقتلني.

توقفت للحظة وتناولت رشفة من الشاي.

- حملنا شقيقتك إلى سيارتي ووضعناها في المقعد الخلفي.

بدت نبرة فرانك جوفاء بفعل عدم التصديق وهو يقول:

- هل كانت لا تزال على قيد الحياة؟

- كانت على قيد الحياة. نعم، كانت لا تزال حية.

- هل... هل حاولت إنعاشها؟

- لم يسمح لي بذلك.

- وبعد ذلك ماتت، أليس كذلك؟

حولت الدموع عينَي كيتي إلى بلورتين، وأومأت برأسها مرة واحدة فقط.

- بعد فترة وجيزة للغاية، قبل أن نبلغ منتصف الطريق إلى المنزل.

سأل فرانك:

- على المقعد الخلفي لسيارتك؟

شرعت كيتي في البكاء، وغمرت الدموع وجنتيها الشاحبتين، فمسحتها بظهر أصابعها المثنية.

- أنا آسفة جدًّا. كان الأمر... شعرت بالخوف الشديد، وكانت معه سكين. لم أكن أعرف...

بدأ فرانك يبكي أيضًا.

- أين هي؟ أين كيرستي؟

- إنها... أوه، يا إلهي. أنا آسفة جدًّا جدًّا. لقد أوقفنا السيارة في مرأبي بالخلف.

أشارت إلى الطرف البعيد من حديقتها الجميلة، وتابعت:

- بقينا هناك لساعات، أعني، حرفيًّا، ساعات وساعات، وكيرستي في مقعد السيارة الخلفي. كنت في حالة هستيرية، حالة هستيرية تمامًا، وظللنا ننتظر الطرقات على الباب، ونتوقع سماع صفارات إنذار الشرطة.

غطت وجهها بكلتا يديها للحظة.

- ضبطنا راديو السيارة على الأخبار المحلية، وظللنا ننتظر وننتظر، حتى حان وقت الغداء في اليوم التالي، عندما سمعنا أنهم أوقفوا عمليات البحث. كان لا يزال هناك أشخاص من سكان البلدة، في قواربهم الخاصة، لكن عملية البحث الرسمية انتهت. جاء شرطي لطيف إلى بابي في ذلك المساء لإبلاغي. افترضوا أن مارك وشقيقتك غرقا، وكان والدك هو البطل الذي مات في أثناء محاولته إنقاذهما. لم يُذكر أي شيء عنك، وكان عليَّ أن أتظاهر بالصدمة.

نهض فرانك صارخًا:

- لكن ماذا فعلتِ بأختي؟ أين هي؟

انكمش جسد كيتي، كأنها تحاول الاختباء داخل صندوق، ثم نهضت ببطء وقالت:

- تعالَ.

نظرت أليس إلى فرانك، فبادلها النظر بقلق.

- اتبعاني فحسب.

نهضا وتبعا كيتي إلى النوافذ الطويلة، حيث أخذت مفتاحًا معلقًا على مسمار خلف الستائر، ثم فتحت الباب، وقادتهما عبر الحديقة الممتلئة بأحواض مقوسة من الزهور البرية، والأصص الملطخة بالأشنة، وأشجار الصفصاف، إلى الطرف الآخر، حيث تندمج الحديقة مع الحقول وراءها. كانت هناك شجرة بلوط عتيقة ومهيبة، لها كرة ضخمة من الأوراق الخضراء مقابل سماء زرقاء صافية.

وقفت كيتي بجانب شجيرة ورد مرصعة ببراعم بيضاء صغيرة.

- كيرستي ترقد هنا.

- هل دفنتها؟

- لا، لم أدفنها. بالطبع لم أدفنها! لقد دفنها مارك. حبسني في المنزل ودفنها. زرعت شجيرة الورد لاحقًا.

جثا فرانك على ركبتيه فوق العشب الربيعي الناعم، وفتح يديه وربت على الأرض بكفيه، ثم نظر إلى كيتي بغضب مكبوت، وقال بصوت متقطع:

- طوال هذه السنوات، أمي...

- لم يمر يوم من دون أن أفكر في والدتك.

رمقها فرانك بغضب مرة أخرى، وسأل:

- أين هو؟ هل تعلمين أين هو؟

- لا، لا أعرف. لم أتحدث إليه منذ ذلك اليوم الذي أجبرني فيه على التحدث إلى تلك الفتاة هاتفيًّا والتظاهر بأنني أمه. لا أعرف لماذا جعلني أفعل ذلك. لإيذائي على ما أعتقد، وليسبب لي الألم.

تنهدت وتابعت قائلة:

- تمنيت له التوفيق، ثم أخبرته بأنني سأنسحب من حياته، على الرغم من أنه لم يَعُد لي دور كبير فيها منذ أن غيَّر هويته. كان اتصاله بي أو زيارته لي يمثلان مخاطرة كبيرة بالنسبة إليه، لكنني أخبرته بأنني لم أعد أرغب في لعب أي دور في هذا الخداع، لذا أرسلت إليه بعض المال، وتمنيت أن يستقر أخيرًا ويصبح طبيعيًّا. بدت الفتاة...

هزت كتفيها.

- حسنًا، بدت كأنها قادرة على الاعتناء بنفسها. بدت قوية، لذا تركتهما وشأنهما.

كان فرانك لا يزال يحدق إلى الأرض حيث دُفنت شقيقته قبل اثنين وعشرين عامًا، وبدا محطمًا.

جثت أليس إلى جانبه، وأحاطت كتفيه بذراعها.

رفع نظره إلى كيتي، وسأل وكلماته مختنقة بالحزن:

- ماذا كانت آخر كلماتها؟

- لم تكن هناك أي كلمات، يا جراهام. لم تفتح عينيها حتى.

بكى وانهمرت الدموع على خديه.

- لا أفهم كيف أمكنك طوال هذه السنوات، الجلوس في مطبخك الأنيق، وتناول عشائك وأنت تشاهدين التلفزيون، وتطلين على المشهد بالخارج، بينما تعلمين أنها ترقد هناك؟ كيف أمكنك ذلك؟

صاحت كيتي:

- لكنني لا أعيش هنا! بالطبع لا أعيش هنا! أعيش في خليج رايدنجهاوس، في العلية. أكره هذا المكان! أتمنى بيعه، ومواصلة حياتي، لكنني لا أستطيع. كيف يمكنني بيع منزل به جثة في الحديقة؟ السبب الوحيد لوجودي هنا الآن هو تلك الفتاة التي جئت بصحبتها.

أشارت إلى واجهة منزلها وتابعت:

- اتصلت بي صباح أمس، ولا أعرف السبب الذي دفعني إلى الرد، حقًّا لا أعرف. ظلت تحاول الاتصال بي لساعات، وافترضت أنه مارك لذا لم أرد. ثم توقف الرنين أخيرًا وظهر رقم آخر بعد نصف ساعة تقريبًا، رقم هاتف محمول، وعرفت أنه ليس رقم مارك. كنت أتوقع مكالمة من شخص آخر، فأجبت غريزيًّا ومن دون تفكير. يا إلهي، ثم بدأ جرس الباب يرن، فظننت أنها هي! لذا جمعت كل أغراضي في حقيبة وهربت.

قالت أليس:

- لكننا كنا هناك، كنا نحن من يرن الجرس، ولم نرَك تغادرين. لم تكن هناك سيارة متوقفة بالخارج.

تنهدت كيتي.

- ذهبت عبر الطريق الخلفي، ونزلت الدرج الموجود عند الجرف. أترك سيارتي متوقفة في المرأب بجوار الشاطئ. لا أحب أن يعرف الناس بوجودي هنا. أحب أن أكون... غير مرئية. وهذا هو سبب وجودي هنا يا جراهام، في هذا المنزل اللعين البشع. ليس لأنني بلا قلب. لأنني أؤكد لك أن قلبي لم يتوقف عن الألم ولو للحظة واحدة منذ الليلة التي ماتت فيها أختك.

توقف الحديث، لكن الثلاثة ظلوا في وضعهم، كيتي وأليس واقفتان، وفرانك لا يزال جاثيًا على ركبتيه بجانب شجيرة الورد، في مشهد رهيب من الحزن والذنب والرعب والأكاذيب.

ساد الصمت المطلق للحظة، ثم اتجهت أليس نحو المنزل ببطء وقالت:

- علينا أن نجد الآخرين. نحن بحاجة إلى إجراء بعض المكالمات.

٥٩

تأملت ليلي الطعام الموجود أمامها. كانت هناك كعكة كبيرة بدت قاسية كصخرة عندما وضعتها النادلة على طبقها باستخدام ملقط فضي. كان هناك طبق مؤلف من طبقين، أحدهما فوق الآخر، يربط بينهما عمود فضي، ويحملان عديدًا من الكعكات الصغيرة، بعضها جميل إلى درجة أنها لم تستطع تخيُّل أكلها. كما كانت هناك أيضًا بعض الشطائر الصغيرة للغاية، بدت كأنها مصنوعة للأطفال، وإحداها لا تحمل أي حشو سوى الخيار.

صبت ليزلي الشاي في فنجانين رقيقين، وتأملت ليلي بفضول.

قالت:

- أخبريني إذن، ما الذي أعجبك في مارك؟

هزت ليلي كتفيها. لم يكن السؤال وديًّا، بل كان السؤال الذي تطرحه حقًّا هو: كيف اخترت مثل هذا الوحش ليكون زوجك؟

- وقعت في حبه لأنه كان لطيفًا، ووسيمًا، وقويًّا، ولأنه عاملني أنا وأسرتي باحترام. ولأنني أدركت أنه يعاني الألم بداخله، وأردت مساعدته على الشفاء. وقعت في حبه لأنه اتسم بكل ما يمكنني أن أتمناه في رجل.

- لكنْ ألم يراودك قَطُّ أي... لا أدري، أي شعور بأن هناك خطبًا ما؟ أنه يخفي شيئًا؟

أجابت:

- نعم، لم يراودني على الإطلاق، كنا سعيدين.

- أتساءل إذن، لماذا لم يأتِ باحثًا عنك؟

أجابت ليلي بصرامة:

- لا نعرف متى هرب، فربما هرب الليلة الماضية، أو هذا الصباح. وربما ذهب إلى الشقة بحثًا عني، ولم يجدني هناك.

- هل اتصل بك؟

- لا.

رفعت ليزلي حاجبها ونظرت إليها بشفقة.

قالت ليلي:

- إنه يحاول حمايتي، هذا كل ما في الأمر.

قالت ليزلي:

- حسنًا، قد يكون هذا صحيحًا.

اختارت إحدى الشطائر الصغيرة وأكلتها، ثم نظرت إلى ليلي وقالت:

- عليك أن تتناولي الطعام.

- لست جائعة.

لكن هذه كانت كذبة، إذ كانت تتضور جوعًا.

- هيَّا، يمكن أن نبقى هنا لساعات. إنه لذيذ، جربي واحدة من هذه.

وضعت شطيرة صغيرة على طبق ليلي.

- لحم البقر المشوي مع الفجل الحار، طعمه رائع.

- الفجل الحار؟

- الفجل الحار، نعم، إنه جذر مثل الزنجبيل، كما تعلمين. وهو لذيذ عند خلطه مع القشدة.

دفعت ليلي الشطيرة عبر طبقها بأناملها وقالت بازدراء:

- لا. شكرًا لك.

- أوه، حسنًا، تناولي الكعكة اللعينة فحسب إذن.

عبثت ليلي بالكعكة الصلبة كالصخر، وكسرت منها جزءًا وضعته في فمها، فبدا طعمها مثل الأسمنت.

- يجب أن تضعي عليها بعض القشدة المتخثرة، وبعض المربى.

- قشدة؟ متخثرة؟

لوت ليلي شفتيها.

ناولتها ليزلي طبقًا صغيرًا به مادة صفراء غليظة.

- أوه، يا إلهي! إنها مجرد قشدة، بحق السماء. رباه! أعني من المؤكد أنك تأكلين الكثير من الأشياء المثيرة للاشمئزاز في أوكرانيا؟ هذه مجرد كعكة وقشدة، ولن تعضك.

فعلت ليلي ما طُلب منها بحذر شديد، فأخذت بعضًا من القشدة الصفراء الغليظة وملعقة من المربى، ووضعتها في فمها، وقررت أن الطعم أعجبها، لكنها لم تصرح بذلك.

سألتها ليزلي:

- ماذا ستفعلين؟ إذا عثروا عليه؟ إذا ذهب إلى السجن؟ إلى أين ستذهبين؟

تنهدت ليلي وقالت:

- لم أفكر في ذلك. ربما سأضطر إلى العودة إلى بلدي. ففي النهاية، وثيقة زواجي غير قانونية، ولن يُسمح لي بالبقاء.

- هل تريدين البقاء؟

- نعم، أعتقد ذلك. أعتقد أنني كنت مستعدة لمغادرة كييف، مستعدة للعيش في مكان آخر. لا أشعر بأنني خضت هذه التجربة بعد، ولم أستنفدها. لكن...

هزت كتفيها وتابعت:

- هذه طبيعة الحياة.

سألت ليزلي:

- ما مؤهلاتك؟

- أدرس للحصول على شهادة في المحاسبة.

رفعت ليزلي حاجبها مرة أخرى، هذه المرة بدهشة وليس بتشكك. كان من الواضح أنها لا تعتقد أن ليلي تبدو محاسبةً، وربما كان ذلك شيئًا جيدًا.

رنَّ هاتف ليزلي، فعادت تصيح عبر الهاتف مجددًا، وهي تملي الأوامر على الآخرين. أخذت هاتفها وخرجت على الرصيف، وراقبتها ليلي وهي تسير ذهابًا وإيابًا على الرصيف وتلوح بيديها. وبينما هي تراقبها، خطرت في بال ليلي فكرة غريبة، وظنت أنها قد ترغب في أن تصبح مثلها يومًا ما، عندما تكبر.

أكلت ليلي كعكتها، ثم تفحصت باقي عناصر وجبة الشاي الكريمي هذه. وعند عودة ليزلي، كانت قد تناولت ثلاث شطائر صغيرة، وكعكة مزينة بزهور أرجوانية صغيرة من السكر. نظرت ليزلي إلى الطعام المنقوص، وابتسمت بفطنة.

قالت ليلي:

- أتساءل ما الذي يحدث.

تنهدت ليزلي بضيق وأجابت:

- نعم، وأنا أيضًا.

وبينما هي تقول هذا، رنَّ الجرس النحاسي الصغير المعلق فوق الباب وظهر فرانك وأليس. بدت عليهما الصدمة، كأنهما كانا يبكيان. ساعدت أليس فرانك على الجلوس، ثم طلبت لهما إبريقًا من الشاي.

قالت ليلي:

- ماذا؟ ما الخطب؟ هل عثرتما عليه؟

أجابت أليس:

- لا، لا إنه ليس هناك، ولا تعرف كيتي أين هو. لكنه طليق في مكان ما، وهو خطير، شديد الخطورة.

ضيقت ليلي عينيها ونظرت إليها قائلة:

- خطير؟ ماذا تقصدين؟

شرعت أليس تروي بصبر قصة حزينة ومروعة وكئيبة للغاية، لكنها في نفس الوقت معقولة للغاية، إلى درجة أن ليلي كادت تنسى أنها تتحدث عن الرجل الذي تزوجته. وفي منتصف القصة تقريبًا، عرفت ليلي ما يجب عليها فعله بعد ذلك. وعندما انتهت أليس من حكايتها، كانت تمسك هاتفها المحمول في يدها بالفعل. انتهى الأمر: قصة حبها، وزواجها، ومغامرتها، وحبها لرجل لم تعرفه حقًّا. ما الذي قالته والدتها الأسبوع الماضي؟ شيء ما عن البصل؟ عن كيف أنه يتعين عليك رؤية أسوأ ما في الشخص قبل أن تقرر مشاركة حياتك معه. لم تمنح نفسها الوقت الكافي لرؤية أسوأ ما في كارل مونروز، لكن الأمر انكشف أمامها الآن، ولا، لا يمكنها أن تحب رجلًا مثله، أو تشاركه حياتها. كما لم يكن بمقدورها أيضًا أن تترك رجلًا مثله يختفي ويبقى طليقًا ويعيش حياته.

اتصلت برقم ضابطة الشرطة بيفرلي ترافيس، وقالت:

- مرحبًا يا سيدة ترافيس، أنا ليلي مونروز.

سمعت ليلي أنفاس محدثتها الصبورة المألوفة.

- آه، السيدة مونروز، مساء الخير. أنا آسفة جدًّا لأنني لم أتصل بك، ما زلنا ننتظر...

- من فضلك، تناولي ورقة ودوني ما سأقوله. الاسم الحقيقي لزوجي هو مارك تيت، ويُعتقد أنه غرق في بلدة خليج رايدنجهاوس في أغسطس عام ١٩٩٣ عندما كان في التاسعة عشرة من عمره. وهو مسؤول - على أقل تقدير - عن موت شخصين، والاعتداء على شخص ثالث. وقد غيَّر هويته إلى كارل مونروز منذ بضع سنوات، وشوهد آخر مرة يوم الثلاثاء الرابع عشر من أبريل نحو الساعة السابعة مساءً في الشقة رقم واحد، جادة وولف هيل، شارع لندن، أوكستيد. إنه خطير جدًّا، وسأحتاج أنا والعديد من الأشخاص الآخرين إلى الحماية حتى تعثروا عليه. شكرًا لك.

ساد الصمت على الطرف الآخر من الخط، وتخيلت قلم بيفرلي ترافيس مرفوعًا فوق مفكرتها، وفمها فاغرًا بعض الشيء.

سألتها ضابطة الشرطة ترافيس:

- أين أنتِ؟

وتمكنت ليلي من سماع نبرة قلق غير مألوفة في صوتها.

أخبرتها ليلي.

قالت ضابطة الشرطة ترافيس:

- لا تتحركي، وابقي حيث أنت. سأتواصل مع شرطة يوركشاير، وأطلب منهم إرسال سيارة دورية على الفور.

أغلقت ليلي الهاتف ونظرت إلى الآخرين.

قالت:

- ها قد انتهى الأمر.

وضعت هاتفها على الطاولة، وأحست بقلبها ينشطر إلى قسمين.

الجزء الرابع

رايدنجهاوس جازيت

الجمعة ٢٤ أبريل ٢٠١٥

اعتقال رجل محلي بعد عشرين عامًا من «غرقه»

مكتبة
t.me/soramnqraa

بقلم:

ليزلي وايد

أُلقي القبض على مارك تيت (٤٠ عامًا)، المقيم سابقًا في منطقة في خليج كوكسولد ورايدنجهاوس، في وقت متأخر من ليلة الأربعاء بتهم اختطاف واعتداء قديمة، بعد عملية بحث مكثف من جانب الشرطة، شملت ثلاث مقاطعات، وانتهت بحادث احتجاز للرهائن في منشأة فندقية في مرتفعات إسكتلندا.

كان من المعتقد أن تيت «غرق» قبل اثنين وعشرين عامًا في حادث مأساوي قبالة ساحل خليج رايدنجهاوس في الساعات الأولى من صباح يوم الاثنين الموافق ٢ أغسطس عام ١٩٩٣. وزعمت التقارير في ذلك الوقت أن حفلة في منزل زوجة عمه الواقع في شارع رايدنجهاوس قد خرجت عن السيطرة، وأنه هو وإحدى ضيوفه، كيرستي روس (١٥ عامًا)، قد غرقا في أثناء السباحة في وقت متأخر من الليل تحت تأثير المخدرات والكحول.

كما تُوفي والد كيرستي روس، أنتوني روس، في تلك الليلة بعد إصابته بنوبة

قلبية قاتلة في أثناء محاولته إنقاذ الولدين من البحر. وعانى شقيقها جراهام روس فقدان الذاكرة لفترة طويلة نتيجة للصدمة، ولم يتمكن قَطُّ من تذكر ما أدى بالضبط إلى حادث الغرق.

لكن في سلسلة غير عادية من الأحداث في وقت سابق من هذا الشهر، تذكر جراهام روس (٣٩ عامًا) ما حدث في ليلة الغرق بعد أن رأى رجلًا اعتقد أنه مارك تيت بالقرب من محطة فيكتوريا بوسط لندن. ثم تعقب الرجل وهو عائد إلى منزله من العمل، وحبسه في شقة خالية بجوار منزل المتهم، حيث اعترف المتهم تحت الإكراه بتزييف وفاته في الليلة المذكورة.

وعقب اعتقاده بطريق الخطأ أنه قتل تيت، فرَّ روس إلى خليج رايدنجهاوس حيث عانى نوبة شديدة أخرى من فقدان الذاكرة، وأنقذته الفنانة المحلية أليس ليك (٤١ عامًا) على الشاطئ خارج منزلها مساء الأربعاء ١٥ أبريل، وظلت تساعده في محاولة استعادة ذاكرته منذ ذلك الحين. وفي صباح يوم الاثنين، قاد لقاء بالمصادفة بين السيدة ليك والسيد روس وزوجة مارك تيت الحالية، ليليانا مونروز (٢١ عامًا) في مقهى شوجر بول بالطريق الرئيسي إلى توجههم جميعًا إلى منزل زوجة عم تيت، السيدة كاثرين تيت (٦٢ عامًا) القاطنة في كوكسولد.

وهنا تكشفت أخيرًا القصة الكاملة لأحداث ٢ أغسطس عام ١٩٩٣، مما دفع السيدة مونروز إلى الاتصال بالشرطة، وتلت ذلك عمليات بحث عن السيد تيت قادتها الشرطة على مستوى البلاد.

وقد تعرفت عليه صاحبة الفندق الذي كان يقيم فيه السيد تيت في منطقة نائية عند بحيرة هورن، إنفيرجاري، في المرتفعات الإسكتلندية، من خلال صورة له شاهدتها في إحدى الصحف في ذلك الصباح. ولم يكن السيد تيت على علم بمطاردة الشرطة له بسبب عدم وجود اتصال بالإنترنت أو التلفزيون، لذا فوجئ السيد تيت بالشرطة، وبحسب التقارير المحلية فقد احتجز صاحبة الفندق وابنتها

رهينتين في غرفة مغلقة. واستمر الحصار لمدة ثلاث ساعات قبل أن تتمكن الشرطة من اقتحام الباب ونزع سلاح تيت. وهو محتجز حاليًّا للاستجواب في مركز شرطة إنفيرجاري، بناءً على تهم قديمة تتعلق بالاعتداء، والاعتداء الجنسي، والاختطاف، والدفن غير القانوني، وتزييف الهوية، والابتزاز، والاتجار في المخدرات.

ومن المرجح أيضًا أن تستجوب الشرطة تيت، بناءً على نتائج اختبار الحمض النووي الخاص به، بشأن سلسلة من الاعتداءات الجنسية على النساء على مدى السنوات الاثنتين والعشرين السابقة، لكن هذا لم يُؤكَّد بعد.

في العدد القادم من جريدة رايدنجهاوس جازيت:
تقرير ليزلي وايد **الحصري** عن اليوم الذي التقى فيه جراهام روس بكاثرين تيت واكتشف أخيرًا ما حدث بالفعل لشقيقته منذ اثنين وعشرين عامًا.

٦٠

دخلت ليلي الشقة التي لم تَعُد إليها منذ أن غادرتها يوم الأحد، لكن بدا واضحًا في اللحظة التي دخلت فيها أنه كان هنا. أعاد ترتيب الوسائد على الأريكة، وأخذ بعض الأشياء من الخزانة في غرفة النوم، واختفت حقيبة ملابسه. كما استحم وعلق منشفة الحمَّام مرة أخرى بالطريقة المميزة التي اعتاد تعليقها بها دائمًا. اختفت أيضًا فرشاة أسنانه، وبدا الصنبور أكثر لمعانًا. وتناول الكثير من الطعام غير الصحي الذي اشترته الأسبوع الماضي، وألقى الأغلفة بعناية في سلة إعادة التدوير. كما أفرغ سلة المهملات، ووضع كيسًا نظيفًا في الحاوية. وأخذ النقود التي تركتها، خمسمائة جنيه تقريبًا، وأخذ شاحن هاتفه، وسترته المنتفخة، وحذاء المشي الخاص به.

وهناك، في إطار المرآة فوق المدفأة الزائفة، رأت ظرفًا كُتب عليه اسمها. خلعت معطفها وعلقته في الردهة، ثم عادت والتقطت الظرف من إطار المرآة. جلست وفتحته وقرأت الرسالة، وقلبها يدق بقوة بين أضلعها.

عزيزتي ليلي،
اضطررت إلى الرحيل بعيدًا، وأريدك أن تعلمي أنني لم أبتعد عنكِ طوال هذا الوقت باختياري. لقد احتجزني رجل وحاول قتلي، وتركني لأموت.

أتمنى لو كان بوسعي أن أوضح لك ما حدث، لكنني لا أستطيع. الأمر معقد جدًّا، ويتعلق بأشياء حدثت منذ فترة طويلة. أرى أن جواز سفري قد اختفى، وأعتقد أن الشرطة كانت بحاجة إليه عندما أبلغتِ عن اختفائي. قد يخبرونك بشيء غريب بشأن جواز سفري، لا تعيري ذلك الأمر انتباهًا. أنا كارل مونروز، ولطالما كنت كارل مونروز، الرجل الذي وقعتِ في حبه، الرجل الذي وقع في حبك. أيًّا كان ما يحاولون إخبارك به عن أشخاص آخرين، فهذا ليس أنا. كارل مونروز شخص طيب، لديه وظيفة جيدة ومتزوج بامرأة طيبة. أي شيء آخر لا يهم.

سأحاول الاتصال بك، لكن لا أعرف متى. قد يستغرق الأمر وقتًا طويلًا. من فضلك لا تبحثي عني، فلن تتمكني من العثور عليَّ. وإذا حاول رجل يدعى جراهام روس الاتصال بك، من فضلك لا تتحدثي معه. إنه مجنون وخطير وكاذب.

يوجد مبلغ صغير من المال في حسابنا المصرفي، بضع مئات من الجنيهات. لقد أرفقت البطاقة البنكية مع الرسالة، ورقم التعريف الشخصي هو ٦٧٠٩. آسف لأنه لا يوجد مبلغ أكبر، وآسف لأنني اضطررت إلى أخذ النقود. ومن الصعب عليَّ قول هذا أيضًا، لكن الشقة مستأجرة. لم أكن صادقًا معك تمامًا بشأن هذا الأمر، وأعلم أنني ربما أعطيتك الانطباع بأنني أمتلكها. لذا أخشى أنه ما لم تتمكني من دفع القسط التالي من الإيجار، والمُستحق يوم ١٣ مايو، فقد تحتاجين إلى إيجاد مكان آخر للعيش فيه. أعتذر عن هذه الزلة في شفافيتي معك، أردت فقط أن أشعرك بالأمان.

كانت كل دقيقة قضيتها معك مثالية يا ليلي. أتمنى لو التقيتكِ منذ عشرين عامًا، ربما لم يكن شيء من هذا ليحدث. أحبك أكثر مما أحببت أي شخص أو أي شيء في حياتي البائسة بأكملها.

فلتبقي رائعة يا حبيبتي، وسامحيني،

كارل

طوت ليلي الرسالة على شكل مستطيل مرة أخرى، ودفعتها داخل الظرف. وضعت البطاقة البنكية في حقيبتها، وتنهدت. زلة في شفافيتي معك. كادت تضحك بصوت عالٍ. ها هو ذا، يكذب عليها من وراء ضباب الزمن. أو ربما لا؟ ربما كان زوجها يعتقد حقًّا أنه كارل مونروز، الرجل الغامض، الطيب من جميع النواحي. ربما عالجته من ميوله الشريرة، ولو مؤقتًا. فكرت في تلك المرأة المسكينة في إسكتلندا، مع ابنتها المراهقة، وكيفية شعورهما وهما حبيستان في تلك الغرفة مع كارل طوال تلك الساعات. ثم أدركت أنهما لم تكونا في غرفة مع كارل مونروز، بل كانتا في غرفة مع مارك تيت، وأشعرها ذلك بالارتياح.

وضعت الرسالة في الجيب الخارجي لحقيبة يدها. ستعطيها لبيفرلي ترافيس. لم ترغب فيها، ولا حتى كتذكار. ثم حزمت حقيبة على عجل، ووضعت فيها كل ما يمكنها حمله. يمكنها العودة من أجل بقية أغراضها في يوم آخر. أطلت من نافذة غرفة المعيشة، ولوحت لروس الجالس خلف عجلة قيادة سيارته العائلية، منشغلًا بقراءة صحف السبت. بادلها التلويح، فرفعت له إبهامها.

ستذهب للعمل مربية أطفال لدى روس وجو. قال روس إن الفكرة خطرت له في طريق العودة من رايدنجهاوس، وطرح الأمر على جو التي وافقت في لحظة يأس بسبب الحرمان من النوم على تجربة الأمر لبضعة أيام، وبقيت ليلي معهما منذ أن غادرت يوركشاير، بينما كانت الشرطة تفتش الشقة بحثًا عن أدلة. كان ذلك التحول في الأحداث باعثًا على السخرية، لأن ليلي لم تكن تحب الأطفال حتى، لكن في الواقع، كانت دارسي طفلة لطيفة للغاية، ولم تبكِ عندما وضعتها جو بين ذراعيها لأول مرة، بل حدقت إليها فحسب كأنها تقول: تبدين لطيفة. قالت جو:

- إنها تحبك!

ثم أضافت:

- هل تعلمين أن الأطفال مبرمجون وراثيًّا لتفضيل الأشخاص ذوي الوجوه الجميلة؟ هذا لأنهم يبدون أكثر شبهًا بالأطفال.

اعتبرت ليلي ذلك مجاملة، لكن ربما لم يكن الأمر كذلك. كانت جو لطيفة

للغاية، وإن كانت نزقة المزاج بعض الشيء. ومع ذلك، فقد فاضت بالامتنان لليلي لأنه صار بوسعها الآن الذهاب إلى صالة الألعاب الرياضية في بعض الأحيان، والاستلقاء قليلًا في أثناء النهار، ومقابلة صديقة لتناول الغداء بين الحين والآخر. وكانا سيدفعان لها خمسين جنيهًا إسترلينيًّا في الأسبوع، الأمر الذي بدا مناسبًا لها. كما أعطاها روس جهاز الكمبيوتر المحمول القديم الخاص به حتى تتمكن من مواصلة دورة المحاسبة عن بُعد. وكانت بوتني جميلة، أجمل كثيرًا من أوكستيد. تمنت الحصول على شقة خاصة بها هنا في النهاية، عندما تتخرج. وربما ذات يوم - ليس بعد - تتزوج رجلًا إنجليزيًّا لطيفًا. أحبت الرجال الإنجليز كثيرًا، أما النساء، فلم تكن متأكدة بشأنهن، لكنها بدأت تعتادهن، أو ربما كان العكس هو الصحيح.

كان هناك شيء آخر عليها القيام به قبل مغادرة هذه الشقة. فتحت صندوق مجوهراتها في غرفة النوم، وبحثت في كومة الإكسسوارات الرخيصة التي أحضرتها معها إلى إنجلترا من أوكرانيا تحسبًا لليالي التي ستقضيها في النوادي الليلية الفخمة والمطاعم الممتلئة بالمشاهير والتي تخيلت بحماقة أنها قد تنتظرها هنا. أخرجت كيسًا مخمليًّا صغيرًا، ونظرت بداخله. كان الكيس يحوي خاتمَي الزفاف اللذين عثرت عليهما في خزانة الملفات الخاصة بكارل، وقد عرفت الآن لمن يعود هذان الخاتمان. كانا ملكًا لامرأة في ويلز، تُدعى «أماندا جونز»، تزوجَت مارك تيت في عام ٢٠٠٦ بعد قصة حب عاصفة استمرت أربعة أسابيع. أخبرها بأن اسمه تشارلز مور، وعندما بدأت تطرح عليه الكثير من الأسئلة حول شخصيته وماضيه، وبدأت تفتش في متعلقاته الشخصية محاوِلةً العثور على أدلة حول الرجل الذي تزوجته، هجرها بعد أن نزع الخاتمين من إصبعها ونعتها بالعاهرة.

تعرفت أماندا جونز على صورته من التقارير الصحفية، فتوجهت إلى مركز الشرطة. وقد تزوجت مرة أخرى وأنجبت ابنًا صغيرًا. سترسل ليلي إليها الخاتمين، حيث كانت متأكدة من أنها يمكنها الاستفادة من ثمنهما.

ثم ألقت نظرة أخرى على الشقة التي قضت فيها عشرة أيام من حياتها متزوجة من شخص يُدعى كارل مونروز، وأغلقت الباب خلفها.

عندما خرج روس من موقف السيارات، مرَّا بجادة وولف هيل، وألقت ليلي نظرة على الشقة الموجودة في الطابق الأول. كان الضوء لا يزال يومض، وتساءلت مرة أخرى عن السبب الذي دفعها للانزعاج بشدة من ذلك الضوء في تلك الأيام التي قضتها هنا بمفردها. ثم تذكرت جلوسها على الأريكة، وهي تتصل بهاتف زوجها بشكل محموم، وبجنون، مرارًا وتكرارًا، والصوت الذي سمعته الشبيه بزئير حيوان، بصوت عالٍ حتى إنها تذكرت الذئاب التي كانت تزعج نومها أحيانًا في كييف. وبعد ذلك... الصمت. توقفت مكالماتها عن الوصول إليه. عرفت الآن أن ذلك الصوت لم يكن صوت ذئب ضال، بل صوت جراهام روس وهو يقذف هاتف زوجها نحو غطاء الشفاط، قبل أن يحاول خنقه. كان صوت رجل معذب يصرح بألمه أخيرًا.

سمعته، ودفنته في أعماق اللاوعي لديها.

كانت هناك لافتة على جانب الطريق كُتب عليها: «وسط لندن، ١٢ ميلًا».

التفتت إلى روس، الرجل الطيب، وابتسمت.

٦١

خفضت أليس الأضواء في غرفة نومها، ولم تترك سوى الضوء الخافت للمصباح ذي الغطاء الأسود لينير وجهها. وضعت كأسًا كبيرة من النبيذ على مكتبها، ثم توجهت إلى المرآة حيث تحسست شعرها الكارثي بأظفارها القصيرة. كانت الساعة ٧:٥٨ مساءً، وظلت تذرع الغرفة جيئة وذهابًا لدقيقتين، وتتوقف عند المرآة كل بضع ثوانٍ لتتأكد أن مظهرها لم يتدهور فجأة أكثر من ذلك. ثم سمعت نغمة رنين مكالمة سكايب الشبيهة بتهويدة، فاندفعت إلى مكتبها لاهثة وتنحنحت، وضغطت على زر الرد.

كان هو المتصل.

- مرحبًا، أليس.

- مرحبًا!

بدا متعبًا.

واصلت قائلة:

- كيف حالك؟

- أنا... آه، حسنًا، ماذا يمكنني أن أقول؟ لست في أفضل حال.

- لا؟

- لا، اتضح أنني لا أجيد لعب دور جراي روس. اتضح أنني فاشل في ذلك.

- أوه، يا فرانك...

ابتسم وقال بنبرة حالمة:

- أحب أن أُدعى فرانك. أفتقد ذلك.

قالت:

- بالنسبة إليَّ، ستظل فرانك دائمًا.

- أدري، أدري، وهذا يجعلني أشعر...

- بماذا؟

- بالحزن نوعًا ما.

- لماذا؟

- لأنني لا أحب أن أكون جراي. أتدرين أن الأولاد في المدرسة يلقبونني بـ«خمسون درجة»(*)؟

تنهد، وانفجرت أليس ضاحكة.

- هذا مضحك جدًّا!

- أعتقد ذلك، لكن هذا ليس السبب. إنه كل شيء. أعني...

تحركت الصورة على الشاشة وهو يلتقط الكمبيوتر المحمول ويحركه في أرجاء الغرفة.

- انظري إلى شقتي يا أليس. حقًّا، انظري إليها.

حرك كاميرا الويب في أرجاء غرفة مربعة ذات جدران صفراء، فظهرت أكوام من الأوراق في كل مكان، وأريكة قذرة كريمية اللون، ومصباح طاولة خزفي رخيص. ثم أراها حمَّامًا على الطراز القديم، تدلت به سجادة رثة بإهمال على حافة حوض الاستحمام، وقبع على حافة النافذة أصيص به نبات ذابل. وتكومت

(*) الإشارة هنا إلى رواية إ. ل. جيمس الشهيرة «خمسون درجة من الرمادي» (Fifty Shades of Grey)، إذ يعني اسم جراي باللغة الإنجليزية «رمادي». (المترجمة).

في مطبخه الأطباق المتسخة، وكان هناك فراش غير مرتب في منتصف غرفة نومه، وستائر معدنية مكسورة تعلو النوافذ.

- كان كل شيء كما تركته، حقًّا، هذه هي الطريقة التي أعيش بها.

قالت أليس:

- لقد رأيت ما هو أسوأ بكثير. أين بريندا؟

- انتظري لحظة...

اهتزت الصورة وهو يبحث في أرجاء الشقة، ثم قال:

- مرحبًا، أيتها الجميلة، ها أنت ذي هنا.

اقتربت الكاميرا من قطة برتقالية مخططة متكورة فوق كومة من الأغطية المتسخة.

قالت أليس:

- أوه، إنها جميلة!

قال:

- إنها تكرهني، ولا تزال غاضبة منذ عودتي.

لم تستطع أليس منع نفسها من الضحك.

احتج قائلًا:

- هذا ليس مضحكًا! كانت هي الصديقة الوحيدة التي لديَّ في هذا العالم، على ما أعتقد. حقًّا يا أليس، لن ترغبي في التعرف عليَّ.

ضحكت أليس مرة أخرى.

- لا، أنا أتحدث بجدية. أنا مدمن كحوليات بدرجة كبيرة، أو هكذا كنت، حيث يبدو أن حالة الشرود الانفصالي التي مررت بها قد وضعت حدًّا لذلك، حمدًا للرب. لكن يا إلهي، تتألف محتويات سلة إعادة التدوير من علب البيرة وزجاجات الفودكا بنسبة تسعة وتسعين بالمائة. لا أعلم كيف تمكنت من الحفاظ على وظيفتي لهذه الفترة الطويلة. وقد تلقيت تحذيرات بشأن الحضور متأخرًا من دون تحضير الدروس، وسمعتي سيئة

بسبب رائحة الكحول الكريهة المنبعثة مني. ووفقًا لأمي، فأنا متباعد عنها، ولا أتصل بها كثيرًا. لذا...

هز كتفيه، وتابع قائلًا:

- أنا فاشل.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ابتسمت أليس وقالت:

- حسنًا، نحن متساويان إلى حد كبير إذن.

تنهد وظهرت على وجهه علامات الجدية وهو يقول:

- اسمعي، لقد اتخذت قرارًا، قرارًا مهمًّا للغاية. أنا في وضع سيئ حقًّا، أشعر بالذنب والغضب، وأكره حياتي ولا أستطيع المضي قُدمًا. لا أستطيع ذلك فحسب. عدت لزيارة معالجي النفسي مرة أخرى، لكن يبدو أن ذلك لا يساعدني كثيرًا، لذا فقد أوصاني بالابتعاد لبعض الوقت.

توقف عن الحديث، ووجَّه نظره نحو حجره.

- اقترح عليَّ دخول مصحة نفسية طوعًا، لفترة قصيرة فحسب، للوصول إلى أصل مشكلة فقدان الذاكرة هذه، وللوصول إلى أعماقي أنا، وأعتقد أنه محق.

- إلى متى؟

شعرت أليس بالذعر. كانت تنوي دعوته لزيارة في عطلة نهاية الأسبوع، وتعمدت ترك عطلات نهاية الأسبوع الأربع المقبلة من دون أي ارتباطات للتأكد من أنه سيكون قادرًا على الحضور.

- ليست لديَّ أي فكرة. أربعة أسابيع على الأقل، وربما أكثر. أنا فقط...

تنهد بصوت عالٍ وتابع:

- لا أستطيع الوجود بصحبة أي شخص هكذا، لا أستطيع الوجود بصحبتك أنت، وأود الوجود بصحبتك، حقًّا أود ذلك.

ابتسمت أليس.

- أنا أيضًا أود الوجود بصحبتك.

أشرقت ملامحه وفرد قامته وهو يقول:

- أريني الكلاب، أريد رؤية الكلاب.

- حسنًا!

رفعت الكمبيوتر المحمول وأخذته إلى فراشها حيث رقد جريف متثائبًا. هز الكلب ذيله بكسل عندما سمع صوت فرانك قادمًا من الكمبيوتر المحمول. قالت أليس:

- آه، انظر! إنه يتذكرك!

نقلت الكمبيوتر المحمول إلى بسطة الدرج حيث جلست هيرو غاضبة لأن جريف لا يسمح لها بالدخول إلى غرفة نوم أليس، ثم إلى الطابق السفلي حيث رقدت سادي مرتجفة أمام المدفأة مرتدية سترة من الصوف. لوح له كاي وجازمين من على الأريكة، وظهرت رومين من المطبخ وهي تضع فرشاة أسنانها بين أسنانها وقبّلت الشاشة، فلطختها باللعاب الممتزج بمعجون الأسنان.

تنهد فرانك وقال:

- أحب منزلك، وأفتقده، كما أفتقدكِ أنت. أنا...

تهدج صوته وهو يتابع:

- ستكون هناك جنازة لكيرستي، لكن ليس قبل بضعة أسابيع. هل ستأتين؟

- بالطبع سآتي.

قال:

- حسنًا، هذا جيد، اتفقنا إذن. سأكون أفضل بحلول ذلك الوقت، يا أليس. سأكون... حسنًا، لا أعرف ماذا سأكون، لكنني سأكون أفضل. أعدك بذلك.

قالت:

- لا تقطع وعودًا، افعل ما بوسعك فحسب، كن ما يمكنك أن تكونه، حتى لو لم يكن ذلك مثاليًّا.

ثم أضافت مازحة:

- معاييري منخفضة للغاية، وأقسم إنني أرضى بصحبة أي شخص.

ضحك فرانك أخيرًا، وكان من الجميل سماع ذلك.

قالت أليس:

- حظًّا سعيدًا يا فرانك، أراك قريبًا.

قبَّل فرانك أصابعه ووضعها على الشاشة، وفعلت أليس الشيء نفسه. ظلَّا على هذه الحال للحظة ويداهما متلامستان عبر الأثير، وامتلأت أعينهما بالدموع.

قال فرانك:

- أراكِ قريبًا.

قالت أليس:

- سأنتظر.

ثم أظلمت الشاشة.

٦٢

بعد شهرين

دفنوها في كرويدون، فأيُّ مكان سوى ذلك يمكنهم دفنها فيه؟ ليس في خليج رايدنجهاوس، حيث انتهت حياتها القصيرة البريئة نهاية مروعة، وليس في بيود حيث عاش أجدادها وحيث نشأت والدتها، بعد أن تبين الآن أن قاتلها عاش هناك لبضع سنوات في أواخر التسعينيات، واغتصب امرأتين مختلفتين في أثناء وجوده في المدينة، وطارد أخرى حتى وصلت إلى حالة من الاكتئاب كادت تدفعها إلى الانتحار.

لم يتبقَّ سوى كرويدون، وعلى الأقل كان يومًا جميلًا.

غمرت أليس موجة من الشعور بالعودة إلى الوطن وهي تتعامل مع نظام النقل العام في لندن. شعرت بتلاشي شخصيتها كأم تقطن بلدة ساحلية، وتخيلت نفسها في مقاهي الأرصفة العصرية، والملاعب المزينة بالرسومات على الجدران، ومحلات البقالة التي يديرها أشخاص ذوو لكنة أجنبية. وعلى الرغم من أنها تحب خليج رايدنجهاوس، لكنها كانت تفتقد لندن.

قابلها فرانك عندما نزلت من القطار في محطة شرق كرويدون. بدا في حالة جيدة، وقد احتفظ بلحيته التي بدأت تنمو خلال وجوده في خليج رايدنجهاوس،

وصارت الآن كتلة كثيفة من الشعر البني النحاسي الذي يغطي ذقنه بالكامل. كان شعره قصيرًا، وارتدى بدلة سوداء أنيقة مع قميص داكن منقوش بالمربعات، وحذاءً أسود أنيقًا برباط. بدا تمامًا مدرس رياضيات عصريًّا في إحدى المدن، على الرغم من أنه لم يَعُد مدرسًا للرياضيات. منحته المدرسة إجازة مرضية طويلة عندما عاد إلى كرويدون، لكن بعد ستة أسابيع في المصحة النفسية قرر أنه لا يريد العودة إلى العمل. لذا صار الآن عاطلًا عن العمل، وهو الأمر الذي كان سيئًا لأنه يعني أنه لن يتمكن من اصطحابهم إلى فندق الريتز، لكنه كان أمرًا جيدًا أيضًا، لأنه يترك لهم خيارات مفتوحة.

قال بخجل، وهو يقبِّلها برقة على خدها ويعانقها برفق:

- مرحبًا، تبدين رائعة.

تلمست شعرها وهي تشعر بالحرج. سيكون من الصحيح القول إنها بذلت جهدًا كبيرًا للغاية، حيث اختفت من شعرها الخطوط الشبيهة بحيوان الغرير، بعد دفع مبلغ غير قليل من المال، وارتدت سروالًا مطاطيًّا غريبًا يخفي بطنها. كما تزينت بمساحيق التجميل التي وضعتها لها ابنتها، التي تتمتع بمهارة كبيرة في وضع المكياج، كونها تنتمي إلى جيل دروس اليوتيوب، وارتدت فستانًا.

قالت:

- شكرًا لك.

قادها إلى سيارته، وهي سيارة فوكسهول متهالكة ذات فرش متسخ. اعتذر إليها عن قذارة الفرش، فطلبت منه ألا يشغل نفسه بذلك، وذكرته بأنه رأى منزلها، وأنها لا تكترث حقًّا للقليل من الغبار. شعرا بالحرج على نحو غريب لبعض الوقت. لم ترَه أليس منذ فترة طويلة، وترددت بين رغبتها في الجلوس على حجره والتشبث به بكل قوتها، ورغبتها في التظاهر بأنها لا تكترث بأي حال من الأحوال.

سألت:

- كيف حالك؟

أجاب:

- أشعر بالاعتلال.
- حسنًا، لقد ظللت تنتظر هذا منذ اثنين وعشرين عامًا.
قال وهو يطالع المرآة الجانبية لسيارته في أثناء مروره بجانب سيارة متوقفة:
- بالضبط، تمامًا.
- وكيف حال والدتك؟
قال وعيناه مثبتتان على المرآة الأخرى بينما يعود إلى مساره:
- إنها في حالة من الجنون، الجنون التام. لا عجب أنني كنت في مثل تلك الحالة من الفوضى. آمل أن يساعدها هذا على أن تهدأ أخيرًا، ويمنحها بعض السلام، بعد أن تدفن ابنتها.
قالت أليس:
- نعم، لا بد أن...
فكرت في أولادها الثلاثة، وتابعت:
- لا أستطيع أن أتخيل ذلك الأمر، حقًّا لا أستطيع.
كانت متوترة بشأن لقاء والدة فرانك، ومتوترة بشأن الأمر برمته: العمات، وكبار السن، والحزن والألم، والتابوت الممتلئ بعظام الفتاة الهشة.
قالت بتردد وهي تلمس كيسًا بلاستيكيًّا عند قدميها:
- لقد أحضرت شيئًا لوالدتك. آمل أن... لا أدري، الأمر فيه شيء من المخاطرة، قد يعجبها، وقد تكرهه. أردت أن أعرضه عليك أولًا.
اتجه نظره نحو الكيس وقال:
- بالتأكيد، هل هي إحدى لوحاتك؟
أجابت:
- نعم، كيف خمنت ذلك؟
ابتسم.
- لأنك لن تحضري شيئًا ما لم يكن نابعًا من قلبك، ولوحاتك تنبع من قلبك. كما أستطيع رؤية جزء من الإطار.

لكزته وضحكت.

قال:

- اسمعي، لم أتناول الإفطار، ولا أظن أن الطعام سيكون متاحًا لفترة طويلة.

فرك بطنه وأضاف:

- هل نتوقف في مكان ما لتناول وجبة خفيفة؟ لدينا متسع من الوقت.

أومأت برأسها، ممتنة لهذا العذر لتأجيل لحظة لقاء عائلة فرانك.

توقف في شارع جانبي، وأوقف سيارته أمام مقهى قديم الطراز كُسيت جدرانه بالكامل بخشب الصنوبر المطلي باللون البرتقالي، ثم قال:

- أحضري لوحتك، وسأعطيك رأيي.

طلبا الشطائر والبطاطس المشوية، وكوكاكولا خالية من السكر. وتحدثا عن محاكمة مارك تيت، واحتمالات صدور حكم بالإدانة في ظل وجود القليل من الأدلة المادية. كما تحدثا عن كل النساء اللاتي تقدمن بشكوى منذ اعتقاله زاعمات أنهن تعرضن للاعتداء من قِبله، وعن «زوجته الأخرى» التي ظهرت من العدم. وتحدثا عن مقال ليزلي وايد الحصري المكتوب جيدًا على نحو مثير للدهشة، الذي نُشر في جريدة رايدنجهاوس جازيت، كما نشرته جميع الصحف الوطنية، وتقرر توسيع القصة إلى مقالة من عشر صفحات في مجلة صنداي تايمز بمجرد انتهاء محاكمة مارك تيت وصدور الحكم عليه. وتحدثا عن كيتي تيت، وكيف أُلقي القبض عليها بتهمة التواطؤ بعد فترة وجيزة من القبض على مارك، وقد خرجت بكفالة في انتظار المحاكمة، وكيف أنها باعت منزليها بسعر زهيد إلى أحد المطورين العقاريين بعد وقت قصير من استخراج رفات كيرستي، وتعيش الآن في شقة مستأجرة في ريبون. كما تحدثا عن أولاد أليس وكلابها، وكيف أصبح جميع المعلمين في مدرسة رومين يعاملون أليس بنوع من الإعجاب كالمشاهير بعد رؤية اسمها في جميع الصحف كل يوم لمدة أسبوع. وتحدثا عن الوقت الذي قضاه فرانك

في المستشفى، وعن خططه للمستقبل. تحدثا كصديقين قديمين، ذهبا ذات يوم في رحلة رائعة معًا، وليس لديهما أي شخص آخر ليشاركا معه الذكريات. التقت أعينهما عبر الطاولة، ولم يكن هناك شيء بينهما سوى الدفء. أرادت أن تمسك يده، لكنها انتظرت منه أن يأخذ المبادرة. كان هو الذي انكسر، وجمع شتات نفسه من جديد، وهو الذي سيدفن رفات شقيقته اليوم، وهو الذي يجب أن يحدد وتيرة الأمر.

سألته:

- هل تشعر بالتحسن؟

ابتسم وهو يقول:

- أعتقد ذلك. أشعر... أشعر كأنني... كأنني لست جراي. لكن، أشعر كأنني لست فرانك أيضًا. أعتقد... أنني أشعر كأنني جراهام.

- ومن هو جراهام؟

- جراهام هو الرجل الذي كان من المفترض أن أكونه منذ البداية. أتفهمين... جراهام.

وسَّع عينيه وهو ينظر إليها، يحثها على فهم ما يعنيه.

ضحكت أليس.

كرر قائلًا مرة أخرى:

- جراهام، هل تفهمين؟ إنه رجل قوي، لكنه طموح، وحنون ومحب للعائلة، ولديه كلب...

- هل لديك كلب؟

- لا! لا، إنه مجرد كلب بالمعنى المجازي. أنت تعرفين ما أعنيه: جراهام لديه اهتمامات وأصدقاء، ويجيد الرسم، وهو بارع للغاية في لعب كرة القدم. كما أن جراهام رجل طيب، ليس مثيرًا للاهتمام، لكنه طيب. لدى جراهام كل مقومات الزوج الصالح.

ضحكت أليس ثانية وقالت:

- أحب جراهام، أحبه حقًّا، لكن هل يمكنني الاستمرار في مناداته بفرانك؟

قال وهو يمرر أصابعه على حافة كوب الشاي خاصته:

- يمكنك أنت مناداته بأي اسم تشائين.

تعجلت قائلة:

- هل ستأتي لزيارتنا؟

ثم لعنت نفسها ما إن تفوهت بالكلمات.

لكنها لم تكن بحاجة إلى القلق، حيث أومأ برأسه وابتسم قائلًا:

- أريد أن آتي، أريد ذلك حقًّا. أريد المجيء لرؤيتك. متى يمكنني القدوم؟

غمر أليس الشعور بالارتياح، وضحكت.

- متى ما شئت! تعالَ الآن.

ضحك فرانك.

- ربما ليس الآن على الفور.

قالت:

- لا، بالطبع لا، يا إلهي، يا لي من عجوز شمطاء يائسة، أليس كذلك؟

- أنت لست عجوزًا ولا شمطاء، وليست لديَّ مشكلة مع اليأس، لا مشكلة على الإطلاق.

ابتسم، ومد يده أخيرًا عبر الطاولة ليمسك يدها.

ثم قال وهو يترك يدها بعد لحظة:

- حسنًا، لنرَ هذه اللوحة.

شعرت بالتوتر وهي تخرجها من الكيس. قضت ليالي مؤرقة وهي تمعن التفكير في كل تفاصيلها، محاولة تحقيق التوازن الصعب بين العاطفة والحساسية المفرطة. حركتها نحوه عبر الطاولة وقالت:

- هاك.

بدأت تقضم ظفرها على الفور، وقالت:

- ما رأيك؟

كانت صورة لطاووس، ريش ذيله مفرود عن آخره، ورأسه مائل بعض الشيء على نحو عابث، وقد رفع إحدى ساقيه عن الأرض.

قال فرانك بصوت خافت:

- إنه يرقص.

قالت:

- نعم! يسعدني أنك لاحظت ذلك. لم أكن متأكدة ما إذا كان يبدو كأنه في نوبة غضب. قالت جازمين إنه يبدو كأنه يحاول الطيران، وإنها تشعر بالشفقة حياله.

قال فرانك، وهو يمرر إصبعه على الزجاج:

- لا، إنه يرقص، من الواضح أنه يرقص.

أدارت اللوحة نحوها قليلًا وقالت:

- وانظر، طالع الخرائط.

أشارت إلى أحد الأجزاء.

- هذه كرويدون، لأسباب واضحة. لكن هذه...

أشارت إلى جزء آخر وتابعت:

- لا أدري، بدأت أفكر فيما كان بإمكانها فعله لو لم يحدث ما حدث تلك الليلة. حاولت تخيُّل أين كان من الممكن أن تواصل كيرستي روس حياتها. فكرت... هنا، هذا الجزء هو ساسكس: ربما كانت ستلتحق بالجامعة هناك؟ وهنا... كريت، ربما كانت أول عطلة لها مع الأصدقاء؟ وهذا الجزء هو تايلاند... ربما كانت ستذهب إلى هناك في رحلة بحقيبة الظهر خلال السنة الفاصلة بين انتهائها من المدرسة والتحاقها بالجامعة. بعد ذلك، هناك كلابهام، حيث كان من الممكن أن تتشارك في شقة هناك مع بعض الأصدقاء لفترة من الوقت. ثم فكرت في أنها ربما كانت ستتزوج، وتشتري منزلًا قريبًا من والديها، ربما هنا...

حركت إصبعها عبر اللوحة.

- نوربري، أعلم أنه ليس مكانًا جذابًا للغاية، لكن وفقًا لما أخبرتني به عن كيرستي، تكوَّن لديَّ انطباع بأنها كانت فتاة بسيطة للغاية. كانت ستعيش في حدود إمكانياتها، في النطاق الذي تشعر فيه بالارتياح.

هزت كتفيها، منزعجة من صمت فرانك.

- كانت مجرد فكرة مجنونة راودتني، فكرة أنني أستطيع بطريقة ما إعادة خلق الحياة التي سُلبت منها، وأمنحها الحكاية التي لم تعِشها قَطُّ، وأصنع شيئًا حقيقيًّا.

نظر إليها فرانك، ثم نظر إلى اللوحة، وأخذ نفَسه بصعوبة، ورأت أليس أنه يحاول جاهدًا ألا يبكي.

قال:

- إنها مثالية حقًّا، مدهشة بكل بساطة، وجميلة، ومناسبة تمامًا.

- هلْ تعتقد أنها ستعجب والدتك؟

أمسك يديها مرة أخرى وقال:

- سوف تحبها أمي، كما ستحبك أنت. وأنا...

توقف عن الحديث وهز رأسه، وقال:

- هيَّا بنا.

أخرج ورقة نقدية بقيمة عشرين جنيهًا إسترلينيًّا من جيب سترته وتركها على الطاولة، ثم مد يده إليها.

أشرقت الشمس بلطف في ذلك اليوم على شوارع كرويدون الرمادية، وعلى بعد نصف ميل من هناك، نُقل نعش كيرستي الذي كُتب عليه اسمها بورد زهري من دار الجنازات ووُضع في سيارة جنائزية بيضاء. وعلى بعد نصف ميل في الاتجاه المعاكس، ضبطت والدة كيرستي وضع وردة زهرية على طية صدر سترتها السوداء، بينما انشغل جدها وجدتها بفتح عبوات الجبن والبسكويت، وترتيب كؤوس النبيذ على مائدة الطعام، وملء الأوعية بالفول السوداني، والتحقق من الوقت بقلق.

بدأ الصحفيون يتجمعون بالفعل حول محرقة الجثث، مرتدين ملابس سوداء،

ونصبوا كاميراتهم في أماكن متوارية لكن يمكنهم التصوير منها. إن جنازة الفتاة التي قضت أكثر من عشرين عامًا مدفونة تحت شجرة بلوط على بعد ٢٢٠ ميلًا من منزلها، الفتاة التي ماتت على يد رجل وُصف بأنه الرجل الأكثر شرًّا في بريطانيا، الفتاة التي عثر عليها أخيرًا شقيقها التائه الذي لم يكن يعرف اسمه، كانت قصة مهمة بكل تأكيد، وسوف ترغب البلاد في رؤية لقطات مقربة من وجوه عائلتها وهم يدفنون عظام ابنتهم المفقودة.

في شقة واسعة وأنيقة في ريبون ذات نوافذ عالية تطل على الكاتدرائية، أفرغت كيتي تيت صندوقًا آخر من أغراضها، وتوقفت للحظة عندما دقت أجراس الكاتدرائية معلنة مرور نصف ساعة، وفكرت في أنه في غضون ساعة ونصف ستُدفن كيرستي روس على يد والدتها، وأنها في غضون ساعة ونصف ستتمكن أخيرًا من التنفس بشكل طبيعي مرة أخرى بعد مرور اثنين وعشرين عامًا. وفكرت في محاكمتها القادمة، واحتمال الذهاب إلى السجن، وشعرت بالخدر. ثم فكرت في ابن شقيق زوجها الذي ينتظر المحاكمة في سجن بريكستون، وحيدًا تمامًا، مقتنعًا ببراءته على نحو رهيب، ويلقي اللوم على العالم لكل الأخطاء التي ارتكبها، عاجزًا عن الشعور بالحب الحقيقي أو التعاطف، فاسدًا حتى أعمق أعماقه، فحبست أنفاسها مرة أخرى.

في بوتني، جلست ليليانا مازور في مقهى وعلى حجرها الرضيعة ذات العشرة أشهر التي تقوم على رعايتها، بصحبة صديقة اسمها داشا كانت أيضًا مربية أطفال تبلغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا، وهي أيضًا من أوكرانيا. أخبرت صديقتها الجديدة بأن فتاة تُدعى «كيرستي روس» ستُدفن اليوم بعد اثنين وعشرين عامًا من وفاتها، وقالت لها إنها دُعيت إلى الجنازة، لكنها لم تستطع مواجهة ذلك لأن الناس هناك سيكرهونها لأنها تزوجت الرجل الذي قتلها. وأخبرت داشا بأنها تكره نفسها أحيانًا لأنها تزوجت رجلًا يمكنه أن يفعل ذلك بامرأة، ثم أشاحت بعيدًا كي لا ترى داشا أنها تبكي. استدارت الرضيعة لتنظر إليها، ووضعت يدًا صغيرة على خدها، فأخذت ليلي اليد وقبَّلتها.

وفي داخل سيارة فوكسهول قذرة متوقفة أمام منزل بام روس في كرويدون، تطلع فرانك وأليس إلى بعضهما وابتسما.

قال فرانك:

- هل أنتِ بخير؟

قالت أليس:

- بالتأكيد، ماذا عنك أنت؟

أومأ فرانك برأسه وقال:

- أنا سعيد لأنك هنا، سعيد حقًّا.

- أنا أيضًا سعيدة لوجودي هنا.

- لقد تحدثت كثيرًا عنك في جلسات العلاج.

قالت أليس:

- أوه، صحيح، كيف سار ذلك الأمر؟

- أجمعت الآراء على أنني يجب أن أنتظر، وأنني لم أتعافَ بعد بما يكفي لأكون جزءًا من حياة شخص آخر.

توقف عن الحديث، وحبست أليس أنفاسها، ثم تابع:

- لكن ليس هذا هو ما يهم، لأنني كنت جزءًا من حياتك بالفعل، وأعلم أن هذا مفيد بالنسبة إليَّ. السؤال هو: هل من المفيد بالنسبة إليك أنت أن تكوني جزءًا من حياتي؟

سألته بسرعة، إلى درجة أنها اضطرت إلى ازدراد ريقها بحدة عقب الانتهاء من الكلام:

- هل تريدني أن أكون جزءًا من حياتك؟

- أريدك أن تكوني كذلك، نعم.

ثم التفت ونظر إلى المنزل الصغير الموجود على يساره وأضاف:

- لكن الأمر لم يَعُد يخصني وحدي، أليس كذلك؟

مالت إلى الأمام ونظرت إلى المنزل، الذي بدا مكانًا عاديًّا مُعتنى به جيدًا،

ووقفت سيارة بيجو ١٠٧ خضراء لامعة في الممر، وزينت النوافذ ستائر منقوشة، بينما نمت في الأحواض زهور الكوبية الأرجوانية.

قالت:

- أستطيع التعامل مع العائلة.

- حتى لو كانت عائلة معقدة للغاية؟

- أستطيع التعامل مع معظم الأشياء.

ابتسم قائلًا:

- أعلم ذلك، أعلم أنك تستطيعين هذا.

سألته فجأة، محاوِلة تأجيل اللحظة الصعبة لبضع لحظات أخرى، على أمل سماع شيء خفيف ومبشر:

- ماذا ظننت في المرة الأولى التي رأيتني فيها على الشاطئ تحت المطر؟ ما أول شيء خطر ببالك؟ بصراحة.

ابتسم وأمسك يدها قائلًا:

- ظننت أنك تبدين مبللة، ومخيفة بعض الشيء.

ضربت ذراعه وأبدت الاحتجاج، لكنها تفهمت السبب الذي قد يدفعه إلى ذلك الاعتقاد، حيث ظلت تلعب دور المرأة المخيفة لسنوات، لأنها كانت تشعر بالخوف في أعماقها: الخوف من أن تصبح وحيدة، والخوف من أن تكون دخيلة، والخوف من أن تكون قد حصلت على كل فرصها للسعادة لكنها ضيعتها كلها.

أحاط كتفيها بذراعه ووضع رأسها على كتفه وقال:

- ظننت أنك رائعة.

قالت:

- هذا لطف منك، وبصراحة، ظننت أنك وسيم، ومبلل بشدة أيضًا.

ضحك وقبَّل شعرها المصبوغ حديثًا.

- أنا سعيد لأنك أنت التي وجدتني. أنا سعيد لأنه لم يكن أي شخص آخر.

- وأنا أيضًا.

- هلَّا ذهبنا؟

أجابت أليس:

- نعم، أنا مستعدة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

شكر وتقدير

شكرًا لمحررتي، سيلينا ووكر. شكرًا لك على العشرات من دبابيس ومشابك الورق، وأوراق الملاحظات والعلامات اللاصقة. أشكرك على مراجعة مخطوطتي بطريقتك الدقيقة المحببة غير المزعجة على الإطلاق، كما تفعلين دومًا. شكرًا لك على جعل كتابي أفضل بكثير مما كان عليه.

شكرًا لوكيل أعمالي، جوني جيلر. شكرًا لك على صراحتك واهتمامك، وعلى رسالتك الإلكترونية الطويلة جدًّا التي أظهرت لي مدى اعتنائك بكتابتي: الكتابة في المقام الأول، يلي ذلك المسار المهني ثانيًا، كما ينبغي أن يكون الأمر.

شكرًا لجميع العاملين في دار أرو للنشر: بيث، ونجمة، وجورجينا، وسيليست، وجيما، وكاساندرا، وأصلان، وشكرًا لميليسا فور على الغلاف الرائع.

والشكر موصول لجميع العاملين في وكالة كورتيس براون الأدبية: خصوصًا كاثرين وميليسا ولوك.

كما أتوجه بالشكر كالعادة إلى ريتشيندا تود على تحرير الطباعة. كان العمل معك ممتعًا.

وفي الولايات المتحدة، شكرًا لمحررتي السابقة في أتريا للنشر، ومحررتي الجديدة في أتريا أيضًا، وكلتاهما تُدعى «سارة»، وكلتاهما رائعة. كما أود أن أشكر أرييل، وكيلة الدعاية الاستثنائية في الولايات المتحدة. وأخيرًا وليس آخرًا، شكرًا لناشرتي التي لا تُضاهى جوديث كور، على إيمانها وشغفها، ومآدب عشائها اللذيذة.

شكرًا لجميع قرَّائي الأعزاء، ولجميع بائعي الكتب، ومشتري الكتب، وأمناء

المكتبات الذين يجعلون عالم الكتب يدور، ويجعلونني أتمكن من الجلوس في المقاهي وتأليف القصص. وشكرًا لعائلتي وأصدقائي وجيراني والأشخاص الذين يشكِّلون نسيج حياتي، والذين لولاهم... إلخ.

وأخيرًا، وليس آخرًا، أشكر أصدقائي الكُتَّاب العديدين، سواء في المنتدى أو في أماكن أخرى. الكُتَّاب هم حقًّا أفضل الأصدقاء.

المؤلفة

وُلدت ليسا جويل في لندن عام ١٩٦٨. وهي المؤلفة الأكثر مبيعًا لأكثر من عشرين رواية. وقد بيعت من رواياتها أكثر من عشرة ملايين نسخة حول العالم، وتُرجمت إلى أكثر من ثلاثين لغة.

تعيش ليسا في شمال لندن مع زوجها وابنتيها المراهقتين وأفضل كلبة في العالم.

المترجمة

إيناس التركي مترجمة مصرية. تخرجت في قسم اللغة الإنجليزية وآدابها بكلية الآداب، جامعة عين شمس.

ترجمت لدار الكرمة كتاب «عندما تحب النساء أكثر مما ينبغي: أن تعيشي في انتظار أن يتغير» لروبين نورود، والروايات: «خلف هذه الأبواب» لروث وير، و«جمعية جيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطس» لماري آن شيفر وآني باروز، و«المكتبة المتنقلة» لكريستوفر مورلي، و«أبريل الساحر» لإليزابيث فون أرنيم، و«بدافع القتل» لأنتوني هورويتز، و«لا تكذب أبدًا» لفريدا مكفادن، و«ريبيكا» لدافني دو موريه، و«مكتبة الكلمات المفقودة» لستيفاني باتلاند، و«سقوط جنتلمان» لهربرت كلايد لويس، و«كل هذا غير صحيح» لليسا جويل، و«سطوح طهران» لمهبد سراجي، و«نادي بهجة الحظ» لإيمي تان.

«تشابك الحبكات وتصادمها في النهاية من أعظم متع قراءة رواية جويل. إنها تصعّد التوتر ببراعة، وكتاباتها نابضة بالحياة» — صحيفة نيويورك تايمز

- منذ متى وأنت جالس هنا؟

- وصلت إلى هنا الليلة الماضية.

- من أين أتيت؟

- ليست لديَّ أي فكرة.

في شمال شرق إنجلترا، تعثر أليس، وهي أم عزباء، على رجل مجهول على الشاطئ أمام منزلها. لا يحمل اسمًا، ولا يرتدي سترة، ولا يعرف كيف وصل إلى هذه البلدة. وعلى الرغم من شكوكها، فإنها تدعوه للدخول إلى المنزل!

في جنوب غرب لندن، ليلي مونروز، في الحادية والعشرين من عمرها، ومتزوجة منذ ثلاثة أسابيع فقط. لم يعُد زوجها من العمل ذات مساء، فوجدت نفسها وحيدة في بلدة غريبة لا تعرف فيها أحدًا، ثم أخبرتها الشرطة بأن زوجها لم يكن له وجود من الأساس!

امرأتان، وعشرون عامًا من الأسرار، ورجل بلا ذاكرة... في قلب الرواية المذهلة لملكة التشويق النفسي ليسا جويل.

ISBN 978-977-9603-56-8
9 789779 603568
الكرمة

مكتبة
t.me/soramnqraa